الباب الرابع

كتاب (الآداب المرضية لسالك طريق الصوفية)

لسيدي محمد البوزيدي

الحمـــد لله المتفـــضل المنان، الفاتح لمن شاء من خواص أصفيائه ما شاء من العرفان، الذي أزاح عن قلوب أوليائه حجب أوهام الكائنات فسطعت عليهم أنوار البـــساط وأشـــرقت عليهم شموس العرفان، وترجمت الألسن بما تجلى للسرائر من الشهود والعيان، وألبس ظواهرهم حلل الأدب والأخلاق الحسان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نور الأنوار وعين الأعيان، الذي تفجرت منه ينابيع العلوم وأسرار الرحمن، وعلى آله وصحابته ذوي البر والإحسان.

وبعـــد، لمـــا كانت الطرق إلى الله تعالى وخصوصا طريقتنا هذه لا تسلك إلا بـــالأدب، وإلا زلت قدم السالك وأسرع إليه العطب، لكونها صعبة المرام، عظيمة الـــنفع على الدوام، والأدب أساس الطريق، عليه تبنى الأعمال والأحوال من صادق وصـــديق، رأيـــت أن أثبت نبذة من الأدب، مَنَّ بها علينا الكريم الوهاب، وسميته **الآداب المرضـــية لـــسالك طـــريق الصوفية**، وربنا المسئول في حصول النفع به للإخوان، إنه رؤوف رحيم منان.

(فصل): اعلم يا أخي أرشدنا الله وإياك أن بالأدب تطوى المسافة، وبه يذهب عنك ما في الطريق من المخافة، والصوفية رضي الله عنهم لا يعرفون ولا يتميزون إلا بالأدب، إذ الشرائع كلها أدب مع الحقيقة، ولولا الأدب ما ظهرت أسرارها، ولا أشرقت أنوارها، وليس في الوجود سوى الحقيقة وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ ﴾ [الزلزلة: 7] وقوله تعالى ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ

لأنفُسِكُمْ ﴾ [الإسراء: 7] وقوله تعالى ﴿ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا ﴾ [الأنفال: 70] وقوله تعالى ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ﴾ [فصلت: 46] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على الأدب مع الجميع فضلا مع أوليائه تعالى، فعلى المريد أن يلزم نفسه الأدب، لينال من أسرار القرب العجب، وبالأدب الظاهر يحصل أدب الباطن أعني التعظيم، إذ سوء الأدب ينشأ عن عدم التعظيم، وعدم التعظيم من ضعف المحبة، وضعف المحبة من التفات القلب إلى الغير، فلو حصلت المحبة لحصل التعظيم، ولو حصل التعظيم لحصل الأدب، ولو حصل الأدب لحصل التحقيق، وأنواع الأدب كثيرة ولكن نذكر ما هو آكد منها على المريد فأقول وبالله أستعين:

فمن آداب المريد الظاهر ألا يكثر الجلوس مع الشيخ لئلا يزول عنه التعظيم، وكثرة الجلوس مع قلة التعظيم لا تزيد المريد إلا بعدا، ومن هنا كان لملوك الدنيا أدباء وأمراء وبوابين وحراس، ولو أن كل من جاء دخل عليهم من غير مشورة ولا أدب ولا تعظيم لسقطت حرمة الملك وصغر قدره ويخسر الملك فافهم، وكذلك مجلس ملك الآخرة إذا كثر فيه سوء الأدب خسر وامتنع جريان مدد الشيخ للمريدين فيظهر عليهم الضعف والتكاسل وكثرة الكلام ويبقى المجلس إذ ذاك عاريا من كسوة الأنوار فافهم.

ومن آداب المريد ألا يكثر الضحك مع الشيخ وإن ضحك معه الشيخ فليقصر هو وليراع الأدب، وقد يكون ذلك من الشيخ اختبارا له لينظر مقامه في الأدب فافهم، وليكن على حذر فإن هذه علل تؤدي إلى المقت، ومن ظهر عليه شيء منها فالواجب عليه أن يبادر إلى التوبة وأن يلزم نفسه الحياء من الشيخ وليجاهدها في الخروج من طبع أهل اللهو واللعب، فإن الشيخ على قدر ما يكون عندك تكون عنده، فإن أردت أن تعرف ما عندك من حرمة الله وحرمة رسوله صلى الله عليه وسلم فانظر ما عندك من حرمة شيخك فافهم.

ومن آداب المريد ألا يكثر الكلام بحضرة الشيخ، أحرى وأحرى مع رفع الصوت، ومن كثر كلامه حتما يرتفع صوته، وإذا كان كثرة الكلام بخفض الصوت سوء أدب فكيف مع رفع الصوت، واسمع ها هنا قوله تعالى ﴿ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ

صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ الآية، وينبغي للمريد أن يروض نفسه ويعودها الكلام اللين ليخرج من صفة الجبابرة الغافلين ويتحلى بصفة الذاكرين الخائفين قال تعالى ﴿ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ﴾ الآية، ثم ينقلها إلى الصمت بسياسة ورفق، ويستعين على ذلك بشيء من الجوع والعزلة وحضور الفكرة حتى يحصلها في شبكة الحضرة، ومن لم يسلك سبيل الرياضة فهو مملوك في يدها مقهور تحت حكمها، ولا حول ولا قوة بالله العلي العظيم.

ومن أدب المريد ألا يجلس عن يمين الشيخ أو عن يساره ولو دعاه إلى ذلك، فليقدم الأدب على الأمر كما هو معلوم، بل يجلس أمامه وجهه إلى وجهه وعيناه إلى عينه وقلبه إلى قلبه، وإن كان المجلس كبيرا فليجلس من وراء الناس مقابلا له كما قلنا، فإن المريد إذا دخل على الشيخ كان كمن دخل المسجد، ولا ينبغي لمن دخل المسجد أن يجلس مدبرا عن القبلة أو يشتغل بغير ذكر الله، لأن المسجد موضع العبادة، والشيخ قبلة المريد وحرمته أعظم من حرمة القبلة لقوله صلى الله عليه وسلم يخاطب الكعبة: ما أعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة منك، وإذا كان هذا في حق كل مؤمن فكيف بالولي منهم، ولقد قال سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه (لو كشف عن نور المؤمن العاصي لطبق ما بين السماء والأرض فما بالك بنور المؤمن المطيع)، فاعرف يا أخي قدر الرجال عند الله، وعظمْ ما عظم الله، وإياك والعكس فتمقت ويستهزأ بك من حيث استهزائك بآيات الله قال الله تعالى ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ﴾ [البقرة: 231]، وينبغي لهذا المريد أن يروض نفسه، وأن يلزمها تعظيم المؤمنين جميعا، ولا سيما الأولياء منهم، وأحرى وأحرى الشيخ الذي أخرجه من ظلمات الشهوات وأنقذه من نار نفسه وسرحه من سجن حسه فهو أولى بالتعظيم من كل أحد، وأن يتحفظ على الأدب لسانا وعينا وأذنا وبطنا وفرجا ويدا ورجلا وغير ذلك، فافهم.

ومن آداب المريد ألا يكثر النظر إلى الشيخ إذا جلس أمامه، فإن كثرة النظر إليه تورث قلة الحياء إلا عند التذكير، نعم إن غلب عليه الشوق وأشرقت على قلبه

أنـــوار الصفات فلا يضره ذلك، ولا يقع هذا إلا عند الاستشراف على البقاء حتى تتجلـــى له أنوار المصطفى صلى الله عليه وسلم وكثيرا ما تظهر له في الشيخ، فإن اتسعت ظهرت له في جميع الصالحين، فإن اتسعت عادت له في جميع المؤمنين بل في سائر المخلوقات، وهذا مقام عظيم يحتاج إلى صفاء كبير فافهم، وأما قبل هذا فلا ينبغي له أن يرفع بصره في الشيخ إلا كرفع المرمود بصره في الشمس، وإلا خلا قلبه مـــن التعظيم ورجع عنده كأحد الناس، وينبغي لهذا المريد أن يلزم نفسه مراقبة الله ومـــراقبة رســـول الله صلى الله عليه وسلم ومراقبة شيخه، وأن يحملها على المودة والـــسخاء مـــع الشيخ والإخوان، فمراقبة الله ورسوله تنبت التعظيم، والمودة تنبت الـــصدق، وإن شـــئت قلت مراقبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم هي التي تنبت الـــسخاء والمحبة والتعظيم والنية والصدق والإخلاص وغير ذلك، لأن من راقب الله خافه، ومن خافه اتقاه، ومن اتقاه أحبه، ومن أحبه آثره، ومن آثره فنا فيه، ومن فنا فيه بلغ قصده ومناه.

ومن آداب المريد أن لا يبادر بالكلام عند تقدير شيخه بعض العبارات، لئلا يحكم فيها برأيه وفهمه فيحملها على غير ما أراده الشيخ فيغير معانيها ويطمس أنوارها، فيتغير عليه الشيخ وهو لا يشعر، وحيث منع ظهور وجه الحكمة فلا يفتح على باطنه شيء من أسرار الغيوب فافهم قال تعالى ﴿ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ [الأنبياء: 37]، وينبغي لهذا المريد أن يضع علمه وراءه ولو كان عالما، لئلا يقع أحيانا فيما قلناه، ولا سيما إن كان يحكم بعلم الظاهر، فالواجب عليه أن يسكت ولا يتكلم حتى يفتح الله عليه وهو خير الفاتحين.

ومن آداب المريد أن لا يجلس أمام الشيخ جلسة العامي مع العوام، بل يجلس جلسة المملوك مع الملوك، وذلك كجلوس المصلي في الصلاة، لأن الشيخ قبلة المريد كما تقدم، ولا ينبغي له أن يلتفت يمينا وشمالا ما دام أمام شيخه في مجلس الذكر والمذاكرة، فإن قام الشيخ فليلتفت إلى أين شاء إن كان راسخ القدم في الحضور وإلا فليستحضر شيخه ومذاكرته بين عينيه في كل مجلس حتى يحصل له الحضور مع الله تعالى، وحينئذ فلا يغيب عنه شيء لكونه ينظر بالقلب لا بالجوارح،

ومن هنا كانت النظرة جنة العارفين وكليتهم، قال الله تعالى ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ [الكهف: 18] أي تحسبهم ينظرون إلى هذا العالم بنور العينين وهم رقود عنه، أي ينظرون إليه بنور العيان، فما فقدوا الكون على التحقيق إلا لكونهم شهدوه بالله، فخذْ يا أخي سياسة قلبك إلى الحضور، واعرف حقيقة الأدب، ولا تستهزأ فيستهزأ بك، ولا تلعب فيلعب بك، وإن جهلت فاسأل عنه أهله، وإياك والتكبر، قال الله تعالى ﴿ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: 43] أعني أهل المعرفة بالأدب كالشيخ والإخوان الذين لهم سبقية في الصدق والمحبة والتعظيم وغير ذلك فافهم.

ومن آداب المريد أن لا يمشي عن يمين الشيخ أو يساره مثاله فضلا عن أن تقدم، بل يتأخر قليلا، فإن الشيخ إمام والمريد مأموم، ولا ينبغي للمأموم أن يتقدم أمام الإمام، قال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [الحجرات: 1]، وإن تكلم معه فليجاوبه بملاطفة ولين لقوله تعالى ﴿ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ [الحجرات: 2] كما تقدم، وإن كان الشيخ راكبا وقد مرَّ أمامه فلا بأس إذ هو إمامه في الحقيقة، وإن لم يقدمه فليتأخر، فعلى قدر ما يظهر من التعظيم في المريد يظهر عليه من التنوير والعكس، والله لو صحب الإنسان عاصيا وعظمه لله لأمده الحق تعالى بما ليس هو فيه، فإن حقيقة الأشياء كلها عظيمة فضلا عن المسلمين، فاستحضر يا أخي مراقبة الله ومشاهدته في كل شيء، لتعظم كل شيء ويمدك الحق سبحانه من كل شيء قال الله تعالى ﴿ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ ﴾ [الأنفال: 70] وقال شيخنا مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه (من شهد الكمال في كل شيء استمد من كل شيء وزاد قربا من الله، ومن شهد النقص في كل شيء استمد منه كل شيء وزاد بعدا من الله بكل شيء) فافهم هذه الإشارة يرحمك الله.

ومن آداب المريد ألا يتقدم بشيخه للصلاة، فإن أمره الشيخ فليتقدم ولا يعود إلا إن أمره كذلك وهكذا، وإن أمره أن يكون إماما راتبا فلا يتأخر، وإن تأخر كان

ذلك منه سوء أدب، كما أنه إذا تقدم من غير إذن أساء الأدب، وليستغفر إذا قدمه الشيخ للصلاة وليقل (اللهم اجعل صلاتي بأوليائك رحمة بي ولا تجعلها نقمة علي يا أرحم الراحمين يا رب العالمين)، وينبغي للمريد أن لا يرى نفسه أهلا للتقديم بأحد من المسلمين فضلا عن أوليائه تعالى، والمريد الصادق إذا تقدم بالشيخ ارتعد جسمه وسال عرقه بل يهون عليه قطع رأسه دون أن يتقدم بشيخه لكثرة الحياء من الله تعالى، فتأمل يا أخي، واحتفظ جهدك، والله يعيننا وإياك.

ومن آداب المريد أن لا يجلس في موضع الشيخ ولا على بساط يجلس عليه الشيخ، ولو أمره، سواء كان في موضع جلوسه أم غيره، وليتحذر ما أمكنه، وإن جلس ولم يشعر فلا يضره إن لم يعد، وليقم مهما شعر، فإن عاد فلا يلومن إلا نفسه، وانظر أدب الرعية مع ملوك الدنيا مع أن ذلك بعض البعض من آداب الصوفية، إذ الصوفية تأدبوا مع الأشياء كلها ظاهرا وباطنا، والرعية تأدبوا مع وجهة واحدة ظاهرا فقط، وانظر ما خص به الصوفية من الخير والسر والبركة يرحمك الله، فلا شيء أنفع لضعف الحجاب أو رفعه بالكلية من الأدب مع الشيخ، وإن أذن لك يا أخي في شيء فزنه بميزان الشرع ثم ارجع إلى قلبك واستعمله إن كانت شمس قلبك قد طلعت وإلا فاعمل بالأدب الظاهر وهو ما قاله الشيخ حتى يفتح الله وهو خير الفاتحين، لأنه قد يكون في إذنه أراد اختبارك بها وأنت لا تشعر، والإنسان يدرك بالأدب ما لا يدركه غيره بالاجتهاد في كثير من العبادات، وقد قال صلى الله عليه وسلم (ما فاتكم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صوم ولكن بشيء وقر في صدره) أعني الأدب، لأن العبادات كلها من هي قولا وفعلا راجعة إلى الأدب، فلا يحيط بها إلا من حصله، وهذا لا يدركه إلا من خرجت الدنيا من يده وقلبه، ولا تخرج من اليد والقلب إلا بالسلوك على يد شيخ عارف بالله تعالى، لأنها قد تخرج من الظواهر وتبقى في البواطن، ولا يعرف البواقي الباطنة إلا أهل المعرفة بالله، فاسلك يا أخي على يد شيخ عارف لتخرج من طبع الجهل إلى طبع العلم ومن طبع العلم إلى طبع المعلوم ثم يحليك ويخليك ويقربك ويوصلك ويهنيك ويتركك وربك وما ذلك على الله بعزيز.

ومن أدب المريد ألا يأكل مع الشيخ، سواء كان وحده أو مع الناس، لأنه إذا حصل التعظيم حقا حصل في كل موضع، وأما من لا يعظم شيخه إلا بمحضر الناس أو عكسه لكون يستحي من الناس أو يعظمه أو يعظم أولاد الشيخ وأهل داره إذا حضر ولا يعظمهم إذا غاب فهذه صفة المنافقين المخادعين الذين يَسْتَخْفُون من الناس ولا يستخفون من الله، فلا تأكل يا أخي مع شيخك وإن ألح عليك غاية الإلحاح، فاعتذر له غاية الاعتذار، فإنه لا يضرك شيء إلا إن قسم لك فلا تتأنَّ، وإن لم يقسم لك فابعد ولا تقرب، فإن الأكل مع الشيخ سم قاتل لأهل الصدق، وكلامنا كله مع أهل الصدق، وغيرهم لا يفهم معنى ما قلناه، وثم معان أخر لا تسطر في الأوراق وإنما محلها القلوب، ولا تغتر بمجرد إذنه لك في الأكل، فقد يكون اختبارا منه لك لينظر مقامك في الحياء من الله، لأن من حصل له الحياء من الله عز وجل يستحي أن يفتح خياشيمه أمام الشيخ، فإذا استحييت منه علم أنك استحييت من الله وتحقق أنك دخلت حضرة الله، وإن لم تستحي منه علم أنك لم تحصل مقام الحياء من الله وتحقق أن ليس لك في الحضرة نصيب، فتسقط من عينه ويتركك وما تريد لعلمه أنك لا تحصل للحضرة لا سيما إن طالت معه صحبتك مثل سنة أو أكثر، ومن لم يصل إلى هذا المقام من الأدب مع الأشياخ فليلازمهم وليحمد الله على مخالطتهم إذ لو جعله الله مُقاما على أبواب الظلمة ماذا كان يفعل. اللهم لا تحرمنا من خيرهم وبركاتهم وسرهم وحكمتهم وأنوارهم الساطعة، بجاه نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، إنك على كل شيء قدير.

ومن آداب المريد ألا ينام مع الشيخ في بيت واحد، ولو لم يجد سواه، بل ينام خارج البيت، سواء كان البرد أو الحر أوخاف من اللصوص أو السباع، وإن ألح عليه الشيخ فليعتذر إليه بمرض أو ما أشبهه، فإن نومه مع الشيخ يمنعه من النوم وذلك من أعظم سوء الأدب، وقد وقع مني شيء من هذا مع شيخي وكنت جاهلا بظاهر الأدب فانتبهت وحمدت الله حيث ألهمني لعيوبي وسوء أدبي وشكرته بقلبي ولساني، فإياك يا أخي ثم إياك أن تبيت مع شيخك في بيت واحد فتؤذيه بريحك وسعالك أو ما أشبه ذلك، ومن لم يحصل له أدب مع طول الصحبة فالواجب على

معلمه أن يعلمه إلى حضرة المخزن[1] حتى يتربى ويتأدب، وحينئذ يرده إليه فيسلك به الطريق ويكشف له عن حقيقة التحقيق، فالطريق كلها أدب، ومن لا أدب له فلا طريق له، وقد قال شيخنا مولاي العربي رضي الله عنه (إذا حضر الأدب حضرت الطريق، وإن غاب الأدب فلا أدب ولا طريق)، والأدب سفينة النجاة من ركبها نجى وإن كان مع جهل، وقد رأيت من الناس من فيه أوصاف محمودة مع عدم علمه وقلة فهمه ورونقة تلك الأوصاف ظاهرة عليه، ورأيت من له علم وفهم مع أوصاف مذمومة وقد ظهرت عليه ظلمة تلك الأوصاف، والمؤمن لا يفوق أخاه إلا بحسن خلقه لقوله صلى الله عليه وسلم (إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم) وهو غير عابد، ولما كان صلى الله عليه وسلم أعظم الناس قدرا كان أعظمهم خلقا قال تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾ [القلم: 4].

ومن آداب المريد ألا ينادي على الشيخ إذا دخل داره، ولو كانت له به حاجة كبيرة وألجأته إليه ضرورة، فلا يقرب باب داره ولا ينادي عليه، بل يصبر حتى يخرج، فربما يكون نائما فتشوشه، قال الله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ ﴾ [الحجرات: 5]، فالزم نفسك يا أخي الأدب، واصبر حتى يخرج الشيخ وتلقاه بأدب وتواضع وهيبة وتعظيم، وسله حاجتك تقضى في الحين إن شاء الله، وقد تقضى حاجتك قبل خروج الشيخ إن كنت على ما وصفنا من الأدب، لأن تأدبك مع أولياء الله تأدب مع الله، وكيف تتأدب مع الله تعالى ولا يقضي لك جميع الحوائج، ولا يمنع حوائج الدنيا والآخرة من الأولياء سوى الأدب، وقد تعطى بعض الحوائج مع سوء الأدب لأجل الاضطرار لأنه مقرون بالإجابة، والإجابة عند أهل التحقيق على قدر الأدب، فافهم.

ومن آداب المريد أن لا يجلس مقابلا لباب دار الشيخ، إلا بإذنه، وإن لم يكن له إذن فحرام عليه بإجماع من أهل الأدب، وإن أذن له فليعط بظهره لباب الدار، وإن كان الشيخ هناك ورأى أن استدبار الباب يؤدي إلى استدبار الشيخ

---

(1) المَخْزَنْ: أي السلطة.

فليعتذر إليه ولا يجلس في ذلك الوقت ليسلم باطنه، ولا يضره ذلك الاعتذار لكونه على وجه شرعي، أو نقول إن أخطأ في الظاهر أصاب في الباطن، والخطأ في الظاهر أولى من الخطأ في الباطن، إذ عقوبة الباطن لا تداوى إلا بتوبة صادقة، نسأل الله السلامة بمنه.

ومن آداب المريد ألا يدخل دار الشيخ إلا بإذنه وحضوره، ولا يدخل بمجرد الإذن إلا إذا صرح له بذلك وقال له ادخل وحدك فلا بأس لأن بعض الصوفية حفتهم الغيبة وانتشر عليهم رداء الهيبة وليس هم في هذا العالم ولا لهم نظر إلى الأنام محفوظون من جميع الآثام رضي الله عن جميعهم، والدخول إلى منازل الناس يحتاج إلى تقوى عظيمة وفي منازل الأشياخ أكثر، ومن أراد الخير كله فعليه بالأدب مع الله ورسوله ولا يتحرك في شيء حتى يستحضر الله ورسوله والملائكة، فإن كان هكذا فالتقوى حاصلة مع الحجر والمدر وغير ذلك، ومن لم يكن هكذا فلا يتعرض إلى هلاك نفسه، فإذا أردت يا أخي أن تدخل حيث شئت فلا تفك قلبك عن الحضور، فإن الله تعالى يحضر معك في كل موضع حضور الرضا، ويحفظك من سابق القضا، والله غالب على أمره.

ومن أدب المريد أن لا يأخذ من الشيخ شيئا من متاع الدنيا قلَّ أو جلَّ، ولو ألحَّ عليه الشيخ في ذلك، إلا إذا لم يكن عنده قوت ساعة وكان قد قصد زيارته لله لا لغير، ثم أعطاه شيئا وألح عليه في أخذه فليأخذه، فلعل فيه خيرا، وقد يكون سببا لقناعته وغناه القلبي فافهم، وأما إن كان عنده قوت يومه فلا يأخذه، وإن ألح عليه فليعتذر إليه جهده، فقد يختبره وينظر هل خرج من قلبه الطمع أم لا، فإنك إن أخذت منه على غير الوجه الذي ذكرنا دل على أنك لم ترفع همتك عن الخلق ولم ينقطع نظرك إلى الحق، وينبغي لهذا المريد أن يروض نفسه بترك الطمع ويلزمها الزهد والورع حتى يعرف من يطعمه ويسقيه ويكسيه ويحركه ويسكنه، ولو ترك الطمع ورفع همته إلى الله تعالى لكانت الأشياء تابعة له فافهم، فاصرف يا أخي همتك في الله واقنع بالقليل تصِر شاكر الله عز وجل، وغِبْ عن القليل والكثير تكن ذاكر الله تعالى على الكمال، ومن شكر الله على القليل أغنى الله قلبه ورزقه القناعة ومنعه

التدبير والاختيار، وقطع عنه جيوش الحرص وظلمات الأغيار، وكساه رداء السكينة والوقار: هذا سر ترك الطمع في الخلق، ورفع الهمة إلى الملك الحق.

ومن آداب المريد ألا يقوم لزيارة الشيخ إلا بهدية أو مودة قليلة كانت أو كثيرة، ولو لم تكن غيبته عنه إلا نحو الثلاثة أيام، وإن كان فقيرا ولم يجد شيئا من طريقه فليحتطب حطبات ويأتي به إن وجده أو غير ذلك، ومن لم يجد لا قليلا ولا كثيرا فلينفق نفسه، ومن لم يكن عنده إلا شيء قليل فلينفق منه قال مولانا تعالى ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ﴾ [الطلاق: 7] صدق الله العظيم. وأما إن قدم فارغ اليد فإن مدد الشيخ يمتنع جريانه له، كماء البئر إذا فقد منه الدلو والماء موجود ولكن لا سبيل إليه فافهم، ومن كان ذا مرض أو فاقة شديدة فلا ينبغي أن يمنعه ذلك من الزيارة، وذلك كله لمن طبعه طبع العوام وعلامته البخل، وأما من كان طبعه السخاء والمحبة فليقدم بالشيء أو بلا شيء، وقدومُه بلا شيء كقدومه بالشيء، لأن القوم ليس مرادهم الدنيا وإنما مرادهم خروج المريد عن طبعه المذموم الذي منعه دخول الحضرة، إذ الحضرة لا يدخلها بخيل، وقد قال الله تعالى فيمن لم يجد شيئا ينفقه ﴿ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ﴾ [التوبة: 91] بعد قوله ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ ﴾ [التوبة: 91]، وتأمل قوله تعالى ﴿ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ﴾ [المجادلة: 12] والمودة أي الصدقة تدل على أن الزائر جاء بقلبه وبدنه، وعدمها يدل على أنه جاء بالجسد دون القلب، ومن أتى بالقلب رجع بالقلب، ومن أتى إليه بالجسد رجع بالجسد فافهم، وينبغي لهذا المريد أن يملك نفسه للشيخ ليقوده إلى عالم الملكوت ويقف به على حضرة أهل الجود والكرم، فيعظم الآخرة على الدنيا، ويحب الانتقال من هذه الدار الفانية إلى الدار الباقية، ويشهد الدنيا سوقا في طريق الآخرة يتزود منه السائرون، وكثير من الناس اتخذوا هذا السوق دار وطن، وحجبوا عن دار البقاء، وألهتهم حياتهم الفانية، ورجعت الدنيا عندهم كأنها دار بقاء، فانكبوا على شهواتهم، واسترسلوا مع عوائدهم على مر لياليهم وأيامهم، ولا يعتبرون بآية سمعوها ولا بموعظة خوطبوا بها، لأنهم أموات نسأل الله السلامة في ديننا وعقلنا بمنه وكرمه ومن هنا قال شيخنا رضي الله عنه (ليس المرض الكبير هو

الحَب[1] الذي يخرج في الجسد بالقيح والصديد، إنما المرض الكبير هو حُب الدنيا) فافهم ما قاله رضي الله عنه.

ومن آداب المريد أن لا يقرب عياله لعيال الشيخ إلا بنية الزيارة والتبرك بهم لله لا غير، وينبغي لهم إذا قدموا لدار الشيخ أن لا يجلسوا أكثر من ثلاث سوائع إلا إن كانوا من بلد بعيدة فيجلسوا ثلاثة أيام، وإن أرادوا أكثر من ذلك فما شموا للأدب رائحة إلا لعزم كبير من الشيخ أو من أهل الدار على الإقامة، وينبغي لهم ألا يكثروا الكلام ولا الضحك ولا الأكل ولا الدخول والخروج بل يلزمون الحياء والوقار، ومن الواجب عليهم أن يقوموا بأشغلة الدار كلها، ومن علم من أولاده عدم القيام بهذه الآداب فليمنعهم من القدوم إلى دار الشيخ وليقل لهم أن حقيقة الزيارة لا تقدرون عليها لأنها عظيمة وزيارتكم من هاهنا أحسن، فإنهم إن قدموا وأساؤوا الأدب عاد ذلك عليك أيها المريد لا عليهم، فتؤذَى وأنت لا تشعر، وينبغي لهم ألا يقدموا إلا بهدية ومودة تفرح أولاد الشيخ كما تقدم في الأدب قبل هذا، ومن أقبح عيوب الفقير البخل مع عامة الناس فضلا مع شيخه، وإياك يا أخي أن تقول أنا فقير وعيالي فقراء فهم أولى بما يقدمون به على الشيخ، لأنا قدمنا أن المريد لا بد له من ذلك ولو لم يكن عنده إلا الشيء القليل لقوله تعالى ﴿ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ﴾ [الطلاق: 7] ولا يسمع قول نفسه الأمارة لئلا تخدعه، وعيوب الفقير البخل والكذب، واعتبر هنا لحكاية وقعت لشيخنا رضي الله عنه مع بعض من كان يطلب الطريق على وفق هواه وشهوته وينسب لنفسه الإخلاص ويتكلم فيه بل كان يدعي الأنانية المحضة ويتكلم في خرق العوائد، وذلك أن الشيخ رضي الله عنه كان يتكلم في الإخلاص وما ينشأ عنه فقام إليه ذلك الرجل وقال يا سيدي لم أر شيئا من هذه الأسرار التي تذكر وأنا لا أعلم في باطني بقية من البواقي، فقال له الشيخ بل هي باقية فيك، فقال وما هي، فقال له منها أنك إذا رزقك الله ستة فلوس وجاء من يطلبها منك تقول لك نفسك أنا أولى بها فتشح، فسكت، وكان يتكلم في الفقر

---

(1) الحَبّ: أي القروح والبثور التي تظهر على ظاهر الجلد.

كثيراً ولا يتهمه أخذ منا بشيء سوى الشيخ كان يتهمه، فضيقت عليه نفسه فسافر إلى ناحية المشرق فخرجوا عليه اللصوص فوجدوا عنده عشرة مثاقيل فأخذوها وتركوه، فرجع وظهرت عليه الخيانة، وزلت قدمه عن الطريق، ولم يزل في زيادة الضلال حتى عاد ينكر على الفقراء أحوالهم، نسأل الله السلامة بمنه، فتأمل رحمك الله ما صنع حب الدنيا بأهله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، عجبا لمن يدعي الخروج عن نفسه ولا يقدر أن يخرج ما في يده، وينبغي لهم إن أعطاهم أهل دار الشيخ شيئا لا يأخذوه لتكون زيارتهم لله لا لغيره فافهم إلا أن يكون مما يؤكل قليلا.

ومن آداب المريد ألا يلبس فضلة الشيخ من ثوب أو غيره، فإن أعطاه الشيخ فضلة من حوائجه فليرفعها وليحترمها ويعظمها ويتبرك بها لكونها قريبة العهد من الله كانت على جسد ليس بينه وبين الله حجاب، ومن لم يأخذها على هذا الوجه فليتركها ولا يأخذها، ويعتذر ولا يضره الاعتذار، لأن الشيخ شفيق على المريد، فإن حمل عنه الشيخ القيام بحقوقها فلا بأس بأخذها، واعتذار المريد في عدم أخذها يؤخذ من قوله تعالى ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا ﴾ [الأحزاب: 72] أي اعتذرن لربهن فإنهن لا يقدرن على حملها خوفا منهن أن يقعن في سوء الأدب مع الحق تعالى، واعتذارهن شريعة لا حقيقة، إذ هو مصحوب بالأدب، ولو كان عاريا عن الأدب لكان حقيقة، ولو كان حقيقة ما عذرهن الحق تعالى ولكلفهن بالحمل ردًّا على أنفهن، فتأدب يا أخي يرفع عنك كل مشقة ومحنة ونقمة.

ومن آداب المريد ألا يلبس ثوبا جديدا إلا بإذن الشيخ، ولو كان ما قيمته ثلاثة دراهم، لأن الثوب الجديد على المريد الصادق حرام، فإن لبسه فقد زلت قدمه عن طريق الصديقين، وعلامة الفقير الصادق أن يبيع كل ثوب جديد ساقه الحق إليه ويشتري به ثوبا خلقا ويتصدق بما فضل، والثوب الجديد الذي يقوم في الزينة مقام الثوب البالي من كون النفس لا تنظر إليه ولا الخلق فلا بأس بلبسه، وأما الجديد الرفيع فلا بد أن يشاور الشيخ في بيعه أو لبسه، فإن لبسه بغير مشورة كان مقتديا بنفسه، إذ الثوب الجديد الرهيف لباس أهل الدنيا، وحرام على أهل الآخرة أن يتزينوا

بزينة أهل الدنيا، ومن تزين بزينتهم بطلت نسبته الظاهرة، وإن بطلت النسبة الظاهرة بطلت الباطنة على التحقيق، ولا يكون الفقير فقيرا حتى يكون كاملا ذاتا وصفة أعني ظاهرا وباطنا، فإن لم يكن على هذا الحال بطل فقره عند المحققين، لأن الظاهر هو الذي يشهد لصاحبه بما في باطنه، وأيضا أما يستحي أن يكذب خَلق الله حين ينادونه بما ليس فيه فيقولون له يا فقير، وهذا التكذيب حقيقة، وأما شريعة فكذبه عليه، فاشهر نفسك يا أخي ظاهرا وباطنا، وإياك والتصنع والتزين بالأقوال دون الأفعال والأحوال، وتخلق بأخلاق الفقراء الذين وصفهم الله في كتابه العزيز وإلا ستفضح قال مولانا تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ ﴾ [الحشر: 8] الآية، ومن علامتهم أن تحن القلوب عند رؤيتهم وتنحل الأيدي المعقودة وتخضع لهم الرقاب المتكبرة، وسبب هذا ملازمتهم لأوصافهم من فقر وذل وضعف وعجز وجهل وغير ذلك، اختيارا منهم واقتداء بنبيهم صلى الله عليه وسلم، تركوا الشهوات مع وجودها لديهم محبة في الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فإن أردت يا أخي أن تكون منهم فتخلق بأخلاقهم، ومن لم يتخلق بأخلاقهم فلا يطمع في نيل مراتبهم ولو كان على عبادة الثقلين إلا إن كانت له فيهم محبة عظيمة وكان يؤثرهم على نفسه، لأن الفقر والمسكنة عنهما تفرعت العبادات كلها، فاسلك يا أخي على يد شيخ يعالج أمراض قلبك وتبرأ من هم الرزق ومن محبة العز والجاه، فإن هذه العلل هي التي قطعت كثيرا من السائرين إلى الله تعالى، وهي عتبة كبيرة، فمن جازها سهل عليه ما بعدها والعكس، فالزم يا أخي أهل حضرة الله واصبر على مناقشتهم وإقماعهم وإهمالهم لك، فذلك منهم كله حرب مع نفسك الأمارة لا معك، فاصبر حتى يقطعوا بك القواطع التي قطعتك عن الفكرة ومنعتك من دخول الحضرة، فإن صبرت نبتت، وإن نبتت لقحت، وإن لقحت زهرت، وإذا زهرت أثمرت، وإذا أثمرت أكلت ووكَّلت[1]، وما ذلك على الله بعزيز، فتأمل يرحمك الله، فإني طويت لك الطريق بنعت التحقيق، والله عليم حكيم.

---

(1) وَكَّـلَتْ: أي أطْعَمَتْ.

ومـــن آداب المـــريد ألا يشكو لشيخه حوائج دنياه، فإن عسر عليه شيء فليتوســـل إلى الله تعالى بشيخه ولا يظهر ذلك، ومن أظهر ذلك فقَلَّ أن يفلح، فإن دخوله في حضرة الشيخ كان بنية الآخرة لا بنية الدنيا، وحينئذ فلا يطلب خلاف ما قـــصد، وإن طلب كان ذلك غشا منه وسوء أدب، ومن كان على هذا الحال فهو محسوب من العوام، فإن ظهر من المريد شبه هذا فليعترف لله ولرسوله وللشيخ بأنه مـــسيء الأدب ثم يـــتوب إلى الله توبة نصوحا ظاهرا وباطنا، ظاهرا بالجوارح مع الشيخ، وباطنا بالقلب مع الله ورسوله، والله تعالى أعلم، وينبغي له أيضا ألا يشتكي بالفقـــر وإذايـــة الخلق ولا للإخوان ولا لغيرهم، بل يلزم نفسه المجاهدة والمكابدة والصبر على معرفة الله، فإن المعرفة أولها صبر ومجاهدة، ثم حب ومكابدة، ثم غيب ومـــشاهدة، ثم صحو ومكالمة، فمن كانت بدايته كما ذكرنا كانت نهايته كذلك، واعلـــم أن المريد إذا اشتكى للشيخ الفقر والإذاية سقط من عينه إلا إن كان جاهلا بعلم الطريق فيعلم، فإذا علم ثم شكا سقط من عينه، لا سيما إن كان يدعي القرب مـــن الحـــضرة ويزعم أنه ثابت في النظرة، فإن شكواه تكذب دعواه، والراسخ في المعـــرفة لا يخفى، وعند وجود التعرفات يعرف كل واحد حده، ولا تبقى دعوى خفية عند وجود البلية فافهم، والمريد الحقيقي لا يشتكي من جوع أو عري أو غير ذلك محبة في الله، ولأنه لا يعلم فاعلا غير الله، ولا يشتكي إلا من شهد فعل غيره، ومن كان كثير الشكوى لا يصلح للحضرة، لأن الحضرة لا تصلح إلا للرجال، وهذا مـــن جملة النساء، لأن النساء يشتكين من قرص ذبابة لكثرة عزة نفوسهن عليهن، وينبغـــي لهـــذا المـــريد أن يروض نفسه وأن يلزمها الذل حتى ترجع بمنزلة الكلب الأبرص يستثقل الناس النظر إليه فضلا عن القرب منه لأكل أو غيره، لتذوب نفسه وتفـــنى وتضمحل وترق وتدق ليسرع دخولها من باب الحضرة، لأن باب الحضرة ضيقة على النفس المتكبرة بالمال والجاه أو غير ذلك من العلل التي منعت كثيرا من الناس دخول الحضرة، والحضرة معنى، ولا يدخل الحضرة إلا من كان معنى، ومن لم يحمل الفقر والإذاية فليس له نصيب في الولاية.

ومن آداب المريد ألا يسرع بالجواب إذا شاوره الشيخ في أمر ديني أو

دنيوي، بل يتأنّ ويتأمل ما مراد الشيخ، فإن فهم مراده فليجاوبه بما أراد منه، وإلا فليقل له أنت أعرف يا سيدي، لأنه هو أعرف منه بجميع الأمور الدنيوية والأخروية، ومشاورته معه امتثالا لأمر الله لقوله تعالى ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ [آل عمران: 159] أي لكونهم ظنوا أن النبي صلى الله عليه وسلم اختلف في شيء أو خفي عليه أمر، ومشاورته مع أصحابه صلى الله عليه وسلم إنما هي إظهار للعبودية فقط، وكذلك ورثته صلى الله عليه وسلم، فمن جهة الحقيقة لا يحتاج إلى مشاورة أحد، ومن جهة الشريعة أمره الحق تعالى بمشاورة أصحابه ليقف الكُمَّل من ورثته على حد الشرع، ولولا تشريعه صلى الله عليه وسلم لانهتك سد الحقيقة على الشريعة فتبطل الشريعة، فما ظهرت أنوار الحقيقة إلا بوجود الشريعة فافهم.

ومن آداب المريد أن لا يستبرأ بموضع يراه الناس، أحرى في ذلك إخوانه الفقراء، أحرى وأحرى شيخه، إلا إذا كان مغلوبا بالمرض أو شبهه، ومن فعل شيئا من ذلك لغير عذر فقد خلع ربقة الحياء من يده، ومن أعرى ظاهره من حلة الحياء أعرى الله باطنه من حلة الإيمان، وأيضا قاضي الجماعة بمرأى من الناس متهم في التقوى لأن التقوى تحمل صاحبها على الأحوال الحسنة، والاستتار في الاستبراء من أحسن الأحوال وأشرفها، وإذا كان المريد مطلوبا بستر الحقائق النورانية فكيف لا يطلب بستر الحقائق المظلمة، وما رأينا أحدا من أهل تربية الأخيار يفعل ذلك فضلا عن أهل تربية الأولياء الذين ينظرون المريد بنور الله ونور رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن كان بين أيديهم وظهر عليه شبه هذا فهو ميت القلب، وحضوره بين أيديهم بالجسد فقط، كالذين كانوا ينظرون النبي صلى الله عليه وسلم بعيون رأسهم دون قلوبهم، وما رأيت أحدا مال إلى أولياء الله بقلبه وبقي سيئ الخلق والعكس فاعمل يا أخي قلبك مع أولياء ربك فإنهم ورثة الأنبياء في الحال والمقال، ومن ثمرة جلوس العارفين وصحبتهم الحياء، والمريد ينبغي له الحياء من سائر المسلمين ويراقب فيهم نور الإسلام الذي هو من نور رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو من نور الله، ويعظم الحياء في حق الأولياء لعظم نورهم، وسواء كانوا أحياء أو أمواتا،

وفي حق الأحياء أعظم، ومن علامة رسوخ الإيمان في القلب ظهور الحياء على الجوارح، ومن لم يظهر عليه الحياء فهو كاذب في دعوى الإيمان، يصدق عليه قوله تعالى ﴿ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا ﴾ [الحجرات: 14] فلو حصل لهم الإيمان حقًا كما زعموا لحصل لهم الحياء منه صلى الله عليه وسلم ولا قدروا أن يقولوا آمنا ولكن يقولوا أسلمنا وهذا أدب من حصل له الإيمان فافهم قال تعالى ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [النجم: 32] إذ لا ينبغي للمؤمن الحقيقي الذي يخاف الله أن يقول أنا تقي من غير أن يقول حقًا فلا بأس، نعم إن استوت فيه الأضداد وقال أنا مؤمن حقًا فلا يضر ذلك لأن مقامه اقتضى ذلك، وقد قال صلى الله عليه وسلم لحارثة كيف أصبحت يا حارثة قال أصبحت مؤمنا بالله حقًا قال فما حقيقة إيمانك قال عزفت نفسي عن الدنيا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عرفتَ فالزم، فاسلك يا أخي على يد شيخ عارف بالله قائم بسنة الخواص والعوام بلغ في البعد من الدنيا الغاية وبلغ في علم الأحوال الغاية إن أردت الوصول إلى ما تطلب، وقد تشعبت الطرق وتوعرت على سالكها ولا سيما في هذا الزمان، ومن لم يسلك على يد أهل الأحوال فلا يجد طريقا عن طريق الأقوال، وكيف يكون الوصول بالأقوال دون الأفعال، وقد ظهر لي أن الطرق الظاهرة كثيرها معلل بحب الجاه والرفعة والسمعة، لأن العاجلة دخلت معهم دخولا تامًّا، وتأمل ترى ذلك بعين رأسك، فعليك يا أخي بشيخ عارف كامل يخرجك من شبكات الهوى ثم يمنحك الفوائد ويمنعك العوائد ويعرفك بأصول السنة وفروعها وحينئذ يحسن ظنك بأهل الأحوال فتبلغ مبالغهم وتحصل الراحة والهناء والعافية وتعرف أين قلبك من القلوب وأين جسدك من الأجساد والله تعالى أعلم.

ومن آداب المريد أن يحب بحب الشيخ، ويبغض ببغضه، ويفرح بفرحه، ويحزن بحزنه، ومن كان على العكس فهو مرائي منافق ليس له اقتداء بالشيخ، وكيف يسير إلى الله من يحب ما أبغضه شيخه أو يبغض ما أحبه، فالواجب على المريد أن يحب ما أحبه شيخه وأن يبغض ما أبغضه شيخه ويكون قلبه على قلبه

وجسده على جسده، فإن كان على هذا الوصف فهو محب صادق، ولبيب حاذق، وللزوم أهل القلوب لائق، وبدسائس نفسه عايْق[1]، وبشطحات الوجد طارق، وللقاء المحبوب شائق، وفي عين بحر التوحيد غريق، ومن هنا وصل من وصل، وانفصل من انفصل، فكن يا أخي موافقا لأستاذك في جميع أقوالك وأفعالك، ليتخرج حسك بحسه ومعناك بمعناه، وحينئذ تفتح لك باب حضرة الأولياء والملكية ثم باب حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم باب حضرة الحق تعالى، فرَحِمَ الله من تفرغ لصحبة الرجال قلبا وقالبا، ففرح بفرحهم، وحزن بحزنهم، ومشى على منهاجهم اللطيف، وترك منهاج أهل الحجاب الكثيف، فإياك يا أخي والتخلق بأخلاق العوام: اللسان يضحك والـقلب يشرك يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم وهذه صفة أهل الهزل، وأما صفة أهل الجد فالظاهر عنوان الباطن، واعلم أن الطريق إلى الله تعالى طريق جد، ومن لم يكن صاحب جد لا ينال منها شيئا، فينبغي للمريد أن يجاهد نفسه في الخروج من واد النفاق وأكثر ما يقع مع المدعين والجبابرة وأرباب أهل الدنيا، فأما المدعون فيقع النفاق معهم استحياء منهم، وأما الجبابرة فلأجل الخوف منهم، وأما أرباب الدنيا فللطمع فيهم وهو من أقبح القبائح للمريد، ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴾ ، ولا بد لمن أراد الخروج من هذا الوصف الذميم من رياضة عظيمة وصبر شديد على مناقشة شيخه في خرق عوائد نفسه، حتى ترجع عن هواها، ويدفع عنها شرها وبلواها، حتى تحصل له الغيبة، فيمتلئ قلبه خشية وهيبة، فيشغله ذلك عن الهزل والمزاح، وحينئذ يستريح من التعب، فافهم.

ومـــن **آداب المريد** أن لا يُظهر العلم أمام شيخه وكذلك الأحوال والفراسة، ولو كانت مواهبه كالسحاب، إلا إن غلب عليه حال فالدية حينئذ على القاتل، لأن صاحب الحال سقط عنه شروط الأدب لكونه محكوما عليه، ومن أكبر سوء الأدب

---

(1) عايْق: أي فَطِن.

أن تتظاهر بالعلم على مَنْ عَلَّمَكَ، وقد كنتَ جاهلا أعمى أبكم أصم، وقد علَّمك علـــم التحقيق وكشف عن قلبك حجاب الغفلة، فسمعتَ ما لم تسمع ورأيت ما لم تر ونطقت بما لم تتعلم قبلُ، فكيف يليق بك يا أخي أن تظهر القوة في العلم والحال وأنت نقطة من بحر علمه وحاله، وتدعي صفاء البصيرة ونور البصيرة وأنت لمحة من بصيرته، وتدعي فصاحة اللسان وأنت لغة من لغاته، وتدعي المكالمة مع الله وأنت لم تحصل المكالمة مع أولياء الله، فلو فهمت المكالمة وسمعت المناجات لفهمتها من أيـــن هـــي، ولعرفت قدر من كان سببا في وصولها إليك ولتواضعت له وانكسرت واحتقرت وضعفت، ولتركت علمك وعملك وأحوالك وقمت مقام العبد المملوك بـــين يدي الملوك، ومن لم يكن على هذا الحال فهو من قوم نيام لا يصلح للحضرة ولا للجلـــوس مع أهلها، وإنما يصلح لكنس المزابل الخبيثة لعل نفسه تموت بذلك وتقـــرب وحينئذ تساعده على الأدب مع أهل الله، والله يأخذ بيد مَنْ عثر، وينبغي لهـــذا المـــريد أن يـــروض نفسه ويلزمها الصمت والجهل ظاهرا وباطنا حتى يصير كالبهيمة لا تتكلم إلا عند إرادة إشباع بطنها، هذا لمن أراد النصح لنفسه، ومن أراد أن يغشها فليبادر إلى الكلام وليجاوب عن كل ما بدا له قال في الحِكم[1] (من رأيته مجيـــبا عن كل ما سُئِل ومعبرا عن كل ما شهد وذاكرا لكل ما علم، فاستدل بذلك علـــى وجـــود جهله)، وكثرة الكلام والإشارات من دعوات المريد، فإن النفس لا تحب أن ترى جاهلة لكثافة حجابها، اللهم اجعل بيننا وبينها نظرة قلبية تحجبنا عن رؤيتها وتمنعنا من دخول حضرتها الباطلة بمَنك وكرمك أن لا يستحق أحد شيئا إلا بفـــضلك، فألهمنا اللهم أسباب القبول إلهاما حاليا، كما ألهمت إبراهيم خليلك عند نزول بلائك، وغيِّبْنا بمعرفتك عند نزول جلالك، اللهم من أنعمت عليه فتحت له بـــاب الرضـــا والتـــسليم وعرَّفته ذلك في نفسه وألهمته الصواب معك والأدب في حـــضرتك، فامـــنن عليـــنا بفضلك. اللهم من اخترته لحضرتك، فقد أنعمت عليه بمعرفتك، وهيأت له التعرفات، لترفع له الدرجات، وقدمت له في هذه الدار جملة ما

(1) أي قال سيدي ابن عطاء الله في حِكَمِه.

كان في سابق أزلك، مرسوما في لوح حكمتك بقلم قدرتك، فامض اللهم علينا هنا من ذلك حظا وافرا، بلطف منك ورحمتك، وعرفنا اللهم معرفة كاملة بمكالمة محفوفة بأنواع الأذواق بطلوع شمس توحيدك، واجعلنا هائمين في بحر أحديتك، متحيرين بوجد محبتك، عند مُلكك وملكوتك وجبروتك، غائبين مع مَنْ سكر، حاضرين مع من حضر، يا أرحم الراحمين يا رب العالمين.

ومن آداب المريد إذا اتخذ شيخا كاملا واصلا موصلا جامعا لأنواع الجذب والسلوك يسير على طريقة التجريد والاكتساب كيف ما شاء، ألا يلتفت إلى سواه كائنا من كان، وإن التفت إلى سواه فلا ينال ربحا أبدا، بل ولو اتخذ ألف شيخ كلهم جامعين لا ينال شيئا لعدم نيته وقلة صدقه، إذ لو كانت عنده نية لوجد حاجته في موضع لا يتهم بسر ولا بركة ولا خير قط لقوله صلى الله عليه وسلم (لو حسن أحدكم نيته في حجر انتفع به)، فما منع الناس من نيل حوائجهم سوى قلة نيتهم، فافهم، ولو وجدت النية لوجد الخير كله أينما كان.

ومن أدب المريد أن لا يطالب شيخه بالكرامات وأن لا يخدمه لأجل ذلك، ولا يطلب ذلك إلا من لا عقل له ولا علم ولا خير فيه، والذي ينبغي أن يطلب المريد من شيخه: أن يذكره الله وينسيه نفسه ويزهده في الدنيا ويرغبه في الآخرة ويعرفه بحقيقة ما خلق لأجله من العبادات لله خالصا ويقهره عن الشهوات بمذاكرته وهمته ويمنعه الدعوات ويحبب له أوصافه ويقوده إليها بسياسة حتى لا يدري أي وقت حصلها ويصلحه مع الفقر وغيره حتى يكون الدين كله لله، ولا يبلغ المريد حقيقة المحبة والتعظيم والصدق حتى لا يطلب من الشيخ غير ما ذكرنا، وأي شيء أعظم وأكبر وأجل من الاستقامة التي جاءنا بها البشير صلى الله عليه وسلم، فما من كرامة ظاهرة وباطنة إلا وهي ناشئة عن ذكر الله وراجعة إليه، ويكفي الذاكر من الكرامات كونه جالسا في حضرة الله ما دام ذاكرا لما في الحديث القدسي (أنا جليس من ذكرني وأنا معه حين يذكرني) إلى آخره، ومن لم يشعر بهذا تكفيه محبة الشيخ لله، المرء مع من أحب، ومن لم يقنع بصحبة الأخيار ومجالستهم فهو غير شاكر لنعم الحق تعالى عليه، وعدم الشكر موجب لسلب النعم، كما أن شكرها

موجب لنيل ما هو أعظم من ذلك، قال تعالى ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: 7]، ويكفي المريد من الشيخ أن كان ضالا عن الطريق فأرشده إليها، وكان لا يتعظ بموعظة فوعظه فاتعظ، فاعقد يا أخي النية الصالحة والظن الحسن واقرب إلى شيخك تهتدي وترشد وتنال ما تشاء، وما تعطل الفتح على كثير من الناس إلا لقلة نيتهم وسوء ظنهم في أولياء الله تعالى، نسأل الله اللطف بمنه.

ومن آداب المريد مع الشيخ ألا يشرع في حال من الأحوال إلا بإذن شيخه، وكل شيء فعله من غير إذن فلا يجد له سرًّا ولا بركة، لأن السر مرموز في الإذن لا في العمل فافهم، وكذلك إن أذن لك بشيء كالسؤال مثلا فلا تشرع فيه حتى تعرف حقيقته، فإن لكل حق حقيقة، وحقيقة السؤال أن لا تترك شيئا مما عندك قليلا كان عندك أو كثيرا، وحينئذ تذوق حلاوته ظاهرا وباطنا، ظاهرا ذلا وإهانة، وباطنا عزًّا وولاية، وأنت بين الحالتين تتبختر، إن نظرت إلى ظاهرك وجدت وصف البعد، وإن نظرت إلى باطنك وجدت وصف القرب، فسبحان مَنْ ألف بين العسل والقطران، فمن لم يجمع بين الضدين فليس بواصل مواصل العرفان، ومن جمع بين الفقر والغنى والذل والعز والفقد والوجد وغير ذلك فقد أمن شر كل البواقي. ثم إن سألت أيها الأخ شيئا قليلا كان أو كثيرا فخذ نصفه، وتصدق بالنصف الباقي كفارة للنصف الأول، هذا إن كان لك أولاد، وإلا فيكفيك منه ما ترد به جوعك وما تستر به عورتك مثل الكرمة اليابسة والجبة الخشينة مما يقيك البرد والحر، والزيادة فوق هذا حرام أخذها.

ومن آداب المريد أن لا يظن بشيخه أنه يبغضه أو يهينه ولو قَلَّ أدبه أو ليس هو عنده في نظر كبير أو أنه يرفع عليه غيره ولو كثرت خدمة ذلك الغير، فإن هذا كله سوء أدب يوقع صاحبه في الحسد، والشنئان في الإخوان يقع فيه من لا صدق له، والمبتلى به قلَّ أن يفلح، قال تعالى ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [فصلت: 23]، وأهل الحضرة مطهرون من مثل هذا،

لأن المريد إذا ظن بالشيخ ما ليس فيه كان متصفا بالبهتان العظيم، فإن الفقراء عند الشيخ كأصابع اليد كما قال الشَّرْقِي[1] ليس واحد منهم أعز من الآخر ولو فعل ما فعل، فطهرْ قلبك يا أخي من أوصاف البشرية التي منعت أسرار الروحانية لتكون من أهل الأجساد النورانية، لقد انحجبت في محل رفع الحجاب، وأسأت الأدب في لباب الأدب، والزمْها الخروج من حضرة سوء الظن إلى حضرة حسن الظن، وامنعها من شهواتها، وطهر قلبك من رعونات بشريتك، وانصر الله ولا تنتصر لنفسك لينصرك الله ويثبت قدمك، والله غالب على أمره.

ومن آداب المريد أن لا يكتم محبة الله ورسوله وشيخه وإخوانه إن كانت له قلبية، فإن في إظهارها زيادة إلى الله عز وجل، قال تعالى ﴿ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة: 105] أي محبتكم، وإظهارها يكون بالخدمة والتعظيم والتحدث باللسان، واعلم أن المحبة هي أفضل الأعمال، وقد يبلغ العبد بالمحبة ما لا يبلغ غيره بكثير من الأعمال الزكية فضلا عن غير الزكية، وقد قال شيخنا مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه: الشوق يوصل إلى الله بالطريق أو بغير طريق انتهى، لأن ثمرة الأعمال كلها راجعة إلى المحبة والشوق، ولا فرق بين المحبة والشوق إذ هما اسمان لشيء واحد، والمستمسك بالمحبة لا يفوته شيء من الخير والسر، فتأمل ذلك فإنه رقيق، والزم نفسك الأحوال التي تنبت المحبة والشوق لتقرب عليك الطريق، والله المعين، وفي إظهارها أيضا زيادة المحبة والتعظيم لمن أراد الاقتداء بأحوال الإخوان لكونه رأى نفسه ليست بأهل لأحوال الشيخ، لأن أقوال الشيخ رضي الله عنه كبيرة على أهل الصدق فضلا عن أحواله، فأقواله شهاب الحضرة تحرق النفوس البعيدة المدنسة بالشهوات، وكيف يتلقاها الضعيف مثلي، ومن هنا كان كلام أهل الإخلاص ثقيلا لا يقدر أحد على العمل به، بخلاف كلام الإخوان فإنه يخف من بعضهم على بعض لعدم التمكين في الإخلاص، والنفسُ تشم رائحة البقية فتسكن إليها وتطمئن، فلا تزال تسمع منهم حتى تحمل أحوالهم، فإذا اندرست بحال

(1) أي الولي سيدي بُوعَبِيْدْ الشرقي، دفين مدينة أبي الجَعْد، جنوب الدار البيضاء، في المغرب.

الإخـــوان واستمرت معها عادت تحمل أقوال الشيخ، فإذا اندرست بأقواله عادت تحمـــل أحـــواله، فإذا اندرست بأحواله حصل له التمكن في الإخلاص، والله تعالى أعلـــم، ولا تظـــن أن كل من دخل يد العارفين دخل بالنية والصدق، فإن النية أمر عظـــيم، فمـــا بالك بالصدق، بل الداخلون على ثلاثة أقسام: منهم من دخل بالنية والصدق، ومنهم من دخل بالنية دون الصدق، ومنهم من دخل بغير نية ولا صدق، فـــصاحب النـــية والصدق فتحه بمجرد وصوله، وصاحب النية فتحه بعد وصوله، والـــذي لا نية له ولا صدق يطول فتحه لأنه يحتاج إلى معالجة كبيرة، وقد يمكث المـــريد مع الشيخ الثلاثين والأربعين سنة ولا يكمل صدقه، إذ الصدق أمر عظيم، ومـــن كمل صدقه كملت ولايته، ومن علامة كمال الصدق أن لا يشير إليه أستاذه بشيء إلا فعله ولو كان مزاحا ولا يفعل شيئا بغير إذنه حتى لو تيسر له أن يشاوره في كـــل ما يتقوت به لما أكل شيئا إلا بإذنه، وهذا حال كبير، فاعمل يا أخي على قـــدر استطاعتك، قال الله تعالى ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: 16] وهذه رحمة بالـــضعفاء، وأما قوله تعالى ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ [آل عمران: 102] فهي للأنبياء والكُمَّل من الأولياء، فألزمْ يا أخي نفسك النية والظن الحسن إن أردت أن تقدم على شيخ عارف يوصلك للحضرة، وإن قدمت عليه بغير نية وصدق شققت عليه غاية، فيشق عليك هو أيضا، ومن شق عليه الشيخ فقل أن يفلح، لأن الشيخ لا يشق على أحد إلا إن أراد اختباره وفضيحته: إما لربح ظاهر أو لخسران ظاهر، ولا يفعل ذلك إلا مـــع من طالت صحبته ولم تظهر عليه ثمرته، وقد يشق على بعض المريدين في أول قدمـــه لـــشدة تحققه بصدقه ولكن هذا نادر والنادر لا حكم له فتأمل ذلك، والـــداخل بغـــير نية منافق عند أهل النية، ولذلك يشق على الشيخ معالجته، فمثله كالمـــنافقين الذين كانوا يقولون لا إله إلا الله، فمن تخلص من النفاق إنما ذلك بعد مدة طويلة، كذلك المريد الذي لا نية له لا يتخلص من الهزل والمزاح وغير ذلك إلا بعد مدة طويلة، وصاحب النية لا يكون كثير الهزل والمزاح ولا الضحك ولا اللعب ولا غـــير ذلـــك بل يكون صاحب جد لعظم ما تعلقت همته به، والنية هي مفتاح الإسلام وكذلك لا بد منها لمن أراد الترقي للإيمان والإحسان على يد العارفين، والـــذي لا نية له لا يحصل شيئا ولو جلس كذا وكذا وعمل كذا وكذا فلا يظهر له شـــيء من نتائج الصحبة ولا من نتائج العمل، فإن البناء من غير أساس لا يستقيم،

وأوصيك يا أخي ألا تعمل عملا إلا إذا استحضرت النية حالا لا علما فقط، وحينئذ مهما غرست شيئا إلا وأكلت ثماره في الحين (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) أي في الحين والله تعالى أعلم، فمن أراد حصول النية في القرب فليصدق ولا يكذب، فوالله ما لزم أحد الصدق وخاب من النية قط، ولو لم تكن عنده لجاءت سريعة، وما لزم أحد الكذب وبقيت عنده ولو كان معمورا بها، فتأمل ذلك يرحمك الله، فإن الصدق مع عباد الله صدق مع الله، والحق تعالى إنما أبرزك إلى عالم الأشباح ليعرفك قدر دعواك في عالم الأرواح، لأن الأرواح يوم ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ كلهم ادعوا الصدق وأقروا به، وهو أعلم بمن اهتدى، فاصدق يا أخي ما استطعت، قال شيخنا حجة الإسلام سيدي مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه (من أراد أن يصدقه الله في كل ما يقول، فلا يكذب ولو رأسه يزول)، وينبغي لطالب الصدق أن يصحب شيخا عارفا بالله تعالى يسلك به مقام الخوف من الله تعالى حتى يضعف حجابه الكثيف فيستحضر الآخرة كل وقت وحين ويرى الدنيا كأنها لم تكن ويرى النار كأنها إنما خلقت لأجله ويرى أنه يستحق النار بأفعاله القبيحة، ثم يسلك به مقام الرجاء حتى يرى الجنة كأنها إنما خلقت لأجله، ثم يجمع له بينهما، فإذا تمكن مقام المراقبة نقله إلى مقام الغيبة حتى يكون الكون معدوما في نظره من شدة ما أشرق على قلبه من أنوار التوحيد، ثم ينقله إلى مقام الحضور حتى يتم سلوكه فيرى الكون موجودا، فإذا انتهى إلى المشاهدة تركه وربّه. وينبغي أيضا لمن محبته ضعيفة أن يبديها ويصرح بها، فإن في إظهارها إعانة على دفع الظنون والشكوك والأوهام التي هي من جنود النفس الأمارة لأنها تحقر صاحبها وتهينه وتذله إذا علمت منه الصدق في طلب الله تعالى فتجدها تحدثه بأحاديث الغفلة على صفة اليقظة وتقول له لا خير فيك ولا نية ولا صدق ولا محبة لو فعلت كذا وكذا لقويت نيتك ولعظمت محبتك ولكثر صدقك، ومرادُها منه أن تكسر ظهره بثقل ما تحمله لكي يسمح[1] في الخلطة كلها، فتأملْ في غشها يا أخي وخداعها، وذلك حين عزم على قتلها فأسرعت إلى قتله قبل أن يقتلها، فإذا علم منها هذا وشبهه فليبح بالمحبة

(1) يسمح: أي يترك.

والـــصدق والنية والخدمة وغير ذلك ليدفع شرها عنه، وإن لم يكن فيه ذلك حالا، فإياك يا أخي أن تغتر بسماع حديثها قبل أن تقطع بها قواطع الجلال وتساعدك في طريقه مدة طويلة حتى تستنشق رائحة الصبر عند نزول المصائب ورائحة الحلم عند وجـــود الغـــيظ ورائحـــة الكرم عند وجود البخل ورائحة العلم عند وجود الجهل ورائحة البسط عند وجود القبض ورائحة القوة عند وجود الضعف ورائحة العز عند وجـــود الذل وما أشبه هذا وتوسع عليك في هذه الأحوال كلها وتردك إلى ذكر الله قهـــرا، فإن علمتَ منها هذا وتحققته تحققا واضحا فاستدل بذلك على إخلاصها، وإن لم يظهـــر ذلك ماذا ذكرناه فلا تأمنها وإن كانت تساعدك في قيام الليل وصيام النهار وغير ذلك، قال الله تعالى ﴿ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ﴾ [الأنعام: 70] يعـــنى النفس الأمارة بالسوء فإنها تأتي لصاحبها بأحوال العدل ومرادها منه ما قدمـــناه فـــافهم، وهذا كله قبل الرسوخ والتمكين في المجاهدة، وأما إذا صبرت مع صاحبها حتى يقطع بها قواطع الجلال كالفقر والذل والضعف والعجز وغير ذلك من الأوصـــاف التي تحفر على عروق عروقها حتى تصير أوصافها عندها كدارها ومالها وأولادها وشهواتها كلها مهما أردت نقلها منها فلا تقدر كما كنت في الابتداء تريد أن تدخلها في وصفها فلا تقدر، فإذا سكنت هذا السكون واستقرت هذا الاستقرار ولم تبق عقبة واحدة فهناك ينبغي لها تزكيتها، ظاهرا بالقول، وباطنا بالفعل، قال الله تعـــالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ ﴾ [الشمس: 9] على طريق أهل الإشارة واعمل بهذا وتأمـــل إن ظهـــر لك وجهة كما ذكرنا وقال تعالى ﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝ ﴾ [الشمس: 10] يعـــني من تحقق بإخلاصها كما ذكرنا وشهد له أهل الإخلاص وبقي مـــتهما لهـــا يظهر دسائسها بعد كمالها فقد ظلمها، ومن ظلمها خاب من إظهار أسرارها وشروق أنوارها ونسمات أزهارها، ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾، لأن النفس المخلصة المطمئنة أقرب لصاحبها من كل أحد وأصدق إليه، فهي أولى بالإحـــسان، وفي الحديث (ابدأ بنفسك ثم بمن تعول) فافهم معناه رحمك الله، فإن الـــنفس الغير المخلصة الواجب على صاحبها أن يبدأ بغيرها وكيف يبدأ بها والحق تعـــالى مدح بالإيثار المخلصين فضلا عن غيرهم، وإياك أن تفهم الحديث على غير معـــناه. واعلـــم أن الـــنفس إنما سميت مطمئنة لكونها اطمأنت بشهود الله بعد أن

اطمأنـــت بوصفها وسكنت فيه سكونا لا خروج بعده، وسميت أمارة لكونها تأمر بالاتصاف بأوصاف الحق كالغنى والعز والقوة والكبرياء وغير ذلك وتنهى صاحبها عـــن الاتصاف بأوصافه وليست بظالمة في حقيقة الأمر لأنها تشير إلى قرارها الأول الذي هو عالم الملكوت فأخذت من جهة الشريعة التي لها الحكم هنا دون الحقيقة وما ذلك إلا بجهلها بعالم المُلك لكونه اختفى عنها بالتحسس الكثيف وحصل لها إنكاره، ولو اتخذ صاحبها شيخا عارفا لعرفه حقيقة الكون وحققه به وحينئذ فلا تطلـــب نفسه الصعود عنه إلى عالم الملكوت، لأن عالم الحس هو الذي أظهر عالم المعـــنى، والشيء الذي أظهر ضده هو عينه، فحق الحقيقةِ الشريعة فافهم، فكما أن الحقـــيقة حـــق، فالـــشريعة حق، فإذا تحققت هذا التحقيق وشهدت الحقيقة حقًا والشريعة حقًا وقمت بحكم هذه وهذه عادت نفسك راضية مرضية داخلة في عالم الملكوت بالله وداخلة في عالم المُلك بالله، وهذه نفس الكُمَّل من ورثة الأنبياء عليهم الـــسلام، وأما نفس المستغرقين فهي داخلة في عالم الملكوت بالله خارجة من عالم المُلـــك بـــالله وكـــذلك نفس المجاذيب والحُكْمُ مرفوع عن أهل الغيبة حال غيبتهم كالمجاذيب، والله عليم حكيم.

ومن آداب المريد أن لا يوصل كلام الخواص للعوام، ولا كلام العوام للخواص، لئلا يمقت، ولو لم يكن من المقت إلا ما أصابه من الغفلة عن الله حتى أصغى بقلبه إلى غير ذكر الله، ولو كان قلبه مشتغلا بذكر الله ما أصغت الجوارح إلى مثل هذا، فإن من الحرمان أن يسرق كلام أهل الحضرة ويفشيه لغيرهم، أو كلام غيرهم ويفشيه لهم. ألم الألم مريد نمام ﴿ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ ﴾ الآية الذين يسترقون السمع، فصاحب هذا الحال معدود من الشياطين، فمن وجد في نفسه شيئا من ذلك فليبادر إلى الله تعالى بالتوبة والاستغفار، فإن الله يتوب على من تاب، لأن حضرة أهل الله طيبة مطيبة، وكيف يليق بطالبها أن يكون باطنه مشحونا بالخبث وكذلك ظاهره، هذا لا يكون، فإياك يا أخي والاستهزاء بحرمات الله، وأعظم حرمات الله كافة المسلمين فضلا عن الصالحين منهم فضلا عن أولياء الله العارفين، فوالله ما دخل أحد حضرتهم باللهو واللعب إلا وانتقم الله منه عاجلا. وينبغي للمريد إذا كان في موضع من مواضع الغفلة أن يشتغل بذكر الله سرًّا وجهرا، ولا يتراخى حتى تنحل باب مدينته ولا يبالي بكل من دخل، فإن العدو يدخلها ويملكها ويخرجه

منها قهرا، وحينئذ تخطفه السباع واللصوص وهي الشهوات، فأغلق يا أخي باب مدينتك، وكن عساسا[1] على الدوام، ولا تطلب الراحة والهناء قبل التعب، والله المعين.

فصْل: ومن آداب المريد بل من فرائض حاله أن لا يتهاون برياضة نفسه، ولو بلغ من الرياضة ما بلغ، ومن تهاون بها وتراخى فيها حتى انحلت عزائمه وفشلت قوائمه فذلك دليل على ميل قلبه إلى الدنيا، إذ لا يقع العبد في التكاسل عن الرياضة إلا إن أخذ قلبه وحصل في شبكة الشهوات، وعلامة من أخِذ قلبُه: اللسانُ يشير إلى الخوارقِ والجوارحُ تتعلق بالعلائق، أو نقول اللسان يشير إلى الرياضة والجوارحُ عاجزة عن الإفادة بميلها إلى العادة، وحيث حَلَّ صاحبها عقدة الرياضة صارت الشهوات صيّادة، فاللسان يشير إلى المعنى، والقلب مصروف إلى ما يفنى، كذلك كنا لولا فضل الله علينا، كذلك كنتم من قبل فمَنَّ الله عليكم، أللهم إنا لا نستحق شيئا إلا بفضلك، ولو أردت هلاكنا لقابلتنا بعدلك، فأظهرت فضلك وجودك على من أحببتَ له قربك، وسترتَ ذلك على من نفذت فيه حكمك. من الذي يأخذ بيدنا إذا عثرنا، ومن الذي يتجاوز عنا إذا جهلنا، ومن الذي يعفو عنا إذا جزعنا سواك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين، رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين، فإياك يا أخي أن تحل عقدة الرياضة ما دمت في هذه الدار، وينبغي لك أن تجدد النية كل يوم كذا وكذا مرة، لأن تكرار الشيء يدل على محبته، ومن أحب شيئا أخذ منه نصيبا، ونية الجهاد جهاد، وإن لم يتحرك صاحبها، وينبغي لك يا أخي أن تنظر كل صباح إلى سير أمسك، لتسير سيرا أقوى منه، وإياك أن يكون سير يومك أقل وأضعف من سير أمسك، فإن ذلك يوقفك، وإن وقفت رجعت، وإن رجعت فإلى بلد العوام انتهيت، بل ربما جزت مقام العوام في الانحطاط، وقد قالوا: من لم يكن في زيادة فهو في نقصان ومن كان في نقصان فالموت خير له، فالعاقل من يزن سير الأوقات بميزان العدل وينظر ما زاد وما نقص، ومن لم يزن أوقاته بطلت نفقاته، فتأمل ذلك يرحمك الله، وينبغي لصاحب الرياضة أن يتحرز من مجالسة

(1) عَسَّاس: أي حارس.

الضعفاء غاية التحرز وهم ضعفاء اليقين، فإن القرب من الضعفاء يضعف الأقوياء فضلا عن الضعفاء، وكل من اختار صحبة الضعفاء وهو سائر في الطريق فلا يطمع في الوصول إلى الحضرة لعكوف قلبه على حضرة الدنيا، ولو تعلق قلبه بحضرة الآخرة لما قدر على صحبتهم ساعة، وإن قدر عليه بخلطة معهم يجد نفسه كالذي هو في السجن، ومن لم يجد في نفسه هذه العلامة فلا يتهم نفسه بمراقبة الحق تعالى فضلا عن مشاهدته، بل يتحقق أن قلبه خال من الفكرة فضلا عن النظرة، فإن صاحب الفكرة كالأسد لا يأوي إلا إلى الفيافي وإن كان في العمارة لا يعمر مع أحد من أهل الدنيا، فإن خلط آخرته مع دنياهم خربوا عليه آخرته، المرء على دين خليله، واعلم أن العبد إذا أراد الله به خيرا أوقع في قلبه نورا فيوفقه إلى الرياضة، ولا يميل أحد إلى الرياضة وقلبه خال من النور، وهذا النور نور إيمان لا نور إسلام، وما دام القلب مظلما فالجوارح كاسلة عن الرياضة لاهية بخيالات الشهوات، فإن حصل هذا النور في القلب أسرعت الجوارح إلى الطاعات، وهذا النور على ثلاثة أقسام: نور خوف وهيبة، ونور رجاء ورحمة، ونور شوق ومحبة، فالنور الأول به يقوم العبد إلى الطاعة، والنور الثاني به يقوم إلى الزهد في الدنيا لشدة قربه إلى الآخرة، والنور الثالث من إشراق نور الصفات أو الذات فيعبد الله كأنه يراه وهذا مقام عظيم، ومن أراد تمكين النور من قلبه وسكونه فيه فليعالج نفسه بثلاثة أمور هي مفتاح الباب: الأول المواظبة على العزلة، الثاني المواظبة على الصمت، الثالث المواظبة على الفكرة مع قلة الطعام، فإنه ما عمل أحد بهذه الثلاثة إلا وترادفت عليه الأنوار والأسرار وانتسخت منه ظلم الأغيار والأكدار، فاعمل على هذا ترى سر ما قلناه عيانا إن شاء الله، فإن الفكر وحده ضامن للأوصاف الحسنة كلها ومن ذلك الصمت والعزلة، ومن ادعى أنه غاص في بحر الفكر وبقي فيه وصف مذموم فما شم لطريق الفكر رائحة، قال تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الرعد: 3] وهو ضعف الحجاب أو رفعه بالكلية، فإن كان الفكر ناشئا عن معرفة أعني بتربية شيخ عارف فمنتهاه رفع الحجاب كما ذكرنا، وإن كان من غير شيخ فمنتهاه ضعف الحجاب، ولا يصل لمقام المشاهدة إلا على يد شيخ عارف، ولا إلى مقام المراقبة

إلا على يد عالم عامل، لأن رؤية الأكوان لا يرفعها إلا من رفعت عنه وهم العارفون فاصحبهم يا أخي تسترح من هم رؤية الأكوان، فلا ترى عَيْنا مع العِيان لا أنت ولا شيء من الأكوان، ثم تراها وتثبتها بالملِك الديان، فافهم.

ومن آداب المريد أن لا يجلس في موضع فيه سبب فقدان قلبه، فإن علم ذلك وتعمد الجلوس فيه فهو ظالم لنفسه مخالف لأمر ربه قال تعالى ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأنعام: 68] وقال تعالى ﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ ﴾ [البقرة: 195] وأي تهلكة أعظم من الغفلة، فمن طلب اليقظة وجلس في مواضع الغفلة فقد طلب المحال، ومن شك فليجرب، إذ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه، ومثَل الذي يطلب اليقظة في مواضع الغفلة كمن يطلب رائحة المسك في العذرة وهذا حمق كبير، فإن أكثر الناس تحصل لهم الغفلة في مواضع اليقظة كالمساجد وبين يدي الأولياء وفي الصلاة والصيام والتلاوة وغير ذلك فضلا عن المواضع المعدة للغفلة، ومِن أعظمِ قلب الحقائق طلبُ اليقظة في محل الغفلة. عجبتُ ممن يقرب من الدنيا وأهلها ويدعي ذكر الله بقلبه، وعجبت ممن يبعد من الدنيا وأهلها ولا يذكر الله بقلبه وجوارحه إلا إذا كان ميت القلب فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فمن أراد أن يكون عالما عاملا زاهدا ورعا حليما كريما متواضعا صابرا قانعا عارفا بالله كل المعرفة فليخرج من قلبه حب الناس وحب ما هم عاكفون عليه فإنه يرى من أسرار التقوى والعلم ما لا يدخل تحت حصر، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ ﴾ [البقرة: 282]، ومن زعم أنه يتقي الله وهو يحب الدنيا وأهلها فقد كذب، لأن التقوى قلبية، ولا يسع القلب إلا شيء واحد، فافهم، والله على ما نقول وكيل، الله أكبر ما أحسن اللسان بعيدا والقلب قريبا، وما أحسن اللسان جاهلا والقلب عالما، وما أحسن اللسان ذليلا والقلب عزيزا، وما أحسن اللسان فقيرا والقلب غنيا، وما أقبح العكس، واعلم أن كل من رأيته قانعا من الأحوال وراغبا في الأقوال فاستدل بذلك على أن

قلبه محشو بحب الرياسة والجاه وحب الرفعة والثناء من الخلق وطول الأمل، وكل ذلك من عمى البصيرة، نسأل الله اللطف، وما مرض أحد بهذه العلل إلا ومات قلبه، وهذا هو العلم الغير النافع، أعوذ بالله من علم لا ينفع، ومن رأيته قليل العلم كثير العمل فاستدل بذلك على أن قلبه عامر بحب الله ورسوله ومراقبته وخوفه وهيبته وسطوته وحيائه، قد ضعفت حجبه الكثيفة، وانتهى في القرب من ربه حتى صارت الآخرة نصب عينيه، ولم يبق له التفات إلى العلم، بل ربما غاب في بعض الأوقات عن العمل لكثرة هيبة الحق تعالى وعظمته، وهذا هو العلم النافع الذي يرد العبد إلى ربه عن جميع الشهوات ويمنعه حب البقاء في هذه الدار الفانية، فيرى الآخرة كأنها حاضرة، والدنيا كأنها لم تكن، ولو كشف له عن عمره ورأى فيه ألف سنة لرأى ذلك كساعة واحدة، ولا يغتر بالغرور، ولا يميل إلى شهوات نفسه، وصاحبُ هذا الحال وإن كان جاهلا بكثير من العلوم فهو عالم على التحقيق، لأن العلم نور في القلوب يهدي إلى صراط مستقيم، كما أن الجهل ظلمة يهدي إلى ضلال مبين، فأي جهل لمن يخاف الله ويتقيه، وأي علم لمن لا يخاف الله ولا يقف على حدوده، فاعمل يا أخي بما تعلم تتفجر حِكَمُ قلبك بمواهب ربك، ومن عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم، وأحسِنْ صلاة جوارحك واحتفظْ عليها جهدك ليصلي قلبك، لأن صلاة الجوارح وسيلة لصلاة القلوب، قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت: 45] يعني صلاة القلوب لا صلاة الجوارح، لأن صلاة الجوارح غايتها أن تنهى عن الفواحش الظاهرة، ولا تنهى عن الفواحش الباطنة مثل الحسد والبغض والكبر والحرص وما أشبه ذلك، نسأل الله اللطف، والفواحش الظاهرة أخف من الباطنة وصاحبها يعرفها وينكسر من أجلها، بخلاف الفواحش الباطنة فإنه لا يعرفها إلا من أخذ الله بيده وجمعه مع أرباب العقول، فطهرْ يا أخي قلبك لتصلي مع أرباب القلوب، وأما ما دام متنجسا بأنواع الفحشاء والمنكر فلا تطمع أن تصلي صلاة واحدة، فضلا عن الصلاة الدائمة التي هي اتصال الحضور وملازمة السرور. فرِّغ قلبك من الشهوات، وامنع جوارحك من وجود الدعوى

فإنها تجر البلوى. ما أحسن وصف العبودية مع تحقيق الأمور بكشف حقيقة حالا لا علما فقط، وما أقبح العكس. عجبتُ ممن يدعي حقيقة الأشياء مع حياة نفسه، ويطلب الحضور مع ربه وهو حاضر مع غيره، ويطلب حضور الله معه وهو لم يحضر مع الله في كل نفَس ولحظة، فالزم يا أخي نفسك الحضور بالمجاهدة يطلبك العيان والمشاهدة: لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه (فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به) الحديث، واعلم أن من أراد الله به خيرا أقامه في المجاهدة وفتح له باب الحضور حتى لا يخطر بباله غير ربه، وحينئذ تحفظ جوارحه من سائر الفواحش، وهذه ثمرة المجاهدة، وكل مجاهدة ليس لها نتيجة حضور فهي مجاهدة رياء وسمعة، ومن علامة الحضور أن تنقلب مرارة المجاهدة عسلا، ولكن هذا لا يحصل إلا بعد مدة طويلة غالبا، وقد تحلى لبعضهم في أول مجاهدته والله تعالى أعلم، واعلم أن مراقبة الله تعالى واجبة على كل أحد، وليس للعبد طمع فيها إلا بالمجاهدة، فهي واجبة أيضا على كل أحد، إذ ما لا يتوصل للواجب إلا به فهو واجب، فالمجاهدة واسطة للمراقبة، والمراقبة ضامنة للتقوى الظاهرة أعني تقوى العوام، وهذا مقام طلبه الحق منا بشرط الجهاد إظهارا للعبودية، وأما مقام المشاهدة فنحن نطلبه من الحق تعالى تفضلا منه وكرما، إذ لا يستحقه أحد بفعله ولو عمل ما عمل، وكذلك مقام المراقبة، ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا، ولكن الله تعالى نسب المقام الأول لنا من حيث وجود العبد ليقوم ضده الذي لا نسبة للعبد فيه فافهم، وحقيقة الجميع ليس هناك إلا تجلياته الظاهرة، ومثل ذلك ضياء الفجر المستضيء من الشمس، فإن الناس إذا رأوا الفجر تحققوا وتيقنوا بطلوع الشمس بعده، فانحجبوا بضياء الشمس عن ضياء الفجر، كذلك أهل التحقيق حجبوا بالحق عن الخلق في وجود الخلق، كما حجب الناس بالشمس عن الفجر في وجود الفجر، فافهم.

ومن آداب المريد أن لا يزكي نفسه ولو بلغ ما بلغ في الخدمة والصدق والمحبة والنية وغير ذلك قبل أن يزكيه الله ورسوله وشيخه، فإن وقع له الإذن من الله ورسوله أذن له شيخه لا محالة، وحينئذ فلا ينبغي له أن يرجع إلى نفسه، فإن رجع

إليها بعد هذا فهو ظالم لها، وقد يُسلب من هذا المقام ويرد إلى المقام الذي يظن بنفسه: أنا عند ظن عبدي بي، وإن كتم حالة تأدبا مع الشيخ وحياء منه زاده الحق تعالى رفعة، وطلبه ذلك المقام الذي أعطي له قهرا عليه، فإياك يا أخي أن تطلب الحرية قبل أن تطلبك، فإن من يطلبها قبل أن تطلبه كمثل من صلى قبل الوقت فصلاته باطلة، وفي الحِكم (ما ترك من الجهل شيئا من أراد أن يحدث في الوقت غير ما أظهره الله فيه)، وكذلك لا ينبغي له أن يطلب من الشيخ تزكيته، فإن ذلك من سوء الأدب، لأن الواجب على المريد أن يكون في خدمة شيخه كالعبد المخلص في عبادة ربه لا يرجو جنة ولا يخاف نارا، والذي ينبغي له أي يطلبه من الشيخ الاطلاع على دسائس نفسه حتى يصلح لمجالسة ربه، ومن طلب غير هذا فقد انحط من رسم المريدين إلى مقام العوام، لأن العوام إذا جلسوا أمام ولي تجدهم يتمنون إدراك الدنيا والآخرة في ساعة واحدة، وذلك لقلة معرفتهم بالأمور وبكيفية السبيل إلى وصولها، فافهم إشارتنا أيها الأخ، وقم بحق الوسائط، وإياك أن تطيع نفسك في شيء غير ما يأمرك به الشيخ، قال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء: 59] أعني الذين تولوا أمر الطريق إلى الله عز وجل من أولياء الله العارفين والعلماء العاملين، وإياك أن تفهم الآية على غير هذا، إذ لا ينبغي أن يطاع من الخلق من لم يطع الله ورسوله، بل لا ينبغي لنا أن نطيع سوى من يردنا إلى الله وإلى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والمريد مشغول بما يعنيه ليس له مدخل في الفضول، فلأجل ذلك كان خارجا من حكم كل حاكم وعن جور كل جائر وداخلا تحت حكم من يخرجه من أسر نفسه ويقربه من حضرة ربه، فإن ارتكب الفضول واشتغل بما لا يعنيه فقد خرج عن حد المريدين، فيلزمه ما يلزم العوام من أحكام الولاة وطاعتهم فافهم.

ومن آداب المريد أن لا يتصدر للتربية وإعطاء الورد قبل الإذن من الله ورسوله ومن شيخه، ومن تصدر لشيء من ذلك بغير إذن فقد تعرض للهلاك وأهلك من تبعه، إذ لا بد من معرفة قواعد التربية ومعرفة دسائس النفوس الأمارة

واللوامة، ومن لا معرفة له بذلك فهو أعمى، والأعمى لا يقود غيره في ظلم الليالي في بلد قفراء وعراء، فالواجب على من وقع في شيء مما ذكرنا أن يتوب إلى الله تعالى ويستغفر من ذلك ويبكي على خطيئته ويسعى في السلوك على يد المشايخ وإلزام الوقوف ببابهم، وإلا وقع في الرضا عن نفسه والاستحسان لحاله فيخسر خسرانا مبينا والعياذ بالله، فإياك يا أخي ثم إياك، وإن مال إليك أحد فادفعه عنك لئلا تميل نفسك إليه وتستحلي ذلك فتطلب غيره وتستحليه فلا تزال كذلك حتى يكثر الخلق عليك فتقول لك نفسك أنت مخلص وأنت أهل للتربية ولو لم تكن مخلصا ما انقاد إليك أحد، فتستدرجك من حيث لا تشعر، فاحذر يا أخي من هذا الباب جهدك فقد خسر منها كثير من الصديقين كان قصدهم مولاهم فرجع قصدهم حظ نفوسهم، واعمل على سياسة نفسك أبدا حتى يحصل لك التفرغ منها ظاهرا وباطنا، وهناك تصلح لسياسة غيرك، فإن سياسة النفوس الأمارة صعبة لا يقدر عليها من فيه بقية ولا سيما مع عدم الإذن، إذ الإذن عطية قديمة مخصوص بها أهلها في سابق أزله وهي تطلب أهلها لا أهلها يطلبونها، بل ينبغي للمريد أن يكون في أموره كلها هكذا، فلا يطلب شيئا حتى يطلبه ولو كسرة خبز، فإن الشيء المفروغ منه لا بد لك منه، فإن كنت ولا بد لا تترك الطلب فاطلب على وجه الشريعة إن كنت ضعيف التحقيق بذلك، وتأمل قول الله سبحانه ﴿ وَلَا تَعْجَلْ إِلَيْكَ يُقْضَىٰٓ أَن قَبْلِ مِن بِٱلْقُرْءَانِ وَحْيُهُۥ ۖ ﴾ [طه: 114] وقوله تعالى ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ ﴾ [القيامة: 16] أي لا تتعب نفسك في الأمر الذي سبق لك فهو واصل إليك، فتأمل يا أخي هذا الخطاب ما أحسنه لمن عرف معناه، فكأنه تعالى يقول ما كان سابقا لكم في أزلي فهو واصل إليكم من غير مشقة فافهم. واعلم يا أخي أن من علامة الإذن في التربية أن يثقل ذلك على المريد غاية الثقل لكونه لا يرى نفسه أهلا لذلك رؤية حال فتضيق روحه ولا يتقدم لذلك ثم يؤذن له ثانيا فيثقل عليه أكثر من المرة الأولى ثم يؤذن له ثالثا وحينئذ يتقدم من غير اختيار فإن لقن أحدا أو ذكر أحدا أو نظر أحدا ظهرت فيه من أسرار التوجه العجائب

والغرائب: وهذه علامة الإذن من الله ورسوله وأوليائه، فإياك أن تتقدم لما فيه خسرانك وخسران غيرك وإن كنت وليا من أولياء الله، فإن الإذن مخصوص به أهله كما تقدم، وقد تاه كثير من الناس في هذا الباب فمالوا لحب الجاه والمدح، فينبغي لمن تفطن لشيء من هذا في نفسه أن يستعمل عملا مباحا يخرج به عادة نفسه ليقع منه الفرار ويتفرغ لعبادة خالقه ويستفيد أسرار قلبه، وكثيرا ما يستعمل هذه الحالة أهل الصدق الكبير، اللهم اجعل لي فيهم نصيبا ولا تجعلني منهم غريبا يا قريب يا قريب يا قريب، واعلم أن من جهل المريد وغفلته أن يكون مشغولا بحاله ليس له معرفة بأحد فيتعرض لمعرفة الناس، وسبب هذا عدم تحققه، ولو تحقق لاكتفى بعلم الله، وصاحب هذه الحالة يحتاج إلى سياسة عظيمة حتى يخرج من حضرة الخلق إلى حضرة الخالق، ومن ادعى الشهود مع التعرف للخلق فشهوده علمي فقط، ولو كان شهوده حاليّاً لأغناه عن رؤية الخلق، أيها الحبيب كن مع الله بالله، ولا تكن مع الله بغيره، فما دام الغير موجودا وأنت بعيد والله تعالى أعلم.

ومن آداب المريد أن لا يرى نفسه فوق أحد من المسلمين فضلا عن إخوانه الفقراء، قال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ ﴾ [الحجرات: 11] صدق الله العظيم، ومن خطر بباله أنه خير من أحد من المسلمين فقد اشترك مع إبليس في المقام حيث قال ﴿ أَنَاْ خَيۡرٞ مِّنۡهُ ﴾ [الأعراف: 12]، ولا سيما إن كان يدعي الخصوصية الكبرى، فالواجب على المدعي ذلك أن يرى الأشياء كلها خيرا منه فضلا عن المسلمين، ولا يخرج من هذه الرؤية لحظة واحدة، وإن خطر بباله شيء من ذلك فدعواه الخصوصية باطلة، وعند التعرفات يعرف الصادق من الكاذب كما قيل عند تقلبات الأحوال يعرف الرجال من الرجال، واعلم أن هؤلاء القوم لهم علم بالعظمة، وكل من خطر بباله غير العظمة فهو مسلوب من نور العلم المخصوص بالإحسان مع الجميع لشهود وحدة الذات، اللهم إني أعوذ بك من السلب بعد العطاء وتقديم وتأخير الخطايا يا أرحم الراحمين يا رب

العالمين، ومن أراد بشهود العظمة على الدوام فعليه بذل نفسه لله ولا يسعى إلا في الأسباب الموجبة لحطها وإهانتها وتصغيرها واحتقارها وعجزها وضعفها وفقرها وفاقتها واضطرارها وإنزالها في كل منزل هو لها، ولا يسعى في شيء من حظوظها ظاهرا ولا باطنا، وعند ذلك تنال الروح حظها، لأن حظ النفس وحظ الروح لا يجتمعان، ومن أراد الحظوظ كلها فليلزم ما ذكرناه، وقد قالوا كلما دفنت نفسك أرضا أرضا سمى قلبك سماء سماء، وأي حظ أعظم من رفع الحجاب، فانتبه يا أخي فإن بعض الدسائس تخفى على كثير ممن يطلب القرب من الحضرة، ومن أقبحها أن يكون ظاهر العبد متصفا بالعبودية وباطنه ينظر إلى الرفعة والعز والجاه وميل الخلق إليه وإقبالهم عليه، وهذه علة قاطعة تحتاج إلى مجاهدة عظيمة وفراسة كبيرة، وقد أُخِذ منها كثير من العباد والسياح وغيرهم ممن ظهرت العبودية على ظواهرهم، وأما من لم تظهر عليه عبودية فإن كان موجب إخفائها خوف الرياء واستدراج النفس فتبارك الله وإن كان موجب إخفائها عدم معرفته بالعبودية فالله أدرى به، وينبغي لنا التسليم لجميع المسلمين، فاصحب يا أخي شيخا عارفا ماهرا في رياضة الظاهر والباطن يمدك بمد المعرفة، فيستنير قلبك بنور الحكمة وتعرف أسباب النور وأسباب الظلمة، وحينئذ اذهب حيث شئت ولا تخف ولا يُخاف عليك، والله غالب على أمره، واعلم أن حقيقة الكمال أن تشهد الحق في وجودك وليس لك وجود، وأن تنفق الدنيا وما فيها إن وجدتها ولا ترى لك إنفاق، وليس من الكمال أن تشاهد الحق أقرب من شهودك أو ترى الحق مع وجودك أو تنفق الدنيا ثم يخطر ذلك على بالك، إذ ذاك دليل على بقاء نفسك ورؤية الكون حذو أذنك، واعلم أن كل فقير متكلم ليس بعالم ولا متعلم. مِنْ علامة القلوب الخالية، الألسنُ بالألفاظ مالية. مَنْ طلب الأنوار بكسوة الأحرار، طلب الأغيار ودوام الأكدار. الإفلاس كل الإفلاس، من طلب الإخلاص بقربه للدنيا والناس. إذا قبلك وأحبك واجتباك، مَنَعَك حبهم وحبهم إياك. من علامة العلم بالله، حب الفقر والمذلة. إذا أشرقت على القلوب

الشموس، انهزمت الجوارح وفنيت النفوس. قلوب العارفين في أعلى الملكوت، ممتدة بأنوار الجبروت، إذا تكلمت سلبت، وإذا نظرت جذبت، وإذا انقبضت دفعت. إنما منع القلب من دخول المعاني، إثباته للأواني. الأكوان وصف قهريته، بها قهر غير أهل حضرته. ثم اعلم أن العالم لا يكون عالما حتى يرى خلق الله تعالى كلهم أعلم منه رؤية حال ولا تحدثه نفسه بذلك، ولا يرى نفسه إلا جاهلا مع وجود العلم: هذا هو العالم، ووجوده في هذا الزمان قليل، وكل من رأى نفسه عالما فهو جاهل لما في الحديث (من قال أنا عالم فهو جاهل)، ولا يكون الصوفي صوفيا حتى يرى خلق الله تعالى كلهم أعلم منه وأحسن حالا وأدبا وأقرب منه حضرة وأصفى منه بصرا وبصيرة وغير ذلك حالا لا علما فقط، وتظهر صحة هذا النظر حالة إذاية الخلق له وازدرائهم به، كما تظهر أيضا صحة نظر العالم عند وجود من يجهله ويتفقه عليه، لأن صاحب هذا الحال يكتفي بعلم الله، قد سلم الأمر لله، والخلقُ إنما هم ظروف لا فعل لهم على التحقيق، والصوفي الحقيقي يرى الأشياء كلها بعين التعظيم والإجلال، لكونه يراها بالله لا بنفسه، فهي عنده كلها خزانة السر والعلم والنور من حيث أشرقت عليها أنوار الحضرة الإلهية القدسية الأزلية الديمومية الأبدية، وكل من رآها بغير أنوار الحضرة فإنما يراها ظلمة، فمن أراد أن يمتد قلبه من أنوار الحضرة فليمنعه من دخول مدد الظلم عليه، ومن أراد منعه من ذلك فليمنع جوارحه من العوائد التي منعته من جميع الفوائد ومرَّرَتْ عليه سائر اللذات، ورأس العوائد الدنيا لما في الحديث رأس كل خطيئة حب الدنيا، وتركها فرض عين عند علماء الظاهر والباطن، ومن قال بعدم تركها فقد ضل عن منهاج الشارع صلى الله عليه وسلم، والعالم الحقيقي يرى المسلمين كلهم خزائن العلم وليس له علم، لأن خزانة علمه لا تفتح في هذه الدار لئلا ينقص منها شيء وإنما تفتح في دار الآخرة وترفع درجاته على غيره، والمراد من العلم التقوى، فإياك أيها العالم أن تحقر أحدا من مساكين المسلمين فإن لهم يوم القيامة برهانا عظيما وسرا كبيرا دون غيرهم وقد قال

فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لهم دولة يوم القيامة كدولة الملوك، فالواجب على كل متكبر بعلمه أو جاهه أو نسبه أو غير ذلك أن يذل نفسه لمساكين المسلمين وأن يجلس معهم، وفي الجلوس معهم فائدتان: الأولى جبر قلوبهم لما هم فيه من الانكسار فيجبر الله قلبه إذا انكسر في هذه الدار، والثانيةُ يحشر معهم يوم القيامة، ومن حشر معهم كان في حضرة الله ورسوله في مقعد صدق، قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ ﴾ [القمر: 54-55] الآية، والمراد بالمتقين هنا الذين اتقوا الله في وصفه وهذه تقوى القلوب قال تعالى ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج: 32] والشعائر هي أوصاف الحق تعالى، فمن اتقى أوصاف الله فقد عظمه وعظم رسوله وأولياءه وقال عز وجل من قائل ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ [آل عمران: 28] أي وصفه، فمن أراد الله به خيرا أسكنه وصف العبودية من الذل والفقر والضعف والعجز والتواضع والانكسار وغير ذلك ظاهرا وباطنا، وحينئذ يتولى الله أمره، اللهم تول أمرنا ولا تول علينا نفوسنا يا أرحم الراحمين، فعلى العالم ألا يرى علمه، وعلى الصوفي ألا يرى حاله، وعلى العامل ألا يرى عمله، وكل من رأى علمه أو عمله أو حاله فهو صاحب كبر وعجب، وسبب العجب رؤية العلم والعمل والحال، فالعاصي لا يقع منه عجب أبدا لانكساره بخلاف الطائع قال الله عز وجل ﴿ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ﴾ أي لا يؤخذ منها الأمان من العجب ولا يأمن منها إلا من سلك على يد شيخ عارف ناصح يظهر له عللها الخفية والجلية ثم يغيبه عنها وعن عللها فافهم، وأيضا الصوفي لا يرى لنفسه وجودا، وإن رأى وجودا غير وجود الحق فقد ضل والله عن الطريق، إذ من غاب عن الأشياء لا يراها، ومن لا يراها كيف يرى غير الله تعالى، وثبوت الأكوان من غير محلها من رؤية العادة، وكيف يثبتها من محلها من لم يخرق في نفسه العادة، والغيبة عنها لا تكون غيبة إلا إذا كانت حالا لا علما كما يظن كثيرا ممن يدعي التصوف وهو في عوائد نفسه مكبل بسلاسل الأغيار والأكدار، لأن العلم لا

يخرج من رؤية السوى، ومن لم يخرج من رؤية السوى لا يجد لرؤية الحق سبيلا، لأن من رأى الحق لا يخطر بباله رؤية السوى، نعم قبل التمكين يخطر على قلبه السوى لكن كالخيالات التي يراها النائم في منامه فإذا استيقظ لم يبق لها وجود ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: 201]، والناس في الشهود على قسمين: قوم شهدوا الحق بالحق وهم أهل الفناء، وقوم شهدوا الخلق بالحق بعد شهودهم الحق بالحق وهم أهل البقاء، وقوم استشرفوا على التحقيق وهم على قسمين: قوم استشرفوا من باب مطالعة علم التحقيق في كتب القوم حين حصلت لهم محبة القوم والإيمان بهم فلم يزالوا على المطالعة حتى تفرغت قلوبهم فذاقوا بعض الحلاوات إيمانا وتصديقا لا حالا وتحقيقا، وقوم اشتغلوا بكثرة العبادة حتى تفرغت قلوبهم فأشرقت عليهم شمس التوحيد ولكن لم يعرفوا ذلك الأمر ما هو فزاد بهم ذلك حتى وقفوا في الحيرة فترادفت عليهم الخواطر من قبل الحضرة فظنوا أن ذلك كفرا وربما دخلتهم وساوس، ومن هنا كان دخول الخلوة من غير علم ولا إذن مضرا بصاحبه، وكذلك مطالعة غير ما هو ظاهر وغير ما هو معروف حكمه عند أهل الظاهر من كتب القوم توقع صاحبها في الوساوس والدعوى، وبالجملة فكل مريد أراد سلوك الطريق بنفسه لا يسلم من آفاتها إلا من أخذ الله بيده ورزقه الصدق العظيم، ومن أراد السلوك مع السلامة مما ذكرنا فليصحب شيخا واصلا يعرفه طريق الرياضة ويخرجه من علائق نفسه ويمنعه كل شهوة ويجانبه كل دعوى ويرغبه في دار البقاء ويحبب له اللقاء، ولا زال يرقيه في مقام العبودية وينقيه من أوصاف الربوبية فيخليك ويحليك ويرقيك ويفنيك ويبقيك ويتركك وربك، ثم تعرف في نفسك حقيقة ربك بعد تخلقك بخلق الأرض قال الله تعالى ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾ [الذاريات: 20] إشارة إلى العبد كالأرض يباهي عليها ولا يباهي بتا، فإن كان هكذا شهد حقيقة نفسه بربه لا بنفسه، وما حجبنا عن أسرار الحضرة وأنوارها وثمارها وغير ذلك سوى عدم تحققنا بوصفنا، ولو كنا

كالأرض كما قال عز وجل لشهدنا السر المرموز في أنفسنا، فافهم أيها الأخ ما قدم لك الحق تعالى من وصف العبودية فالزمه فإنه الخير، وإياك أن تطمع في سر الآية التي بعدها ما لم تحقق بسرها أعني قوله تعالى ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الذاريات: 21]. اللهم أرنا حق حقيقة آياتك الظاهرة، وأنوار عظمتك الباهرة، بألطاف مواهبك اللدنية العُلوية الملكوتية التي كشفتها لأحبائك وأصفيائك، حين منعتهم ما ليس لهم، ومننت عليهم بأوصاف آداب حضرتك القدسية، فأدبتهم بجلالك في حضرة مُلكك بلطف منك يا أرحم الراحمين، فارجع أيها الإنسان لنفسك واعتبر في جسمك بعين بصيرتك لا بعين بصرك ترى جماله مرموزا في جلاله وقدرته مرموزة في حكمته، فإن أردت كشف ذلك يقينا لا علما فقط فاصحب شيخا عارفا يرفعك إلى مقام المراقبة فتتحقق بحقيقة أفعال الحق سبحانه متصرفة كيف شاء بما شاء فترتفع عنك أسباب طمس البصيرة من أنواع الجهل، ويعرفك حقيقة العبودية من حقيقة الربوبية، فتأخذ ما هو لك، وتترك ما هو لغيرك من رؤيتك عدم الحول والقوة، فترى ما منه إليك من المنة والفضل، والذي منك إليه باطل على التحقيق، ثم يرقيك إلى مقام الكشف بأحدية الذات فترى نفسك ليست بموجودة فتستغفر الله من المقام الأول حين تتمكن في هذا الثاني، ثم يرقيك إلى المقام الثالث الذي هو إثبات الأثر فترى الفرق في عين الجمع والجمعَ في عين الفرق، فإذا تحققت بذلك استغفرت من المقام الثاني، وحينئذ تتخلق باسمه الحكيم من وراء حجاب أي حجاب القهرية، ولا حجاب في الحقيقة لأنك إذا نظرت إلى رجل وعليه ثيابه فإنك تعرف حقيقة جسمه ولا تحجبك ثيابه عن معرفة جسده فبمجرد نظرك لظاهره تعرف باطنه لكونك تعرف ذلك من نفسك فإن الرجال كلهم على هيئة واحدة في الصورة غير الطباع فإنها مختلفة، ولولا اختلافها لكان الجمع فيهم ظاهرا من حيث أنهم شيء واحد في الصنعة الأزلية، فلولا الطبع البشري المغير لأنوار البصيرة لما ضلت الحكمة على أحد، إذ الأشياء كلها صنعته وحكمته

وقدرته، فهي كلها حسنة، وليس هناك شيء قبيح أو من هو أهل للقبح، ولا يرى القبح إلا الطبع البشري لكونه مركبا من حب الشهوات، وإلى هذا المعنى بالإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم (لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر) وبقوله في الحديث القدسي (مرضت فلم تعدني وجعت فلم تطعمني وعريت فلم تكسني وعطشت فلم تسقني)، فتأمل يا أخي تعرف حقيقة كل شيء من باب الإشارة فضلا عن الكشف إن كنت من أهله، والله يأخذ بيد من عثر، واعلم أن الثوب شريعة البدن، كما أن الفرق شريعة الجمع، فلو كان الناس كلهم عراة لما كان عليهم سر ولا وقع العشق من بعضهم لبعض ولصاروا كالحيوان، فسرُّ الحقيقة في وجود الشريعة، إذ الشيء لا يقوم إلا بضده، ولذلك سمى نفسه تعالى الحكيم، ومن أعظم حكمته سبحانه أن جعل الحجاب بينه وبين خلقه ليعبدوه: (كنت كنزا لم أُعْرَف فخلقت الخلق لأعرَف)، ثم اعلم رحمك الله أن ما من حقيقة إلا ولها شريعة ظاهرة تسترها كالعورة فإنها حقيقة ظاهرة وشريعتها سترها، والحقائق كلها ظاهرة لمن يعرفها، وكلها باطنة لمن لا يعرفها، ظاهرة لمن يراها ببصيرته، باطنة لمن يراها ببصره، فمن أراد صفاء بصيرته فليلزم أهل الصفاء من أهل الخفاء، ومن أهل الخفاء من يضيء نوره على الوجود كله ولا يُعرَف له قدر مثل نور الشمس فإن الناس تعودوه صغارا وكبارا وإذا قوي نورها في بعض الأوقات استعاذوا بالله من حرها وفروا من الشمس إلى الظل، كذلك الولي قد يقوى نوره في بعض الأحيان حتى يثقل على الناس النظر إليه، ولا يكثر قرب الناس إلا ممن نوره ضعيف أو كامل سترت أنواره بالشرائع وهو نادر قَلَّ أن يوجد، وأيضا أولياء الله تعالى لا يظهرهم الله إلا لأهل الصدق وهم الذين ينتفعون بهم، وإن وقع ظهورهم لعامة الناس فلا ينالون منهم سوى التبرك بهم وهو شيء عظيم، وأما الصالحون من العلماء وغيرهم فإنهم ظاهرون في كل زمان لكونهم أهل ظواهر بخلاف الولي فلا يعرفه إلا ولي، فمن كشف الله له عن حقيقة ولي فليعلم أنه أراد سبحانه أن يكشف له عن حقيقة سر توحيده، لأن الولي دليل يدل به

الحق سبحانه على نفسه، والصالحون والعلماء من أهل الظواهر دلائل يدل بهم الحق تعالى على الطريق لا على عين التحقيق، فإن التحقيق نهاية الطريق، والطريق نعت للتحقيق، وهذا هو الفرق بين أهل الظاهر وأهل الباطن، أهل الظاهر يسيرون وراء القصر يلتمسون حضرة الأحباب.

ومن آداب المريد أن لا يطلب التقديم على الإخوان ولا أن يكون رئيسا يرجعون إليه في أمورهم، فإن هذه علة خفية قد وَحَلَ في شبكتها جل المريدين، وقَلَّ من سلم من ذلك، وهي من أقبح القبائح تؤدي صاحبها إلى الفضائح، وهم في هذا على قسمين: قسم يميل إلى ذلك بقلبه ولا يحب أن يظهر ذلك على جوارحه وذلك لقربه من الإخلاص، وقسم يكون ذلك في قلبه ويظهره على جوارحه وذلك لبعده من الإخلاص وصاحبُ هذا الوصف قل أن يفلح ونفسُ هذا أمّارة ولو لم تكن أمارة لما أرادت الإمارة، ولعل صاحبها كان يطلبها قبل ذلك على العامة فلما دخل حزب الخاصة ولم تكن له نية قوية وصدق تام ولا إيمان راسخ جعل يطلب الإمارة على الخاصة، وهذا كله من عمى البصيرة وتشتيت الفكر والبعد من طريق الأخيار، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وقولنا لم تكن له نية قوية إلى آخره يدل عليه ما ظهر عليه من طلب الإمارة، ولو دخل بنية قوية وصدق تام وإيمان غليظ لظهرت نتيجة ذلك على ظاهره ولتحقق بأوصاف العبودية كالفقر والذل والعجز والجهل وغير ذلك من الأوصاف التي فيها رضا الحق تعالى، وينبغي لهذا المريد أن يلزم نفسه الخروج عن عوائدها وأن يصحب الذل التام في الظاهر والباطن مع الإخوان والتأخر عنهم في كل ما فيه رائحة الجاه والرفعة، وليلزم خدمتهم والأدب معهم، وليجلس في محل حط نعالهم، وليكن عبدا مملوكا لهم إن أراد أن يكون من الملوك، ولا يتقدم عليهم في شيء وإن قدموه إلا إن علم من نفسه السلامة من هذه العلة الخفية التي كانت ساكنة في باطنه، وهو يعرفها قبل صحبتهم وبعدها وهي حب التقدم والتصدر والرجوع في النظر إليه ليقال سيدي فلان رئيس الفقراء وهو بركتهم متاع الله لله يا ولي الله، وهو ليس له من الولاية سوى الحظوظ والكذب بالدعوى وغيرها. نعم أيها المريد إن غبت عن وجودك، وفنيت عن شهودك، وتحققت بمعبودك في جمعك وفرقك، وامتحت عنك الصور بشروق الأنوار، وذهبت جميع

الأغـــيار بالتمكن في حضرة الأحباب، ثم قطعت مهامه الجلال، حتى عرفت الله في كل حال، وكنت لا يؤثر فيك الذم ولا الثناء وسواء قدَّموك أو أخروك أو رفعوك أو وضـــعوك، فـــإن كـــنت هكذا وعلمت من نفسك هذا مع وجود القيام بالأوامر والنواهي وقدَّمك شيخك أو إخوانك الراسخون في الطريق فتقدمْ، فإن ذلك يزيدك خـــيرا وأدبـــا على أدب، ومن تقدم قبل هذا فقد أضر بنفسه، ففق أيها المريد من نومك، وانتبه لعيوبك، واسْعَ في تزكية نفسك، واعمل بما يرفع الحجاب عن قلبك مـــن أنواع العبودية الخالصة التي لا حظ للنفس فيها، وقد سطرنا لك ما فيه كفاية لكـــل طالـــب، والله يأخذ بيد من عثر، واعلم أن هؤلاء القوم أهل معرفة واضحة وصدور منشرحة حركتهم بالله وسكونهم بالله وكلامهم بالله وسكوتهم بالله فهم في كل شيء بالله لا بنفوسهم، فكلما تأخرتَ قدَّموك، وكلما تواضعتَ رفعوك، وكلما بعـــدت مـــن وصـــف ليس هو لك قرَّبوك، وكلما أبغضت نفسك أحبوك، وكلما حذفـــتها أثبتوك، وكلما جهلتها علموك، وكلما جعلت نفسك ذنَبا جعلوك رأسا، وكلما جعلتها سُفْلية جعلوك عُلويا، وقد قال لقمان لابنه (يا بني كن ذنَبا ولا تكن رأسا فإن الضربة أول ما تقع في الرأس) وذلك لتحققه أن الأشياء كامنة في أضدادها وهـــذه هي السنة المحمدية وقد تمسك بها كل نبيء وكل ولي، والحكمة لا تسكن في قلب فيه شيء من الزيغ ولو قدر الذرة، وقد يبرز شيء من جمالها على ظاهر القلب فيظهر على صاحبها بعض العبارات وبعض الأحوال وذلك لتفريغ القلب في بعض الأوقات، وأما سكونها فلا يكون إلا بعد صفاء القلب بالكلية فافهم.

ومن آداب المريد أن لا ينزع عنه حالة السيادة، التي هي لباب العبادة، وآلة أربـــاب الأحـــوال من أهل الإفادة، وهي التجريد ولباس المرقعة، إذ التجريد لباس الملوك، الجامعين بين الجذب والسلوك، فإن حكم عليه الحق سبحانه بنزعها فليترك عليه منها شيئا كي يتميز بحاله الشريف، وحالة الفقير وآلته المرقعة والسبحة والعصا والـــنعلين وتخريق الكلام عند ملاقات العوام لئلا يملكونه، فإذا تمكن وأراد الخروج لـــتمام السلوك فلا يخرج من الجميع، بل يترك عليه شيئا ليكون بين هذا وهذا، ولا ينزع ذلك بالكلية إلا من لا ثبات له فيه فافهم، وكل من وصل للحق تعالى من غير باب التجريد فلا بد أن يظهر عليه شيء منه عند نهايته جزما، لأن أنوار الحضرة إذا أشـــرقت علـــى القلوب أنست صاحبها على جوارحه رغما على أنفه فيظهر عليه

التجـــريد وهو نسيان الجوارح، والتجريد تارة ينزل في الباطن فيخرج إلى الظاهر، وتارة ينزل في الظاهر فيدخل للباطن، فالذي يخرج من الباطن وهبي، والذي يدخل مـــن الظاهر كسبي، فالتجريد بدايات السالكين ونهاية الواصلين، فالسلوك دليل على وصـــول المتجـــرد، كما أن الجذب دليل على وصول المتسبب، فالذي يصعد من الأرض مستقره السماء، والذي ينزل من السماء مستقره الأرض، والتجريد من الدنيا وشهواتها وزينتها وسرورها طريقةُ الأنبياء والرسل عليهم السلام والكُمَّل من ورثتهم رضـــي الله عنهم، إذ لا يبلغ أحد مبلغ الرجال حتى يتركها ظاهرا وباطنا ليكون لله ظاهـــرا وباطـــنا، ومن زعم خلاف هذا فهو لم يشم لسُنتهم رائحة ولا لمنهجهم فائحة، فافهم هاهنا فهم أهل الإشارة قول الله سبحانه ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ ﴾ [الأعراف: 32] وأي زيـــنة أشـــرف عند الله وأعظم من ترك الدنيا والـــزهد فـــيها والقناعة منها، إذ به يحصل التحقق بالوصف الذي هو لباب العبادة كالفقر والذل والعجز والضعف وغير ذلك، ومن طلب التحقق بالأوصاف التي هي سير الأنبياء مع إمساك الدنيا فقد طلب المحال، وقوله تعالى ﴿ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ [الأعراف: 32] هـــي العلـــوم اللدنية والمواهب الربانية والأسرار الروحانية والأنوار الرحمانية والمقامات السنية والدرجات الحقيقية، فهذه وشبهها هو رزق العارفين به المحـــبوبين عـــنده المحـــبين فيه، وكل مؤمن بطريقهم يجب عليه التشبه بهم والتخلق بـــأخلاقهم الظاهـــرة والباطنة وإن لم يعرف لها معنى، فإن المقامات تعطى على قدر التخلق بها لمن كانت له نية حسنة، إذ النية تقود صاحبها لسر الأعمال (إنما الأعمال بالنيات)، وانظر إلى الرجل الذي سمع قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ [يونس: 32] فمشى على البحر، لم يكن معه علم ولا عمل سوى نيته الحسنة ويقينه الحسن، فالمشي لم يقع منه بالعلم والعمل وإنما وقع بالإيمان واليقين، والأعمال كلها راجعة إلى الإيمان واليقين، إذ هما غاية القصد والمنى، ومن لم توصله أعماله إلى هذا فهي مدخولة معلولة. واعلم أنه لا ينبغي لنا أن ندل كل من طلب الدخول في طريقنا على لبس الخرقة أي المرقعة إلا إذا علمنا منه الصدق وتحققنا أنه لا يرجع عنها ولا يلتفت إلى الدنيا بشرط تعظيمها واحترامها وتوقيرها وأن تكون عنده في شأن كبير، وإن علمـــنا منه خلاف ذلك دللناه على شيء من التخلق بأخلاقهم حتى يظهر لنا وجه ما طلب منا ولا بأس إن أمرناه بشيء من الأوراد واتخاذ العصا بشرط القناعة

من الدنيا والميل للفقر دون الغنى والضعف دون القوة والذل دون العز والسخاء دون البخل والتواضع دون التكبر وهكذا، فإن دام على هذا ورأيناه قد صلح لما وراء ذلك دللناه عليه وإلا تركناه في مقام الانتساب على الفقراء، ولا ندخله مقام الفقراء الحقيقي الخاص بهم كأن يلبس المرقعة وشبهها لأن الخرقة تشهد لصاحبها ظاهرا بالولاية، ولذلك كان لا ينبغي لبسها قبل البعد من الشهوات، فإن لبسها كذلك عظمت عليه نفسه وطلب بلبسها حظوظه الظاهرة والباطنة وهو لا يشعر به أحد فيقع في الوزر هو ومن ولاه على ذلك، ومن هنا يقع التخليط في الطريق ويتميز أهل الدعاوي بالمشيخة فيكدرون على أهل الله وقتهم إلا من أخذ الله بيده، ولا شك أن صاحب البصيرة النافذة يعرف من يصلح للطريق ومن لا في أول دخوله عليه وقد يكون مستغرقا في بعض الأوقات فيرى كل داخل عليه يصلح للطريق فلا يحكم بالظاهر لأجل غلبة الباطن، ومن لم تكن له بصيرة لا ينبغي له أن يدل أحدا على دخول الحضرة وإن كان من أهلها إلا إن كان يتذاكر مع الجميع دون أن يخصص أحدا على دخول الحضرة، فإن كل مؤمن يجب عليه أن يسمع ممن هو أعرف منه وواجب عليه هو أن يذكره الله إن كان أعرف منه قال تعالى ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: 43]، وكل من هو أحسن منك حالا لا مقالا فقط فهو من أهل الذكر، لأن صاحب المقال دون الحال لا ينتفع به غالبا إلا إن كان باقيا على الفطرة التي ولد عليها وقليل ما هم، وإنما ينتفعون بأهل الحال والمقال وقليل ما هم.

ثم اعلم أن الفقر على أربعة أقسام: قسم بالرضا والعلم والحال وهو أعلى، وقسم بالعلم والرضا دون الحال، وقسم بالعلم والصبر دون الرضا والحال، وقسم بالصبر دون العلم والرضا والحال، فصاحب الصبر والعلم إذا خرجت عليه الدنيا نجى منها لوجود الصبر الذي هو ناشئ عن العلم، وصاحب الصبر من غير علم إذا خرجت عليه الدنيا فإنها تأخذه لا محالة، وهذا الفقر كله محمود، والفقر الذي استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي لا يكون مع صاحبه علم ولا صبر فضلا عن الرضا به فإنه يريد دفع ما أراده الحق تعالى، وهذا هو الجهل المركب، ولا يكون هذا في مسلم قط وإنما يكون في الكفار، لأن المسلم لا بد أن يكون معه شيء من الرضا والصبر فافهم، وكذلك لا ينبغي لنا أن ندل إخواننا الفقراء الملازمين لنا على الراحة والهناء قبل الوصول، لأن السائر إذا سكت عنه شيخه يقع له الكسل والعجز فيحصل له الملل من الرياضة فيرجع إلى أدنى رتبة العوام وإن رجع للرياضة وأراد قتل نفسه فلا

يقـــدر لـــشدة تمكنها منه، فالواجب علينا أن ندل الكل على الرياضة من السائرين والواصـــلين لتكون الطريق مصونة، ومن الآفات مضمونة، فالواصل لا مجاهدة له في شرائع الخواص والعوام، والسائر يقوم بمجاهدة الخواص ومجاهدة العوام إن كان قويًّا وإن كـــان ضعيفا فعلى قدر ما يطيق منهما ولا نأمره بمجاهدة الخواص وحدها أو مجاهـــدة العـــوام وحدها بل لا بد منهما، لكن إن كان كثير الصدق أمرناه بشرائع الخواص وشيء من شرائع العوام، وإن كان قليل الصدق أمرناه بشرائع العوام وشيء قلـــيل من شرائع الخواص، فإن عظم صدقه جذبه الحال لكمال شرائع الخواص، ثم يجـــره الحال الثاني لكمال شرائع العوام، فشرائع الخواص التجريدُ ظاهرا وباطنا من الـــشواغل والعوائق والعلائق والتغلغل في علم الحقائق، وشرائع العوام إدامة الصلاة والصيام. وكذلك لا ينبغي لنا أن نرخص لمن علمنا منه الصدق في طلب الحق تعالى في شـــيء من الدنيا، فإن الرخصة فيها تفسد عليه صدقه، ولا بأس أن نرخص له في شيء منها بعد الوصول لأنها لا تضره، وكذلك نرخص في شيء منها لمن علمنا منه ضـــعف اليقين وقلة الصدق فإذا قوي يقينه أمرناه بالانسلاخ منها لتنسلخ منه هي بالكلـــية، لأن مـــن انسلخ منها مع وجود اليقين انسلخت منه لا محالة فيسير سيرا مـــسرعا كالذي هو في الطريق مسافر ولا عليه سوى ما هو ساتر عورته فإنه يقطع المـــسافة البعـــيدة في ساعة قليلة، وأما الذي يميل إليها بقلبه ويتبعها بجوارحه فهو كالـــسائر في الطريق وعليه ثقل شديد والمسافة بعيدة فإنه لا يرى أين يسقط، ولا شيء يقطع المريد ويعثره على المسير مثل الميل إلى الدنيا، وبالجملة فما نجى منها أحد سوى الواصلين، وقليل ما هم، والله تعالى أعلم. وكذلك لا ينبغي لنا أن نمدح كـــثيرا من السائرين إلى الله سبحانه لأن ذلك يضرهم وينقصهم لأجل العلة الباطنة الـــتي هـــي حب المدح والجاه والرفعة وغير ذلك فلعدم تحققه بالإخلاص إذا سمع الـــشيخ يمدحـــه حمل ذلك على غير ما أراده الشيخ فيطيش إلى الكمال فتزل قدمه فـــيهلك، فـــلا إلى النهايات وصل، ولا هو في البدايات بقي، إذ السائر نفسه حية بخـــلاف الواصـــل فإنه إذا مُدح زاد محبة وتواضعا وحياء من الله ومن الشيخ فيرى نفسه ليس بأهل للمدح وذلك لوجود إخلاصه وشدة صدقه وكمال تحققه، وتأمل حالـــة الكمَّـــل رضي الله عنهم يظهر لك صحة ما ذكرناه ألا ترى أنهم إذا مُدحوا بـــادروا إلى العبودية شكرا لله عز وجل وخوفا أن يكون ذلك استدراجا، حتى إن العارف الكامل يخاف أن يخرج من وصفه فيموت كما يخرج الحوت عند إخراجه

من الماء، بخلاف من مُدح ونفسه حية فإنه يُخاف عليه أشد الخوف لأنه لا يعرف قدر المدح ولا مراد من مدحه فيحمل ذلك على ظاهره كما تقدم فلا يزال في النقص حتى يرجع إلى حالة العوام ويحصل له الرضا عن نفسه فيخسر خسرانا مبينا والعياذ بالله من ذلك، نَعَمْ إن علمنا من بعضهم وتحققنا أنه لا يسير إلى الله إلا بالمدح لضعف صدقه وقلة تحقيقه فهذا لا بأس أن يمدح مدحا خفيفا قليلا، وأما المدح الكثير فإنه يضره وينقصه، وأيضا كثيرا من الناس إذا مُدحوا حدثتهم نفوسهم بحديث الكمال فيسمعونها لقرب عهدهم منها فيسيرون بسيرها وهم لا يشعرون، ويا ليت صاحب هذا الحال أن يتأمل بعقله في خطابها ويقول لها ما معنى هذا إن كان منك نصحا لي فساعديني على الأدب والمسكنة والحياء والخوف وترك الحظوظ فإن كل مقام أو حال تواضعنا لله فيه وحقرنا أنفسنا أن نكون له أهلا حققنا الله به أحببنا أم كرهنا، وإن كان هكذا فاللائق بنا أن ندع ذلك حتى يأتينا فنتحقق بما أشار به لنا شيخنا رضي الله عنه تحقيقا لا شك فيه، أو يقول لها إن الشيخ لما رأى منا الجنوح إلى الكمال ونحن في النقص مدحنا لنتأمل في أفعالنا وأحوالنا هل هي موافقة لما قال أم لا فإن كانت موافقة حمدنا الله تعالى وشكرناه وزدنا رجوعا إلى العبودية وإن كانت غير موافقة لذلك انتبهنا واستيقظنا من سكرات الغفلة ونرجع ونستعين بالله ونصبر ونعلم أن مراد الشيخ بمدحنا أن يوقظنا وينبهنا بالمدح لقلة صدقنا، ولو نبهنا بالذم والزجر عن ما نحن عليه لربما وقع الفرار من الشيخ فافهم، وبالجملة فوالله إنه لقليل السلامة من مُدح ونفسُه حية، ولا يتفطن لما ذكرناه إلا الصادق الحاذق الذي أحرقت نار الصدق كبده، وهو قليل الوجود، وقد يُمدح بعض الأخيار ويُشار إليه ببعض المقامات العلية وهو عار عنها فيزداد محبة وحياء وخوفا وتواضعا وسخاء بنفسه وماله إن كان له مال ولا يقع له الرضا عن نفسه قط ولا يراها أهلا لشيء من ذلك حتى يصل إلى تلك المقامات التي أشار الشيخ بها إليه، وقد رأيت من الإخوان من هو على هذا الحال فلا يرى نفسه أهلا لكل ما مُدح به، فاحذر يا أخي إذا مدحك الشيخ أو الإخوان أن تقف مع ذلك وقلْ لست أهلا لذلك، وإن ذموك فقل هذا وصفي تنجح وتسلم من دخول آفات الجهل، وقد يمدحون رضي الله عنهم الضعيف ليتقوى على ذكر الله، ولا يمدحون الأقوياء ولا يلتفتون إليهم لشدة صدقهم فافهم، فالعاقل من أعطى للمجاهدة حقها وألزم نفسه وصفها، والأحمق من أتبع نفسه هواها وطلب مع الأكدار صفاءها، ومن علامة حياة النفس إذا مُدح

صـــاحبها حيي بحياتها أي انبسط وإذا ذم مات بموتها أي انقبض، ومن علامة موتها وفنائها واضمحلالها إذا مُدح زاد وإذا ذم زاد، فلا يرى مدحا ولا ذما لشدة يقينه في ربـــه وشـــهوده لقربه، ثم لتحققه أن الله تعالى إنما أبرزه لعبادته لا غير لم يزل على العهد لا يراعي إلا صفاء قلبه في عبادة ربه، ليس له خوف من نار ولا طمع في جنة، قـــد امتحى من قلبه شهود الخلق، ومن لم يبلغ شهود التحقيق بالتحقيق لم يمتح من قلبه جمال الجنان ولا جلال النيران لرؤية الحق، ومن لم تمح من قلبه صور الكائنات لا يشم رائحة العلوم اللدنية والأسرار الغيبية، ولو أنه زال ولم يشهد لنفسه حولا ولا قـــوة بل ولا وجود أصلا كما هو نفس الأمر لخلصت عبادته ولظهرت عليه نتيجة الزوال ولاندرج في مقام الكُمَّل. أرحْ قلبك من رؤية الخلق وأذنك من سماع كلامهم المليح والقبيح، ترحْ وتسترحْ، ويكون نظرك غير قصير، وعقلك غير صغير. وينبغي للمـــريد أن يسير نفسه على ما تكره من شدة الفاقة والمذلة، وأن يقصد بها مواضع الذم دون المدح، ومواضع المنع دون العطاء، ويلزمها ذلك حتى ترجع إلى وصفها وتمتزج معه ويمتزج معها، فتعرف قدرها، وحينئذ لا تطلب وصف العلو قط، وكل نفس طلبت وصف العلو فهي غير متحققة فافهم.

واعلم أن حب المدح دون الذم والغنى دون الفقر والعز دون الذل إنما هو من غلبة رؤية الخلق لا غير، ولو فنا فناء سرمدا لرأى المدح والذم اسمان لشيء واحد، حتى إنه إذا نودي يا زنديق أجاب، وإذا نودي يا صديق أجاب، لأنه ماء الزجاج كل واحد يرى وجهه فيها فيخاطب كل واحد باسمه أي بوصفه، وإلا فهو لا اسم له في التحقيق، فافهم هكذا يكون العارف وإلا فلا، والتعرض للإذاية جائز عند القوم بل هو مطلوب لأنه موجب لصفاء قلوبهم وموت نفوسهم، وقد جاء في تحمل الأذى والصبر عليه فضل كبير وخير كثير، هذا فيمن أصابه شيء من ذلك قهرا عليه فكيف بمن رضي بذلك وتعرض له اختيارا منه، وقد قال صلى الله عليه وسلم (أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم، فقالوا وما كان أبو ضمضم يا رسول الله، قال كان إذا أصبح وأراد الخروج من داره قال اللهم إني تصدقت بعرضي على عبادك) فكان يؤذَى ولا يؤذِي، وخذ هذا المعنى من قوله تعالى لسيدنا موسى وهارون عليهما السلام حين أرسلهما إلى فرعون ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾

[طه: 46] لأن الحق تعالى أمر سيدنا موسى وسيدنا هارون عليهما السلام بحمل إذاية فرعون لإخراج الناس من يده ليكونوا لله لا له، كذلك الأشياخ رضي الله عنهم أمروا المريدين بحمل إذاية الخلق لإخراج نفوسهم من الطبع البشري ليكونوا لله لا لنفوسهم، والنفس هي فرعون المريدين، لأن فرعون كان يدعي الربوبية ظاهرا والعياذ بالله، والنفس المتكبرة تدعيها ادعاء خفيًّا من حيث لا يشعر صاحبها، فانتبه يا أخي من سكرات الغفلة، والزم نفسك وصفها، وجاهدْها في الله حق جهاده، ليعينك الله على التحقق بوصفك، ومن علامات موت النفس والتخلص منها بالكلية أن يعمل صاحبها أعمالا كثيرة من أعمال أهل الإخلاص ولا تعظم في عينه بل ولا يرى شيئا منها ولو مقدار ذرة، وهذا هو العمل المقبول، ﴿ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر: 10] أي يغيبه عن عينه بمعنى يحجبه عنه ليكون اتكاله على الله لا على العمل، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اعملوا ولا تتكلوا) فدل على الإخلاص بالتبري من العمل بعد العمل، لأن المخلص هو الذي لا يرى لنفسه عملا مليحا كان أو قبيحا، وإن شئت قلت المخلص هو الذي إذا مُدح لا يزيد وإذا ذم لا يزيد، وهذا هو الشاهد الحقيقي على زوال الزوال، وهو لا يحصل إلا بعد تبري النفس من وجود جميع الحس، فافهم.

(**فصْل**): واعلم أن وقتا من الحضور برفع الستر أفضل من عبادة العمر كله من وراء الستر، فمن تمام نعمة الجليل أن يرزقك الحضور المتصل، وانظر إلى قوله عليه السلام (تفكر ساعة أفضل من عبادة سبعين سنة) والفكرة هي الحضور أو ما ينشأ عنها الحضور، فأول عبادة القلب الفكرة ثم النظرة ثم السكون في الحضرة، فمن لم يعبد الله بقلبه فليس بعابد على التحقيق، وإن شئت قلت الفكرة مفتاح، والحضور باب، والحضرة دار، فمن تمسك بالمفتاح لا بد أن يفتح، والفكرة فكرتان: فكرة أهل الدليل والبرهان وفكرة أهل الشهود، ولا تحصل فكرة أهل الدليل إلا لمن تفرغ من حب الدنيا وأقبل على العبادة، ولا تحصل فكرة أهل الشهود إلا لمن تفرغ من حب الدنيا ومن حب الآخرة ليكون فكره بالله، وفكرة أهل الدليل في الله من حيث

إنهم شغلتهم الأكوان عن مكونها لبعدهم عنه، وسبب بعدهم العمل على الجزاء، فتاهت فكرتهم في الصنعة، فوقفوا على جسر الرجاء والخوف وذلك لاعتمادهم على العمل، ولو أنهم تخلصوا لغيبهم الحق عن الرجاء والخوف لكانوا عبيد الله حقًا ولرفع عنهم الحجاب الموضوع عليهم من أجل الجزاء، ولو أنهم افتقروا إلى أطباء القلوب ودفعوا إليهم نفوسهم لعرفوهم بحقيقة العبادة ولصاروا كالكيمياء يخرقون الهند بالنظراء، فما حجب الخلق عن الله سوى ظنهم أنهم موجودون فعملوا عمل البر لنفوسهم وانتظروا رفع الحجاب، وأي حجاب أعظم من وجودهم، إذ لو فقدوا نفوسهم لما احتاجوا إلى كثير العمل، فالقليل يعود كثيرا، فما حصل التعب والمشقة إلا من عدم فقدان النفس، فلو فقدت لحصلت الراحة مع وجود المشقة والتعب في الظاهر، وأي تعب على من هو بالله، وأي راحة لمن هو بنفسه، وأهل الشهود فكرهم بالله غيبهم الحق تعالى عن نفوسهم وعن جميع الكائنات فخلصت لهم العبادات لوجودهم إياه وفقدانهم لنفوسهم، ولو أنهم شهدوا غيرًا ما قدروا على شيء من الإخلاص ولو كان الواحد على عبادة الثقلين، فما طلب الحق سبحانه من المخلصين سوى قلوبهم حتى لا يتصور فيها غيره، فكانت ساعة من هؤلاء خيرا من عبادة سبعين سنة وإلى ذلك الإشارة بقوله عليه السلام (تفكر ساعة أفضل من عبادة سبعين سنة)، فانظر رحمك الله ما في الحضور من السر والخير، والزمه بجوارحك وقلبك فإن له وقتا لا يسعه عقل عاقل ولا يفهم معانيه حافظ ناقل، وقد ينتهي بصاحب الحضور حتى لا يعرف اسمه ولا اسم غيره ويبقى جسمه كالحجر الصم إن ضربته لم يحس، وقد يجد لذلك الضرب حلاوة خاصة، وكيف لا يجد الحلاوة من شهد يد الحق تضربه، وما رميتَ إذ رميتَ ولكن الله رمى، ولذلك قيل الأحجار من يد الأخيار أثمار: هذا قول أهل الفناء في المخلوق فما بالك بأهل الفناء في الخالق، ولا تحسبن الحضور بالعلم لا والله إنما الحضور بالحال، إذ مثل الحضور بالعلم كرؤية الجائع الطعام الممنوع منه فافهم. وينبغي لطالب الحضور أن يسلك على يد شيخ ذي همة قاطعة إذا ذكَّرك سيَّرك وإذا نظرك غيَّبك وإذا همَّ بك حفظك ورعاك ومنعك تدبيرك واختيارك وعَرفك بقبيح أفعالك ورقاك إلى مقام كمالك والله غالب

على أمره، ثم لا يزال يسلك بك مسالك الشهود حتى يقف بك على الحدود فتعرف قدرك من قدر المعبود ثم تركع ولا تقطع ثم تسجد ولا ترفع فإذا كمل أدبك ناجيته من وراء الستر، ويكون هذا الستر من تمام السرور، وهذا لا يحصل إلا لمن قطع جميع العلائق، وصبر على إذاية الخلائق، وكملت فيه الشرائع والحقائق، وإياك يا أخي أن تطلب هذا مع القرب إلى الدنيا وأهلها والميل إلى زينتها وشهواتها ولذائذها، وذلك طلب المُحال، وقد يكون الرجل مقصرا من الدنيا ومعرضا عنها بجوارحه ولكن لم تظهر عليه ثمرة التقصير، والعلةُ في ذلك التردُد والالتفات إلى الشهوات التي منعت القلوب من دخول الأسرار وشروق الأنوار، فإن منع نفسه التردد وقطع عنه الالتفات وقع اليأس منها فتنكف الجوارح قهرا، وكذلك القلب يمتنع مما امتنعت منه الجوارح ويقع له اليأس من مساعدة الجوارح فيحصل له الانكسار ويتذلل بتذلل الجوارح وانكسارها فيرجع إلى الله ورعايته لتحققه أن لا ملجأ من الله إلا إليه، فتحصل له النصرة بعد الذلة ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ فاعمل يا أخي على هذه السياسة فإنها سبيل إلى الحضور، واقربْ من أهله واصحبهم واعرف قدرهم ليعرفوك قدرك، فإن قدرهم عند الله عظيم، والذي حجبك عنهم جيوش نفسك الساكنة في فؤادك وجوارحك فأهانتك وَصغَّرتك وحقرتك وضعفتك وملكتك للأشياء بعد أن كانت هي مملوكة لك وخادمة لك، ومن هنا ورد (من عرف نفسه عرف ربه)، فاسْعَ يا أخي في ملاقات العارفين الموحدين المجذوبين السالكين ليجذبوك عنها ويسلكوك به لا بك حتى تصير عنها حرًّا وله عبدا، فتخرج من حضرات الأكوان إلى حضرة المكون، ثم ترجع إلى حضرة الأكوان بحضور حضرة المكون: وهذا مقام نفيس وهو المعبر عنه بمقام البقاء، واعلم أن احتمالك لإذاية الخلق أو تقول غيبتك عنها وهو أبلغ إنما هو لغيبتك عن شهود نفسك ووجود حسك، وعدم احتمالك لإذاية الخلق إنما هو من شهودك لها وتعظيمك إياها، ولو أنك غبتَ عنها لصغرت في نظرك ولرأيت عزك في ذلها وإهانتها، وكل من حضر علم التحقيق صبر واحتسب ورضي لمراقبة الحق تعالى في

خلقه، لأن العبد إذا راقب الله تعالى استحيى منه أن يؤذي عبيده، فالزم يا أخي مراقبة الله تعالى والحياء منه والخوف من سطوته وقهريته المقهور بها كل أحد، وراقب الله تعالى في خلقه، وتحملْ ما ظهر من الأغيار والأكدار، ولا تنظر للأفعال، وانظر للفاعل المختار، واغسل يا أخي مرآة قلبك من جنبات رؤية أفعال الخلق، وطهرْ نفسك من أوصاف بشريتك تشرقْ عليك أنوار روحانيتك، فتعظم مراقبة الله تعالى في قلبك، إذ نتيجة المراقبة رؤية الأفعال كلها من الله، ومن لم يرَ الأفعال كلها من الله ذوقا وكشفا فمراقبته ليست بساكنة في قلبه وإنما هي عن ظاهر قلبه، وسكون المراقبةْ في القلب ينشأ عنه المشاهدة وهي ألا موجود على الحقيقة إلا الله: كان الله ولا شيء معه، لي وقت لا يسعني فيه غير ربي، لم أرَ عند رؤية ربي أحدا من خلقه، إلى غير ما ورد في معنى العيان، وقال بعضهم لو كلفت أن أرى غيره لم أستطع فإنه لا غير معه حتى أشهده، وقال آخر محال أن تشهده وتشهد معه سواه، إلى غير ذلك، فالمقام الأول وهو مقام المراقبة لخاصة أهل الظاهر، والثاني وهو مقام المشاهدة لخاصة أهل الباطن، وعلامة المراقبة القلبية التي لا يشاهد صاحبها فاعلا إلا الله حسنُ الظن وحسن الخلق وحب المؤمنين أجمعين ولا يسمع قول أحد في أحد ولا يظهر ما في أحد لأحد من القبائح إن اطلع عليها، وأما المحاسن فلا بأس بإظهارها، وقد يتحتم عليه إظهارها تخلقا بأخلاق الحق تعالى، إذ الحق تعالى يستر على عبيده القبائح ويظهر عليهم المحاسن لأنه رب غفور، وهذه أخلاق الصالحين، وأما أهل الشهود فقد اشتملوا على جميع المحاسن الظاهرة والباطنة وهم غائبون عنها في حال وجودها لشدة إخلاصهم وإفلاسهم من نفوسهم، فافهم ذلك وتأمله، والله على كل شيء قدير.

(فصْل) واعلم أن الحق سبحانه يؤيد هذا الدين بأهل الخراب من الخاصة، ولولاهم لوقع الخلل، إذ الإخلاص الكامل هو في أهل الخراب وأهل البلايا من الخاصة، ومن لم يظهر فيه الخراب فلا يخلو من البواقي وإن كان عارفا، لأن الإخلاص التام لا بد أن يظهر على صاحبه ظاهرا مثل عدم المبالاة بجوارحه فلا يكترث بمرض أو فقر أو غير ذلك مما يدل على عدم رؤية السوى، فإن من تخلص

لا يكترث ولا يبالي على أي حال كان سُفليا أو عُلويا فقيرا أو غنيًّا عالما أو جاهلا ذليلا أو عزيزا مريضا أو صحيحا غائبا من الأحوال في المُحَول، ومن قال أهل الحضرة لا يشترط فيهم هذا فوالله ما عرف أهل الحضرة فضلا عن الحضرة، إذ الحضرة رؤية جماله وجلاله، وكيف تحصل للعبد ولا يظهر عليه دهش ولا خضوع ولا ذل ولا إغفال عن نفسه ولا إهمال لها هذا محال ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾ صدق الله العظيم، واعلم أن أرباب الأحوال لا يرتكبون أمرا ولا يستعملون شريعة من شرائعهم إلا وذلك مأخوذ من الآيات والأحاديث، لكن تارة يأخذون بظاهرها، وتارة يأخذون بباطنها، والغالبُ عليهم الأخذ ببواطنها إذ هم أهل البواطن، وظاهر الآية والحديث قد يكون فيه رخصة للضعفاء وأما باطنها فإنه يشير إلى الإخلاص التام، فإياكم يا معشر الفقهاء من الاعتراض على أرباب التوحيد الخالص فإنهم ما حملهم على الشطح والرقص والصياح والبكاء والفرح والبسط إلا ما كوشف لهم من عالم الغيب في صفاء مرآة قلوبهم حين وَفوا بحق العبودية التي لا حظ للنفس فيها مثل الزهد في الدنيا والمسكنة والسخاء والذل والصبر وحمل إذاية الخلق والفقر والفاقة والعزلة والصمت وغير ذلك مما هو مناسب للعبد، وطرق أهل الحقائق على عدد أنفاس الخلائق، وأهل الرسوخ والتمكين يعرفون ذلك، وهذه الشرائع التي استعملوها مثل السؤال وغيره إنما هي لخروج النفس من عوائدها لا غير، ومن عوائدها ركونها إلى الناس وركونهم إليها، ولو لم يكن في السؤال إلا دفع الناس عنك ودفعك عنهم لكان كافيا، وما من حقيقة مباحة إلا وفيها وصف من أوصاف العبودية إلا السؤال فإنه جامع لها كلها لكن إن كان مع شروطه وفيه حقيقة كبيرة ولا يبلغ تلك الحقيقة إلا أهل التجريد، وكذلك ما يوافق السؤال من الحقائق المباحة التي تثقل على النفوس، وما اختاروا السؤال إلا لكونه الغاية في قتل النفس مع كونه من الأمر المباح ولأن سيوفه قاطعة وأنواره ساطعة ومقاماته علية وحقائقه جلية، فبقدر ما يتذلل العبد لربه بنية التخلص من نفسه والتواضع لله يعزه الله ويرفع قدره، وقد قالوا كلما دفنت نفسك أرضا أرضا سمى قلبك سماء سماء، ونتيجة

السؤال الذل والفقر وغير ذلك من أوصاف العبودية، ولهذه الأوصاف شريعة وحقيقة، فشريعة الذل التذلل لله ظاهرا وهو الذي اشترك فيه العامة والخاصة كالصلاة والصيام والتضرع والبكاء وغير ذلك مما هو مشهور عند العوام والخواص، وحقيقة التذلل لله باطنا وهو خاص بالخواص وهو افتضاح عورات النفس على رؤوس الخلائق وهذا هو الذل باطنا ولو كان ظاهرا ما أنكره العامة، فكان باطنا عند العامة، ظاهرا عند الخاصة، ظاهرا عند أهل القلوب، باطنا عند أهل الجوارح، ومن لم يصل إلى الحقائق المباحات فليس هو من أهل التجريد، وكثير من الناس سلكوا الطريق إيمانا وتصديقا بالتجريد وليس لهم فيه قدم ظاهرا ولهم فيه قدم باطنا، وعلامته أن يقف صاحبه ويرجع عن الدنيا ولا بد أن تظهر أحوال هذه الحالة على صاحبها مثل السخاء المتصل والتواضع والصبر والنية والصدق وحب الفقراء والمساكين والميل إليهم دون غيرهم والقرب منهم دون غيرهم والسخاء معهم أكثر من غيرهم واستحسان أحوالهم الظاهرة والباطنة والتشوف لمقامهم على الدوام وهذا لا بد أن يسلك الطريق إيمانا وتصديقا، ولكن شتان بينه وبين من سلكها حالا وتحقيقا، والتجريد مقام عبيد العبيد، لا يقيم فيه إلا صادق شديد، يصبر صبر الحديد، حتى يرجع عنده المر لذيذا، والسؤال شريعة في حق الخواص بعد الفاقة والاضطرار والإذن من الشيخ، ومن لم يكن له إذن فلا يتقدم إليه، وإن كان له توكل ويقين فلا عليه وجد أو فقد، وإن كان ضعيف اليقين فليستعمل سببا خفيفا تطمئن له النفس حتى يعظم يقينه ويتركه السبب، فإذا تخلص من الاهتمام بالرزق وتعلق قلبه بالحق رجع حينئذ إلى شيء من الأسباب الخفيفة ليكون حرًّا عنها عبدا فيها له لا لها، وهو حقيقة في حق العوام لمن لا فقر له فافهم، والسؤال على ثلاثة أقسام: فسؤال العامة وسؤال الخاصة وسؤال خاصة الخاصة، فسؤال العامة لقوت أشباحهم، وسؤال الخاصة لقوت أرواحهم، وسؤال خاصة الخاصة لسَعة أسرارهم، وليس للخاصة أن يسألوا كلهم ولا لفقراء العامة أن يسألوا كلهم، بل مباح للخاصة لمن أخذه عن شيخ واصل عارف بمفاتح الحضرة كلها، لأن الحضرة لها بعض المفاتح شرائع، بعض المفاتح حقائق، والشرائع لها حقائق باطنة لا يعرفها إلا هم، كما أن

الحقائق لها شرائع ظاهرة لا يعرفها غيرهم، فإذا جاءهم مريض بعوائد نفسه نظروا إليه بعين البصيرة فإن كانت نفسه أمارة استعملوا له حقائق مباحة كالسؤال وغيره مما يثقل على النفس، وإن كانت لوامة استعملوا له شرائع مسنونة ومستحبة كالزهد والورع والعزلة والصمت، ولا يزالون في معالجته حتى يصل إلى حضرة مولاه وحينئذ يقطعون عنه المباح، ومن الحقائق المباحة السؤال فإن رأى الشيخ في بعض المريدين أن مفتاحه السؤال دله عليه لما فيه من الذلة والإهانة وسقوط نفسه من عينه بسقوطها من أعين الناس، وهو مباح في وقت الحاجة للخاصة والعامة، لكن للعامة بشرط عدم القدرة على الكسب وأما مع القدرة فلا يعذرون وفيهم ورد أنهم يُبعثون وليس في وجوههم مزعة لحم، بخلاف الخاصة فإن لهم عذرا شرعيا وهو اشتغالهم بذكر الله وحرصهم على حفظ قلوبهم من أن يدخلها غيره لعلمهم أن ما اشتغلت به الجوارح حتما تشتغل به القلوب، فتركوا الأسباب واستعملوا منها ما خف وما لا شهوة للنفس فيه وهو السؤال لأنه لا حظ لها فيه بل ولا تقدر أن تلتفت إليه ولا تحب أن تسمع حسه لما فيه من الذلة والإهانة، لأن السائل سيره ذل وكلامه ذل ولباسه ذل، وما سكن أحد وصفه اختيارا إلا ونَشَر الحق سبحانه عليه رداء وصفه قهرا عليه، وقد بلغنا أن نبيا من أنبياء بني إسرائيل كان فقيرا في أول رسالته وكان إذا جاع وقف على أبواب بني إسرائيل يسأل شيئا فشق ذلك عليه فقال إلهي خزائن رزقك مليئة لا تعجز عن غنائي فلو أغنيتني عن بني إسرائيل فأوحى الله تعالى إليه إذا كانت هذه السياسة في خلقك مع بني إسرائيل وأنت محتاج إليهم فكيف لو أغنيتك عنهم، فتأدب وصبر حتى أغناه الله وعادت بنو إسرائيل كلهم يأكلون معه سماطه انتهى، فتأمل حال هذا النبي الكريم لما عرف الله في نفسه دله الحق سبحانه على أن يعرفه في جنسه، فما مراد الحق تعالى منه السؤال من خلقه وإنما أراد أن يعرفه في خلقه، فلما عرف مولاه في نفسه وجنسه غاب عنهم فيه كان الله ولا شيء معه، وهذه هي المعرفة بالله ولله وفي الله، إذ المعرفة على ثلاثة أقسام: معرفة في النفس دون الجنس، ومعرفة في النفس والجنس، ومعرفة بالله ولله وفي الله، فالمعرفة في النفس معرفة العلم به والتصديق والإيمان به وبأوليائه وهو لأهل

البدايات، ومعرفة في الجنس التعرضُ للتعرفات من الخلق اختيارا وهذه معرفة أهل العمل بالعلم وهو مقام السائرين، ومعرفة بالله ولله وفي الله معرفة أهل الحال فلا مجاهدة لهم في العلم ولا في العمل لأن علم التحقيق وعمله امتزج مع دمهم ولحمهم من شدة الحال وهذا حال أهل الرسوخ والتمكين وهو مقام الإحسان المعبر عنه بالبقاء. وسؤال الخاصة المستغرقين في بحر الذات مباح في وقت الحاجة وفي غير الحاجة لغيبتهم عن الخلق وعن الرزق لأن الحق تعالى كشف لهم عن عظمته وكبريائه فدهشوا وغابوا عن الأسباب بشهود مسبب الأسباب، مَلكتهم الأحوال في الأقوال والأفعال، فلا معرفة لهم بالسكر ولا بالصحو، إذ لا يعرف السكر إلا صاح، وإن دامت بهم الغيبة سقط عنهم التكليف، لأن التكليف مع وجود العقل، وكل مستشرف فهو صاحب سُكر، والناس في السكر على ثلاثة أقسام: قسم مطموس الأثر مستغرق على الدوام، وقسم تارة بتارة، وقسم ممزوج السكر بالصحو من أول قدم، وغالبهم وأكثرهم يكونون تارة بتارة، رضي الله عنهم أجمعين، ولا يباح السؤال لخاصة الخاصة في بعض الأوقات وذلك حالة وجودهم لقوت أجسادهم وأرواحهم لأن الشريعة تطالبهم بالقيام بحقها كما أن الحقيقة تطالبهم بالقيام بحقها، بخلاف الخاصة فإنه مباح لهم في كل وقت لأن الحقيقة تطالبهم بالقيام بحقها أكثر مما تطالبهم الشريعة، لأن الشريعة تطالبهم بالمهم فقط إن كان لهم صحو، فالشريعة باب، والمراد من الباب الدخولُ عليها للدار لا الوقوف فيها، فإن دخلوا كان ذلك مرادها منهم، فمن كان معه صحو حالة سيره فالواجب عليه شكر الباب أعني الشريعة كما يجب عليه شكر الدار أعني الحقيقة، ومن لم يكن معه صحو فلا يطالب بالقيام بالشريعة قال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ﴾ [النساء: 43] فالصلاة الحسية إنما هي باب للصلاة المعنوية كما تقدم ولا شك أن الجمع بين الصلاتين أمر عظيم والجامعُ بينهما ولي كامل، ومن كانت عنده صلاة المعنى فقط فهو ناقص بالنسبة لمن جمع بينهما، ومن كانت عنده صلاة الحس دون صلاة المعنى فهو ناقص بالنسبة لمن عنده صلاة المعنى فافهم، فإن قيل إن السؤال حرام لمن عنده كفاية قلنا الخلق كلهم يطلبون الرزق وإنما يتفاوتون في الاعتقاد على

قسمين عامة وخاصة، أما الخاصة فإنهم يعتقدون أن الرزق من الله تعالى سواء كان السبب أو لم يكن وحالُهم في عدم السبب أقوى لكون خواطر هم الرزق تنقطع وتذهب عروقها بالكلية ولا ينقطع ذلك إلا بترك أسباب الدنيا بالكلية أو بوجود شيء من الأسباب مع التوكل على الله سبحانه، فالأول مقام الزهاد والعُبَّاد، والثاني مقام العارفين الجامعين، وقد يكون من العارفين من لا يقدر على شيء من الأسباب في بدايته لشهود مسببها فإذا انشرح قلبه واتسع وعرف الحق ظاهرا وباطنا أمده الحق تعالى بالقوة على الأسباب فيكون حاملا لها من غير مشقة ولا تعب وهذا حال من فني عن نفسه وبقي بربه، فمن صحَّ بقاؤه كما ذكرنا فالواجب عليه شيء من الحركة الخفيفة سترا للقدرة وأدبا معها، وأما اعتقاد العامة فهو ظاهر فقط ولو دخل ذلك الاعتقاد إلى صميم القلب لتركوا الأسباب وإن وجدت كانت خفيفة كما تقدم، وحيث كان الاعتقاد في ظاهر القلب فقط كانت أسبابهم كثيفة ثقيلة غليظة شديدة وذلك من ضعف اليقين الساكن في صميم القلب، إذ كلما عظم السبب ضعف اليقين، حتى يستولي حب الدنيا على ظاهر القلب فتعظم الشكوك والأوهام وغير ذلك حتى يصير ذلك اعتقادا ويرى أنه إذا لم يكن سبب مات جوعا ولا سيما من استغرق الأوقات والأيام والشهور والأعوام في الأسباب حتى عادت آخرته بعضا من دنياه فربما يكون اعتقاد هذا أن الرزق من الأسباب لا من مسبب الأسباب والعياذ بالله، وسبب هذا كله خروج نور التوكل من القلب، لأن القلب إذا كان فيه شيء قليل من نور التوكل حصلت له القناعة من الدنيا، فإن عظم ذلك النور وقع له الزهد فيها، فإن استولى على ظاهر قلبه وباطنه حصلت له الغيبة عنها سواء وجدت أو فقدت، ومن رأيته كثير الاجتهاد في الأسباب الدنيوية فاعلم أن قلبه خال من حب الله عز وجل عامر بحب ما هو مشغوف به ومتعلق بأذياله، وما هو في الجوارح هو في القلب كذلك، ووالله ما في الوجود أقبح وأهون وأذل من العبد الغافل المنهمك في طلب الدنيا ولم يعتبر بمن تقدم قبله ورجع ترابا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثم اعلم أن السؤال على أربعة أقسام: سؤال عن علم وحاجة، وسؤال عن علم دون حاجة، وسؤال عن جهل وحاجة، وسؤال عن جهل وعدم حاجة. أما

السؤال عن علم وحاجة فسؤال بعض العارفين بالله المتخذين ذلك وِرْدا عن أشياخهم فهو مباح لهم من غير علة لأنه مبني على أساسيْن أساس الإذن وأساس الاحتياج، ولا يصح إذن الشيخ للمريد إلا إذا خرج عن ما عنده وهناك يصح له ذلك، وإياكم يا معشر الفقراء الذين اتخذوا السؤال وردا أن تغركم النفس بالادخار وتظنون أن ذلك لا يعوق أحدا بل والله إنه لسبب في قطع المدد وقلة التوفيق والاستعداد وركوب حمار الطمع بعد النزول عن خيول الزهد والورع. وأما السؤال عن علم من غير حاجة فهو مباح أيضا عند العارفين في شريعتهم لمداوات علل باطنة مثل مراقبة النفس لأبناء جنسها وحبها أن ترى في أعينهم كبيرة وقسْ على هذا، وقصدهم الصدق مع الله وتصحيح العبودية لله خالصا، فهو جائز وإن لم تكن حاجة، وهذا لا يفهمه سواهم، لأنه حكم من وراء العقول، ولا يعرفه إلا أهل البصيرة السالكين طريق التجريد المتحققين بحقيقة التوحيد رضي الله عنهم. وأما السؤال عن جهل وحاجة فسؤال العامة وهو مباح لهم عند الفاقة والاحتياج بل واجب على من بلغ حد الاضطرار ووجب على المسئول أن يعطيه وإن منعه كان عاصيا لله ولرسوله قال مولانا تعالى ﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ ﴾ [الضحى: 10] إشارة إلى أن لا يبخل المسئول أصلا، والفقراء صابون الأغنياء وطهارتهم ونورهم وضياؤهم ووسيلتهم إلى دار الآخرة، هذا لمن عرف قدرهم وقام بحقهم، لأن المعاملة معهم كلها معاملة مع الله أحسنت أو أسأت، فاختر لنفسك ما تشاء، فإن الفقراء حقهم على كل أحد أحب أم كره، انظر إلى قوله تعالى ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾ [التوبة: 60] فإن الله تعالى أعطاهم حقه فكيف بالخلق، ووالله لولا الحياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم لقلت ليس في الوجود إلا متاع الفقراء لكن بشرط ألا يدخروا شيئا، ومن ادخر فليس له إلا ذلك إن كان من حلال فهو له وإن كان من حرام فهو عليه. وأما السؤال عن جهل وغير حاجة فسؤال بعض العامة المنهمكين في بحر العجز والكسل، وسببُه الإهمال لطاعة الله والعجز عنها، فغَيَّر الله ما بأيديهم ورفع البركة من رزقهم، فأهينوا كما أهانوا حق مولاهم، وتركوا كما

تركوه، فضعفوا وذلوا وحقروا قهرا عليهم، وما قام أحد بحق الله وضيعه الله قط، فإن الدين تنزل معه البركة وتحصل به القناعة والراحة والعافية والمسكنة وتتيسر أموره بعد عسرها، وصاحب الدين يحصل له الصبر على الفقر والرضا به، وقليل الدين لا يحصل من الصبر شيء ولا يشم للرضا رائحة، والشريعة شريعتان: شريعة العوام وهي الامتثال خوفا وطمعا، وشريعة الخواص وهي الامتثال محبة وتعظيما وإجلالا. ثم لا يخفى أن السؤال إذا كان جائزا للمضطر، فالفقراء قد سكنوا قصور الفقر والفاقة والمذلة والإهانة، فهم في حالة الاضطرار على الدوام، لما وجدوا في ذلك من القرب إلى الله ما لا يجدونه في القيام والصيام، لأن القيام والصيام إذا كانا مع وجود الشهوات زادت بهما النفس تمتعا وصاحبها لا يشعر، لأن حظها في الطاعة باطن خفي، ومداوات ما يخفى صعب علاجه، ولذلك اختاروا التحقق بالأوصاف دون كل شيء لأنه لا حظ للنفس فيه، فعبادة المتحقق بوصفه كالكيمياء، وعبادة غيره كالفضة، ولذلك كانت ذرة من أعمال القلوب أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح، ومن هنا هدم أهل المعرفة بالله على النفوس عوائدها ومنعوها شهواتها ودفنوها في أرض الفقر والاضطرار وأنزلوها منازل العبيد ومنعوها منازل الأحرار، إنما الصدقات للفقراء، ﴿ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾ صدق الله العظيم، ولهذا قال ابن عطاء الله رضي الله عنه حين تحقق بحقيقة الأسرار وهو الفقر والاضطرار (العارف لا يزول اضطراره ولا يكون مع غير الله قراره)، قلت لأنه شغله الحق به عن غيره فلم يجد قوة الأسباب التي عليها الناس فاختار هذا السبب الذي أباحه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال (من مات جوعا ولم يسأل دخل النار)، وجَوَّزوا السؤال أيضا لكونه أضعف الأسباب وأدناها وأصغرها، فمن بالغ فيه قهرا على نفسه أفضل ممن بالغ في الأسباب الكثيرة الدنيوية اختيارا مع وجود الاستقامة فيها كإخراج الزكاة ودفعها في محلها، لأن الأول خفف الله عنه حسابها وأسكنه موضعه وهو الفقر فحققه بوصفه اعتناء به وشفقة عليه، فهو على أحسن الحالات وفي مواضع النجاة، والآخر لا يدري هل هو ناج أو هو هالك

لكون الحق تعالى نشر عليه رداء نفسه قهرا إما نعمة أنعم عليه بها أو حظه من الآخرة عجله له، والغنى وصف من أوصاف الحق، ولا يقدر العبد أن يتأدب مع الله في وصفه، قال الله تعالى ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ أي وصفه، وإذا كان الساكن وصفه قهرا ناج فكيف بمن سكن وصفه اختيارا، وسؤال المخلصين سترا لسر التوكل وهم الواصلون، وسؤال السائرين تهذيبا للنفس وسياسة لأن النفس لا تحب أن تنزل لجنسها قط فيهون عليها الموت بالحديد ولا يهون عليها السؤال لمخلوق مثلها، لا سيما إذا سأل شيئا حتى كان بيدها ثم أخرجها عنه ودفعه لغيره، فهذا قتلها قتلتين في مرة واحدة، والسؤال في حق هذا مطلوب وإن أخذه لنفسه وإن كان زائدا على ما يستر به عورته ويرد به جوعته، ومن لم يكن مراده منه ترك الشهوة فهو في حقه حرام إذ يصير ذلك لحظ النفس فقط فتحمله لأجل ذلك فتعتل عبوديته وينفك عن الأسباب ولا يصل إلى التوكل فتقطع به القواطع وتحل نفسه القيد والرواتع، وموت النفس عند أهل الطريق فرض عين، والأشياخ رضي الله عنهم كل واحد فتح الله له في التربية أي في موت نفس المريدين فتحا لا حصر لهم، فمنهم من يأذن له في السؤال، ومنهم من يأذن له في غير ذلك، ولا يأذنون في شيء إلا ولهم الإذن في ذلك، وجَوَّزوا السؤال أيضا من وجوه ولو لم يكن منها إلا إخلاص النفس لكان كافيا، إذ هو صعب عليها ثقيل جدًّا وفيه حقيقة نفي الأسباب فتحمل شريعته لأجل حقيقته ولا حظ للنفس في شريعته وإنما فيه حظ الروح، ومن قال إن للنفس فيه حظًّا فليتقدم إليه بعد خروجه عما في يده ولا ينفق ما أعطي له في سبيل الله بل ينفقه على نفسه، والله لأكل العشب والدخول في الغيران والخروج من الأموال والأولاد أهون عليها من السؤال لكن مع شروطه كالصمت والاكتفاء بعلم الله والصبر على الإذاية ودفع ما أعطي في سبيل الله وغير ذلك، وإن فقدت هذه الشروط كان خفيفا على النفس من أجل أن لها فيه حظ فتستدرج به من حيث لا يشعر. واعلم أن العارف إذا سأل من غير حاجة فمراده منه قوت الأرواح لا قوت الأشباح، لأن قوت الأشباح قد لا يتعرض له العارف لشدة توكله ويقينه، وإذا كان التوكل يحصل لأهل المراقبة الحقيقية فيتركون الأسباب وهم من وراء حجاب فكيف

بأهل المشاهدة الذين ارتفع عنهم الحجاب وجلسوا على بساط القرب مع الأحباب، وهؤلاء أسبابهم توكل في توكل لمن عرف، وتوكل غيرهم بالنسبة إليهم سبب، وأسبابهم وإن شئت قلت عبوديتهم إنما هي ستر لحريتهم العظمى، واختاروا هذا السبب الذي هو السؤال لما فيه من الجمع بين التوكل والسبب وتحقيق نفي الغير وتصحيح العبودية لله عز وجل ظاهرا كفقر وذل وضعف وعجز وغير ذلك، فإن الغنى والعز والقدرة من أوصاف الحق تعالى، والمتصف بأوصاف سيده جاهل على التحقيق ولو كان محيطا بعلم الطروس، إذ المراد من العلم التقوى من الشرك وإن شئت قلت التحقق بالوصف، وما سلم من الشرك الخفي إلا من تحقق بوصفه، والذي ترك وصفه ليس له معرفة بالعلم ولا بأسرار التقوى وأنوارها، فالعلم الذي لا يحقق صاحبه بوصفه فصاحبه جاهل في علمه، والجاهل الذي يحقق صاحبه بوصفه فصاحبه عالم في جهله، وسبب الجهل مع العلم الرضا عن النفس والعكس، قال ابن عطاء الله (ولأن تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالما يرضى عن نفسه، فأي علم لعالم يرضى عن نفسه، وأي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه)، فالذي لا يرضى عن نفسه عبد الله بقلبه ولذلك سمي عالما وإن لم يكن عنده شيء من العلم الظاهر، لأن العلم حقًّا يوصل صاحبه إلى التحقق بالوصف من عدم الرضا عن النفس والتواضع والسخاء والصبر والقناعة من الدنيا والزهد والورع والحلم والضعف والعجز والذل والحنانة والشفقة والرأفة وحب الضعفاء والمساكين والجلوس معهم والتخلق بأخلاقهم الكريمة وما أشبه ذلك كما تقدم فهذه ثمرة العلم، وهذه هي العبادة الحقيقية التي هي عبادة القلوب، فالعلم الذي لا يوصل صاحبه إلى هذا فهو مدخول معلول بحب الرئاسة، وعن ذلك تفرعت علل كثيرة، فوالله إذا لم يجد طبيبا لخسر خسرانا مبينا، ولذلك سمي جهلا، والقوم هم مع ما صلحت به قلوبهم لا مع ما صلحت به الخلائق، قال مولانا ﴿ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾، فمن راقب الله تعالى لا يراقب المخلوقات لا سيما من شهده، والذي لا يراقب الله تعالى فكيف لا يراقب المخلوقات، ورحم الله من قال:

من راقب الناس مات غما وفاز باللذات الجسور

وعن سيدنا علي رضي الله عنه أنه قال (والله لو وجدت مصلحة قلبي على مزبلة لجلست عليها)، وأجمعوا على أن هذه الطريق لا تصلح إلا لأقوام كنست بأرواحهم المزابل، وقال سيدي أبو الحسن رضي الله عنه (والله ما رأيت العز إلا في الذل) قال شيخنا رضي الله عنه (وأنا أقول ما رأينا الذل إلا في الفقر) قلت لأن من لم يفتقر من الدنيا لا ينذل، والذي لا ينذل لا يشهد العز الحقيقي الذي هو محجوب بالعز المجازي فافهم.

(فصل) اعلم أن الفقير الصادق إذا نظر إلى الدنيا بعين قلبه سُلب في الحين من سر قربه، وناداه الهم والغم لحربه، وغطت أنوار قلبه ظلمات دائرة حسه، وعاد إلى عوائد أبناء جنسه، فتقوده الغفلة من النواصي، إلى حضرة المعاصي، وهذا جزاء القلب القاسي، وإذا تبعها بفكره، تشتت نور عقله، فيحمل أحمال التدبير والاختيار، فيرمى في بحر الأغيار والأكدار، ويمنع الراحة والقناعة، ويتمسك بأذيال الشحاحة، يصدق عليه قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ ﴾ [التوبة: 76] الآية، وكلما خاض فيها بالجوارح، جاء إبليس في صورة شيخ ناصح، ويقول له يا هذا كل ما تفعله مليح، فاجْر عليها بالليل والنهار لتستريح، وتتفرغ لعبادة ربك بالقلب والجوارح، فيخدعك ويهلكك ويصرعك ويقتلك، فاحذر يا أخي منه على الدوام، وتعوذ بذكر الملك العلام. يا لبيب، لا للهو وللعب. يا حسان، لا تطلق لنفسك في الدنيا العنان. يا خليلا، لا تكن بحب الدنيا عليلا. يا صادقا، لا تكن بأهل الغفلة لاحقا. يا عارفا، كن لقلبك عن الغير صارفا، وعما بأيدي الناس عفيفا، يرتفع عنك الحجاب الكثيف. يا حبيب، لا تستبدل الصدق بالكذب، وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب. يا فلان، غض الأجفان، وسد الأسنان، واطلق من الأبدان، والبس الأكفان، تكن من أهل العرفان. فق أيها العبد الكليل، الحقير الذليل، وراقب من بيده أمرك وعمرك ورزقك، أما سمعت قوله تعالى ﴿ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ ﴾ [طه: 132]. فق أيها العبد الذميم، المهين اللئيم، الغافل النائم، إلى متى وقلبك في بحر الأكوان هائم، ألم تسمع قوله تعالى ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشعراء: 88 - 89]. فق أيها العبد المغبون، إلى متى تصرعك الدنيا

كالمجنون، أما سمعت قول الله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ ﴾ [الذاريات: 56 - 57]. فق أيها العبد الغريب، طردك هم الرزق بعد أن كنت قريبا، ودهاك اللهو واللعب، والحق تعالى يقول ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: 2 - 3].

الاهتمام بالرزق بلاء ونقمة، الاهتمام بالرزق ضيق وحسرة، الاهتمام بالرزق أساس لكل عثرة، وسحاب على سماء النظرة. ليس لصاحب الاهتمام إلى قمر السير دلـــيل، ولا إلى شمس الوصول سبيل. الاهتمام يطمس باب الحضرة، ويمنع دخول الفكرة، هذا حكم الحكيم العليم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

واعلـــم رحمـــك الله أن قوت الروح في هذا العالم حسن الخلق، كما أن قوت النفس فيه سوء الخلق، فمن أراد أن يعرف مقامه في الذكر فلينظر ما عنده من حسن الخلق، فمن غلب عليه حسن الخلق فهو صاحب يقظة، ومن غلب عليه سوء الخلق فهو صاحب غفلة.

وحسن الخلق ينقسم إلى ثلاثة أقسام: خلق العارفين به، وخلق السائرين إليه، وخلق السائرين به.

أما خلق العارفين به خُلق أهل الرسوخ والتمكين إذ لا يمكن أن تشهد منهم خلقا سيئا لشدة تحققهم وصفاء قلوبهم، فلو أسأت معهم كل الإساءة لأحسنوا إليك كل الإحسان، وإن ظهر منهم ما يشبه سوء الخلق فما هو سوء الخلق ولكن حكم اسمه القاهر لأجل العبودية، إذ وصف العبودية لا ينقطع عن السائر ولا عن الواصل، إلا أن الواصل وصف قهرية فقط، والسائر وصف بشرية، وهذا هو الفرق بينهما، والسائر يزيد وينقص بوصفه لشهود نفسه، والواصل يزيد ولا ينقص لشهود ربه، ولو انقطع وصف العبودية عن الكُمَّل لوقفوا وحاشاهم من ذلك، قال الله تعالى ﴿ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ ﴾ [النحل: 30]، فما من قهرية نزلت عليهم إلا شهدوها نعمة وشكروا الله عليها، والسائرين من الخاصة رضوا بها، والسائرين من العامة صبروا عليها، والواقفون منهم تزلزلوا بسببها، والشكر هو مقام

الإحسان المشار إليه بقوله تعالى ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: 78] وأهله قليلون.

وأما خلق السائرين إلى الله فهو خلق أهل المراقبة، إذ الغالب عليهم حسن الخلق، وذلك لضعف حجابهم حين ألزموا نفوسهم المراقبة، ولا يرتفع عنهم الحجاب بالكلية ولو بلغوا في المراقبة ما بلغوا، إذ الحجاب لا يرتفع إلا بصحبة شيخ عارف، ولكن لا بد أن تشرق أنوار الحضرة على أهل المراقبة الكبيرة ويهب عليهم من نسيم أزهارها فيطيبون بطيبها، فهم متعوبون مع الأدب تارة حاملون وتارة محمولون وتارة مطروحون يحسنون ويسيئون، فإذا أحسنوا فرحوا بوجود العمل، وإذا أساءوا حزنوا لفقدانهم ذات القبول، ولو تمسكوا بصفات القبول وهي الغيبة عن النفس لفقدوا الحزن فقدا كليًّا، وحين كانت نفوسهم موجودة لم يعرفوا إلا الإحسان الظاهر فقط، وأما إحسان الباطن الذي هو المعرفة بالله فهم غائبون عنه، ولذلك لا يرجون رحمة إلا بوجود الأعمال الحسنة، وإذا قهرهم الحق تعالى بقهرية وصف العبودية أنكروا ذلك لقلة معرفتهم به، فكانوا متوكلين على أعمالهم ونسوا قوله تعالى ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [النساء: 79] صدق الله العظيم.

وأما خلق السائرين به فهو الغيبة من الإساءة والإحسان، فهم محمولون في الإساءة والإحسان لكونهم لا يشهدون لأنفسهم فعلا ولا يرون لها جعلا، فلا وقوف لهم مع الإحسان ولا مع الإساءة بل سائرون إلى الله بكل حال، قال ابن عطاء الله رضي الله عنه (إلهي قد علمت باختلاف الآثار وتنقلات الأطوار أن مرادك مني أن تتعرف إلي في كل شيء حتى لا أجهلك في شيء) فقد فازوا بمعرفة الله في كل حال، وافهم هاهنا قوله سبحانه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [الأعراف: 201] وهذا الطائف هنا تشويش المقامات والأحوال على العارفين السائرين لئلا يقفوا مع شيء فيقطعهم عن الوصول، إذ جميع ما يتجلى للعارفين من الأنوار وغيرها كلها ظلم وأغيار، وهذا طائف اليقظة يدفع طائف الغفلة بقدرة الله تعالى كما دل عليه قوله تعالى

﴿ تَذَكَّرُواْ ﴾ [الأعراف: 201] أي ذكرهم هذا الطائف سرور الحضرة وأنوارها وأسرارها وأزهارها وثمارها وخيرها كله، وهو الجمال الحقيقي، فساروا مزعجين مقلقين إلى رفع الحجاب المشار إليه بقوله سبحانه ﴿ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: 201] وهذا الخطاب للسائرين فقط فافهم ذلك وتأمله.

(فصل) **ومن آداب المريدين** إذا اجتمعوا للمذاكرة أن لا يغلقوا الحلقة، بل يتركوا موضع الشيخ فارغا سواء حضر أم لا، فإن حضر وقع المدد وإن لم يحضر كذلك لأنه حاضر في المعنى، وإذا حضر التعظيم حضر المدد في الغيبة كما يحضر في الحضور، والتعظيم هو الأساس، فمن لم يجد في قلبه تعظيما فليعلم أنه ناقص التعظيم، والمدد بقدر التعظيم، فالمريد إذا أعطي التعظيم في شيخه أعطي الفتح الكبير من ربه، لأن هذه الصورة التي جعلها الحق نائبة عنه جمع فيها سره كله، وكذلك إذا دام الفقير على رؤية التعظيم وفتح له في سره صارت عبيد الله تعالى كلها أشياخه لأنه يرى ما في شيخه هو في سائر العباد فيمتد من كل آدمي، ولا يزال به التعظيم حتى يمتد من سائر الأشياء، ولنرجع لما بقي من هذا المعنى وقد قلنا أن يبقى موضع الشيخ فارغا عند المذاكرة هذا هو الواجب، وأما في حلقة الذكر فلا بأس بغلقها، لأنها محمولة على غفلة الإخوان كالرقص والشطح وغير ذلك، ولو لم تكن الأحوال غالبة على الضعفاء مثلي لكان الواجب فتحها لأن روح الطريق الأدب إن عدم عدمت وإن وجد وجدت، والمريد الذي لا يكون أدبه يفوق أدب وزراء الملوك ليس له في مقام الإرادة نسبة، والإرادة تكون أولا مع الواسطة أعني الشيخ ثم ترجع مع سائر الأشياء، ولا تسقط إرادة العبد إلا إذا سقطت نفسه، ولا تسقط نفسه إلا بشهود الحق، ولا سبيل لشهوده إلا بالأدب، والأدب على قسمين: أولا مع الخلق بالمجاهدة وثانيا مع الحق بالمشاهدة، والثاني نتيجة الأول، ومن لا بداية له لا نهاية له.

ومن آداب المريدين إذا اجتمعوا من غير حضور الشيخ في زاويته أن يبسطوا سجادته التي يسجد عليها ويدورون بها حلقة واحدة، كحضوره معهم من غير زيادة ولا نقصان، ويتركون الضحك والمزاح وجملة الكلام، ويتهيئون للجلوس بين يدي

الملك العلام كما يتهيأ أهل دولة الملوك لملكهم عند ملاقاته بل هذه أعظم وأعظم، لأن ذلك حضرة الخلق، وهذه حضرة الخالق سبحانه، فإذا حضرت هذه الجلسة على هذه الحالة فأنا ضامن لجلسائها الفتح الكبير، فإذا جلسوا يناولهم كبيرهم في رتبة التربية العلوم التي بينهم على حسب صفاء المجلس، إن صرَّح صرحوا، وإن أشار أشاروا، ويشاركونه الأمثال فالأمثال مع ترك المحاججة ورفض الملاججة بالكلية والتسليم له فيما يحكم به عليهم من أمر وقع فيه الخلاف بينهم، فإن لم يعرفوا معنى ما حكم به عليهم فله وجه، ويكفيك من ظهور معناه إطفاء نار النفوس التي تكون بسببها المحاججة والملاججة وهذه الحالة سبب في ذهاب العلوم وأسرارها وأنوارها قال الله جل جلاله ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ معناها والله أعلم لا ترجعوا لنفوسكم واكتفوا بعلم ربكم، لأن المحاججة أصلها طمس البصائر، وذلك أن الفقير أو الفقيه يريد أن يكون أعلم من غيره ولا يحب أن يكون جاهلا بين أبناء جنسه وهذا من تمكن حب الجاه من قلبه، وحب الجاه هو العلة الكبيرة وهو أعظم حب الدنيا، ولنرجع لما بقي من هذا المعنى اعلم أنه لا ينبغي لصغير السن أن يتقدم أمام غيره وإن كان أعلم منه وأتقى وإن تقدم إلحاحا منه على علم ظهر له من العلوم النفيسة الدقيقة فلا بأس لأن العلوم إن ظهرت لا يقدر أحد أن يمسك نفسه عنها إلا من كانت العلوم ترد عليه مثل السحاب هذا يكون واسع الحال مستغنيا بالله على كل حال، والتأخر للصغير أولى كما قدمناه وهو من الأدب الظاهر والباطن لا سيما إن كان أعلى منه علما وأرق فهما.

ومن آداب المريدين أيضا إذا كانوا مع الشيخ في غير زاويتهم ثم فارقهم الشيخ فالواجب عليهم أن يتركوا موضعه خاليا كما تقدم، إذ لا فرق بين الزاوية وغيرها، إذ الوجود كله زاوية عند أهل العلم بالله، إذ هم لا يجلسون إلا مع الله ولا يسمعون إلا منه ولا يتكلمون إلا معه، وذلك حيث ذهبت نفوسهم ذهب عنهم توهم ما سوى المولى جل جلاله سبحانه، فهم في حضرته مستغرقون وبشهوده متنعمون، ولنرجع لما بقي من هذا المعنى اعلم أنه إذا كان في الفقراء من صَدَّره الشيخ للتربية وكان مشهورا عند الخاص والعام فالواجب عليه أن يعمر موضع شيخه

بالذكر إذا غاب وبالمذاكرة والزيارة والمشورة وغير ذلك، ولا ينبغي التكبر عليه ولا التجبر، وقد رأيت من تكبر على شيخي رضي الله عنه من فقراء شيخه بفاس عمَّرها الله بأهل العلم والصلاح وأخلاها من أهل الجهل والطلاح فذهب سرهم ولم يبق لهم إلا القول والقيل، ولا يزال هذا الأمر من هذه الطائفة إلى قيام الساعة، فالذي اشتغل بالله نجى، والذي غفل عنه سبحانه اشتغل بنفسه، والذي اشتغل بنفسه من هذه الطائفة وقع في أهل الله، والواقع فيهم مسلوب، ولا ينال الفتح إلا من نظر إخوانه بعين التعظيم والإجلال وسائر أهل الخير وحتى سائر المسلمين، وإلا فلا يشم رائحة السر، وأكثر ما يقع الحسد الكبير في هذه الطائفة بعضها لبعض، نجانا الله وإخواننا من الحسد بجاه شيخنا وأشياخه إلى مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد قال ذو النون المصري رضي الله عنه والله أعلم أو غيره (شهادة الفقراء تجوز على سائر الناس، ولا تجوز على بعضهم بعضا لأني وجدتهم حسادا) وهذا ظاهر. كنت والله أظن أن الفقراء لا يحسدون بعضهم بعضا، فلما اجتمعنا معهم بفاس وغيرها أصابنا لطف الله بنا وبهم ما أصابنا، فكنا تارة بتارة، لأن عداوة الجنس أصعب كل شيء، كما أن محبة الجنس أيضا أصعب كل شيء، فخروجُها من القلب والاشتغال بالله عنهما أمر ثقيل على النفوس، ولا شك أن من اشتغل بالله تعالى كفاه عداوة عدوه وأفاض عليه من علمه وسره وفهمه ما لو كان أهل السماوات والأرض أعداء له كلهم لوسعهم حلمه، إذ لا يزال المحب مشتغلا بحبيبه حتى يكون حبيبه وسيده ومولاه متجليا له في كل شيء بنعت الجمال وصفة الكمال. ألله ألله ألله إخواني لا تقابلوا من قابلكم بالسوء، بل قابلوه بالإحسان يقابلكم في الحين بالإحسان أكثر وأكثر، فالحقيقة إذا أرادت أن تكشف جمالها تقدم ضده لا محالة، وإذا أرادت أن تكشف جلالها تقدم ضده، ومرادها منا ومن غيرنا أن نعرفها في كل حال، فإذا عرفناها في كل حال ذهب ذلك الحال وبقي حقيقة الحال، فلا يشغلنا حينئذ حال من الأحوال لشهود معانيها في كل حال.

ولنرجع لما بقي من كمال هذا المعنى: وينبغي لخليفة الشيخ الذي يقوم مقامه أن يجلس في موضعه على سجادته، وإن جلس على غيرها فهو أحسن، وإن جلس

في غـــير موضعه فهو أحسن وأحسن، وقد كان شيخي رضي الله عنه يجلسني على ســـجادته وفي موضعه وكان كثيرا ما يقدمني للإمامة وقت الصلاة، وكان رضي الله عنه يأتيني لموضع كنت فيه ويتذاكر معي مذاكرة رقيقة، وكان رضي الله عنه إذا رأى مني وصفا مذموما نهاني عن ذلك نهيا كليا ويقول: الكبير لا يناسبه إلا الكبير، وكان يقول لي: والله ما أنا شاك في ذوقك، وكان يقول رضي الله عنه: والله ما أنت عندنا إلا فوق ما نظن، وكنت جالسا ذات يوم في خلوة لي مع بعض الفقراء فدخل وقال: فـــبالله الذي لا إله إلا هو ما يدخل ذراعك سيدي أبو العباس المرسي ولا سيدي أحمـــد زروق ولا أضـــرابهم رضـــي الله عنه وعنهم وقال لي: إلا أنك حامل لدبلة الفقراء، وقد كان كذلك فذهبت مني تلك العلة في الحين، وكان يقول لي رضي الله عـــنه: إذا جاءك من تذكره ذكره الله وأما من فر منك فالماء والشطابة حتى للبحر، وكـــان يقول لي رضي الله عنه: أنت ميموني وأنا ميمونك، ووجدني يوما في حوز فـــاس[1] عند بعض الإخوان من أولاد جامع وكان هناك رجل من أهل محبتنا حقًّا وكـــان من الصالحين وكان اسمه أبا الشتاء فدخل علي الشيخ رضي الله عنه وكنت مريضا ببصري كاد نورهما يذهب بالكلية وكنت راضيا بذلك فلما دخل قال رضي الله عنه لبعض الفقراء كانوا معنا هناك: من أراد أن ينظر وجه أبينا آدم الأكبر فلينظر وجـــه محمـــد بـــن أحمد البوزيدي، وكنت في المائة الثالثة عشر من الهجرة في عام خمســـة عشر منها نبني له عينا بزاويته الشريفة عمَّرَها الله بالسر والولاية الكبيرة إلى يـــوم القيامة آمين قال: يا ولدي مولانا عبد السلام هو الحج الأصغر قلت له نعم يا ســـيدي فقال لي: وأنت أيضا حج الأصغر مثله، وكتب كتابا لبعض إخواننا حيث رأى منهم الإنكار علينا والحسد الكبير لنا فكتب لهم كتابا وهو يقول فيه: محمد بن أحمـــد خليفتنا في حياتنا وبعد مماتنا رغما على أنفنا، فما زادهم ذلك إلا حسدا إلا بعض الأحباء وقليل ما هم، وهذا لا يستغرب منه إذ ما من نعمة إلا وعليها الحساد، وحـــساد هـــذه الطريقة أكثر من سائر الطرق لأنها طريق الإرث، ولما طال الحال

(1) حَوْز فاس: أي ناحية مدينة فاس.

رجعوا والحمد لله عن ذلك إلا النادر فالله يأخذ بيدنا وبيدهم، وكتب لهم كتابا أيضا وهو يقول فيه: والله لا يتكلم في محمد بن أحمد بسوء إلا فاسق أو منافق أو مخدوع أو حاسد أو راض عن نفسه أو من فيه دعوة نافذة، إلى غير ذلك من أقواله الشريفة رضي الله عنه وأرضاه.

(**فـــصل**) اعلم يا أخي أنه إذا كان يجب على المريدين احترام موضع الشيخ فكيف بثيابه فكيف بجسده الشريف، **وهذا الأدب الذي ذكرناه** أو غيره لا يشق إلا على من كان قلبه فارغا من المحبة، إذ المحبة عنها ينشأ التعظيم، والتعظيم ينشأ عنه الأدب، فمن لا محبة له لا تعظيم له، ومن لا تعظيم له لا أدب له، ومن لا أدب له لا وصـــول لـــه، ولا يخلو من جلساء المشايخ من فيه طبع من المنافقين والمعاندين والمتـــصنعين وغير ذلك، وليس كل من دخل في يد المشايخ يتخلص، فالمخلصون قليلون والمنتسبون كثيرون، ولا بد لمن التزم صحبة الشيخ ودام عليها أن يرجى له الإخلاص، لأن للشيخ وقتا تفيض عليه الواردات الإلهية في دفعة واحدة فلا يمكن له أن يملكهـــا بل تفيض على كل من حضر فينال بوجودها النصيب الكبير فمنهم من تنزلـــه في النهاية ببركتها وببركة من نزلت عليه ومنهم من دونه وهكذا، ولا يذهب مـــنها بلا نصيب إلا المحروم، ولكن ذلك الوقت نادر، وقد جلس بحضرته صلى الله علـــيه وسلم هؤلاء وهؤلاء وذلك ليتميز هؤلاء بهؤلاء، إذ لا بد من الضدين في كل شيء شيء، ولا يقوم الوصف بنفسه، فالموضع الذي عظم فيه النور عظمت الظلمة إلا أن الحكـــم للأغلب، فمجالس أهل النور الحكم للنور على الظلمة، ومجالس أهل الظلمة الحكم للظلمة على النور، ولله الأمر من قبل ومن بعد، وسبب حكم الظلمة على النور حب الدنيا والعكس، ومن كان بحضرة المشايخ وغلبت ظلمته على نوره فهـــو أشد حبًّا لنفسه، والذي هو أشد حبًّا لها هو أشد حبًّا للدنيا، ولذلك تراه في عين الخير وهو بعيد منه. وأحوال الناس بحسب السابقة: فمنهم من يبارز الشيخ ولا يستحي، ومنهم من ينقطع عنه ولا يرجع، ومنهم من لا يشاوره في جميع الأمور وإذا شاوره لا يعمل بمشاورته، ومنهم من يلازمه لأجل بطنه، ومنهم من يذكر عنده رياء واستحياء من الخلق، ومنهم من يقتدي بنفسه في كل ما تأمره به ويقول قال شيخنا سمعـــت شيخنا وشيخُه نفسُه وهواه، ومنهم من تكون فيه هذه الأحوال وأكثر منها

ويرجع عنها ويتوب ويتوب الله عليه وينال الخير الكبير، ومنهم رضي الله عنهم إذا ذكر الشيخ عنده ذكر الله وارتعد وخاف كخوفه من ربه أو كذكره لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ومنهم من إذا رآه استغرق في الشهود وغاب في عظمة المعبود، ومنهم إذا رآه اجتمع قلبه على ربه بعد تشتيته وذهبت عنه نفسه كأنها لم تكن وذلك كله لصدق المريد وحال الشيخ رضي الله عنه، ومنهم من لا يغيب عنه لشدة بقائه بعد فنائه، إلى ما لا نهاية له لأحوالهم رضي الله عنهم وجعلنا من أهل حزبهم ووردهم آمين إنه سميع مجيب.

(**فصل) ومن آداب المريد** أن يأخذ العلم عن الكبير والصغير ولا يتكبر على أحد من عبيد الله، ولا ينبغي لطالب العلم أن يأخذه بعُلو همته ورفعة نفسه فإنه لا يناله وإن أخذ الكلام فهو سم له قاتل، إذ العلم دال على صفة الربوبية لا على نفسه، فمن رآه متكبرا هرب منه إلى أهل التواضع، لأن العلم جاء يدلنا على العبودية لله لا على نفسه، فمن طلبه ليستقر به دون الله أنزل لا محالة، ومن طلبه ليعرفه بربه وجده يدله عليه، ومن فهم الدلالة عليه نزل منازل العبودية فنال القرب من الله وهذا مراد العلم، ومن لم يفهم مراد العلم وقف معه واستقر به دون الله فكان طالبا به الجاه والرفعة وحب الرئاسة وأخذ ما في أيدي الناس وتعظيم الناس له وإقبالهم عليه وهذا العلم الذي لا ينفع الذي استعاذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم نسأل الله السلامة لنا ولإخواننا وسائر المؤمنين لقوله عليه الصلاة والسلام (أعوذ بالله من علم لا ينفع وقلب لا يخشع)، ولا ينبغي لصاحب العلم أن يضعه أين ما وجد، بل يختار له أهل الفضل والجود وأهل الصدق والإخلاص وأهل المحبة والمودة وأهل الخدمة أعني خدمة الشيخ والإخوان، فالذي لا يختار له دليل على وضع قدره عنده وذلك من علامة جهله به، ولو علم قدره لكان أغير عليه من الرجل على أهله وأكثر، والذي ينزله أين ما وجد هو الذي يفسد الناس ويفسد نفسه، ولا شك أنه لا يفسده العلم إلا من لا خير فيه، وحاش والعلم نور أزلي صفة الذات القديمة الأزلية الأبدية التي أحاطت بكل شيء ولم يحط بها شيء، وذاته سبحانه موصوفة بصفاته العالية كالقدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام وغير ذلك مما يناسبها، فأودع الله سبحانه من أسرار صفاته في عباده ما

شاء، فمنهم من عرف قدرها ورجع بها إلى الله تعالى ورأى أنه ليس له فيها سبب، فنسب الإرادة لله في سائر أوصافه ولم ينسبها له قولا ولا فعلا ولا حالا، فلما حصل له هذا الزوال وانتهى في عبودية الكمال أمدَّه الله بوصفه بمحض كرمه، وعبودية هذا العبد سبب من الأسباب، ولا شك أن من أراد الله أن يعطيه أسراره أعطاه المفتاح الـــذي يفتح به على هذا السر العظيم وهي العبودية الخالصة التي ليس للنفس فيها طمع، ولا شك أن الله تعالى يعطي لعباده بقدر ما أعطاهم من الإخلاص، وكل ذلك عطية من الله سبحانه، ولولا فضله ما كان أحد أهلا لشيء، ووجودنا ووجود غيرنا نعمـــة مـــنه سبحانه، وكل ما مدَّنا من النعم الحسية والمعنوية فهو منه فضل وكرم، ولـــولا الحياء منه سبحانه لكشفنا الحجاب عن السر المصون ولكن لا يناسب أهل الـــصحو ذلـــك. واعلم أن العقل يدرك، والعلم يحقق، ولا تزال الروح تفتش على حقيقتها وهي بالعلم تكاشف وبالعقل تدرك حتى تنتهي في التحقيق الكبير، فيرجع العلم عين العقل، والعقل عين العلم، والعلم والعقل من أسرار الله المودع في الروح، بهما ينكشف الحجاب عن النفس فترجع إلى أصلها وبهما تعرف قدرها، وإذا عرفت قـــدرها عـــرفت قدر خالقها كما قال صلى الله عليه وسلم (من عرف نفسه عرف ربـــه)، والنفس من عين الروح، والروح من عين الكمال، والكمال لله سبحانه، ولا يعرف هذه الإشارة إلا أرباب الذوق الذين ذهبت نفوسهم واضمحلت أحاسيسهم ولم يبق من وصف العبيد إلا اسمهم ورسمهم، وهذا كله لا ينال إلا بملاقات العارفين وهي أعظم النعم، فمن التقى مع أحدهم فقد التقى مع الكيمياء الكبرى، إذ الكيمياء الصغرى تقلب المعادن كلها ذهبا وفضة، وهذه الكيمياء تقلب النفوس روحا وسرًّا ونورا وعلما بعد جهلها وظلمتها وغفلتها، انظر ما في ملاقاتهم من الخير، فالواجب علـــى من تعلقت همته بالله أي بالوصول إلى حضرته أن لا يعمل عملا إلا بالتفتيش عليهم والسؤال عنهم وهذا أفضل له من العبادة، هذا للمضطر الكبير وأما غيره فلا، واعلم أن في صحبة هؤلاء القوم فوائد وخوارق العوائد لا يمكن التعبير عنها باللسان وإن لم يـــبلغ مبالغهم، فإن صحبة الخلق لهم كصحبة العطار إن لم تنفق من حانوته تـــذهب فـــيك رائحته، أو كصحبة الناس للبحر إن لم يأخذوا منه الحوت والجواهر يأخذوا منه طهارة الثياب والبدن، وكذلك لا يخلو صاحبهم من أمرين إما استقامة

الظاهـــر وإما استقامة الظاهر والباطن معا، وقد قال شيخنا مولاي العربي بن أحمد الدرقاوي الشريف الحسني رضي الله عنه (الرجل يُنسَبُ علينا ولا يأخذ النصيب منا هـــذا لا يسمع علينا) وقال سيدي عبد الله الهبطي نفعنا الله ببركاته (أقل ما يستفيده من صحبنا معرفة الحق من الباطل) ويا لها من رتبة لمن رزقها لأنهم كما قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم (هم القوم لا يشقى جليسهم) ولا يشقى إلا إذا كان كافـــرا بهـــم، وقد كانوا يرون النبي صلى الله عليه وسلم ولا يزيدهم ذلك إلا بعدا وطـــردا، وأمـــا مـــن آمن به لا يشقى وإن لم يره، والإيمان به الحقيقي هي الرؤية الحقيقـــية، ولا شك أن من رآه اتبعه ومن اتبعه هو الذي ظهرت فيه أحواله وأقواله وأفعالـــه صلى الله عليه وسلم، ولا يشترط في المتبع له كمالها وإنما ذلك يكون في الذي هو على قدمه وإن ظهر فيه نقص بعض الأوقات فالحكم للأغلب، ولكل زمان رجـــل كامـــل أعني أكمل من أهل زمانه وهو سلطانهم وإمامهم وإن ظهر فيه غلبة الـــسكر مثلا أو غلبة الصحو فمن دونه في المرتبة أكثر منه والله أعلم، ونرى والله أعلم وأحكم أن الأولياء الذين تقدموا في الزمان الأول كانوا أشد أورادا وأثقالا من الـــذين في زماننا، وأهل زماننا أشد منهم نورا أو قربا وذوقا، وذلك أن أهل الزمان الذي تقدم كانت فيه الهداية منتشرة ظاهرة والناس كلهم على الفطرة والنية والصدق وكانـــوا إذا ظهرت لهم كرامة من بعض أهل الله رفعوا قدره وأقروا أمره وكان أهل نسبة الله رضي الله عنهم لا يجدون إلا ما يقربهم من مولاهم ويبعدهم من نفوسهم ومـــن جنسهم، كان الجنس على الفطرة كما ذكرنا وكانت نفوسهم كذلك، واليوم خـــلاف ذلك خرجت النفوس من الفطرة كافة عامة وخاصة فلذلك كان الخاص لا يريض نفسه إلا بعد مشقة عظيمة وكذلك نفوس الجنس أصعب وأصعب، ومن هذا المعنى والله أعلم كانت ولاية المتأخرين أقوى وأعلى من ولاية المتقدمين، وقد قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم (خير أمتي أولها وآخرها، وفي وسطها الكدر) وقد قال صلى الله عليه وسلم (إخواني يأتون في آخر الزمان يؤمنون بي ولم يروني) أو كمـــا قال الحديث، وأظن وقتنا هذا أشد صعوبة من زمان الصحابة، لأن زمان الصحابة كان الرجل إذا أسلم وآمن حسن إسلامه وإيمانه في الحين وذلك أن النفوس كانت على الفطرة واليوم عكس ذلك ترى الرجل مسلما يصلي ويصوم ويحج وهو

لا نية له في صومه ولا في حجه ولا في صلاته وذلك كله لفساد القلوب بحب الدنيا فنيتهم ومحبتهم وصدقهم وإخلاصهم كلها معها وكيف لا تفسد القلوب إذا كان هذا حالها، وقد كانت العزائم والمواعظ تنفذ في أهل الزمان المتقدم واليوم خلاف ذلك، ولهذا قال الشيخ الحضرمي رضي الله عنه (وقد انقطعت التربية بالاصطلاح ولم يبق إلا الهمة والحال فعليكم بالكتاب والسنة من غير زيادة ولا نقصان) كنت أنكر هذا الكلام سنين حتى فتح الله علينا فيه وكان شيخنا أيضا يتردد فيه مرارا، ونرى أن زماننا لا يحوش الناس فيه إلى الله تعالى إلا من كان ذا همة وحال، وهذا التحويش هو بالقلوب، لا بالجوارح كما هو تحويش العامة يعتبرون كل من ينتسب ولا يفرقون بين من انحاش إلى الله بقلبه وهو الانحياش الحقيقي وبين من انحاش إلى الله بجوارحه وذلك كالعُبَّاد والزهاد وغيرهم وبين من هو منسوب فقط وهم اليوم الأكثرون وأشياخهم يدعون التربية النبوية ونفوسهم كما هي لا يعرفونها ولا يعرفون بها أصحابهم، والذي لا يعرف نفسه كيف يعرف ربه، والذي لا يعرف ربه كيف يعرف الناس، وتغطى أمر الإخلاص حتى كأنهم لم يكونوا، فالله يمنُّ علينا وعلى هذه الأمة الشريفة بفضل منه سبحانه وجود وكرم إنه سميع مجيب، ولنرجع لما كنا بصدده.

ومن آداب المريدين إذا قدم عليهم أحد من أهل محبة الله، ينبغي لهم أن يقوموا لملاقاته إجلالا لله، لأن القيام لهم حق لله في الحقيقة لا لهم، إذ هم جاؤوا لله، والجالسون هناك لله، ولا ينبغي للزائرين أن يرسلوا إلى الشيخ بأن يتلقاهم إذ ليس ذلك من الآداب المرضية، نعم إن قربوا من المنزل فليذكروا الله جهرا وفي ذلك إشارة للملاقاة، والذي يكون بالإشارة كله أدب، ولا بأس أن يرسل الإخوان لإخوانهم لأن يتلقوهم إذا قربوا من زاوية الشيخ، فإذا تلاقوا مع بعضهم بعضا تصافحوا وتعانقوا ولا يكفون على بعضهم بعضا إلا على أقدام الشيخ لا بأس لأن ذلك إظهار المحبة وتعظيمه والاشتياق له، والمحبة تهيج وتعظم وتغيب صاحبها عن إحساسه عند ملاقاة حبيبه، وأي حبيب مثل الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومثل من يدلك على طريقة الشريعة حتى تصل إلى حضرة ربك، فالمحب لا يدري ما يصنع عند ملاقاة حبيبه، قال سيدي أبو مدين الغوث نفعنا الله ببركاته وببركات أمثاله:

فإنا إذا طبنا وطابت نفوسنا وخامرنا خمر الغرام تهتكنا

وملاقاة الواسطة الحقيقية هي ملاقاة الموسوط، إذ الواسطة هي العنصر الصافي الذي هو من بحر المصطفى صلى الله عليه وسلم، فالذي ذكرناه هو واجب في حق الشيوخ الكاملين، وإذا صدر من بعض الإخوان لبعض غلبة ووجد لا بأس، ولا ينبغي أن يفعلوا ذلك من غير غلبة الحال، فإن قال قائل هذا لم يثبت عن الصحابة مثلا، قلنا الصحابة كانوا أقوياء رضي الله عنهم مالكين للأحوال بوجود المصطفى صلى الله عليه وسلم لا يسير أحد سيرهم من عامة أهل الله نفعنا الله ببركاتهم كافة، والذي يفعل ذلك بغير حال ثقيل على القلوب، والشيء الثقيل عليها هو مكروه أو حرام قال صلى الله عليه وسلم (الحق ما سكنت إليه النفس واطمأن إليه القلب وإن أفتاك المفتون) أو كما قال، وبقي من حق الزائرين على المزارين إذا جلسوا بين يدي الشيخ أن نؤثرهم بالقرب منه في الجلوس ونكرمهم بما استطعنا ثلاثة أيام وهي ضيافة المصطفى صلى الله عليه وسلم وبعد ذلك نصير شيئا واحدا في المحبة لله، والمؤكد به بعد هذا التواضع لبعضنا بعضا والمحبة والسخاء والمودة والحنانة والشفقة وغير ذلك من سائر الأخلاق: وهذا كله واجب على الزائر والمزار، وبالخُلق الحسن تشرَّف من تشرف ووصل من وصل، والواجب أيضا الاستماع لبعضنا بعضا والإنصات لبعضنا بعضا وخفض الكلام لبعضنا بعضا، ونسير على سير ضعفائنا كما قال صلى الله عليه وسلم (سيروا بسَير ضعفائكم) أو كما قال، ونقدم المؤخر، ونبسط المقبوض، ونوسع الضيق، ونبشر المتوجه بالبشارة الحسنة، ونقوي الضعيف، ونرغب الزاهد في الدنيا بالزهادة في نفسه، والزاهد في نفسه نرغبه في اشتغاله بربه، والراغب في الدنيا نزهده فيها لكي يستقيم ظاهره، وإذا استقام ظاهره عند ذلك نزهده في نفسه، وإذا زهد في نفسه دللناه على الرغبة في الله تعالى كما تقدم، ونتكلم على الإخلاص من النفوس ولا نقصد أحدا بذلك وإن علمنا فيه ذلك، وربما إن قصدناه رددناه إلى نفسه وإذا رجع إليها جرت به إلى هواها وأقبحه الرضا عنها، وبالجملة فلا نقصد أحدا، فإن كان مراده معالجة نفسه استمع بأذن قلبه وزاد لربه، ومن كان خلاف ذلك تركناه حتى يستحضر قلبه ويفتقر لربه، عند ذلك تنفع فيه الموعظة، ومن الناس من تعظم نفسه ولا يسمع لأحد إلا إذا أخذ الله بيده،

فـــالله يأخذ بيدنا وينقذنا وكافة إخواننا والمسلمين من الرضا عن نفوسنا آمين بجاه مولانا محمد صلى الله عليه وسلم، ولنرجع لما بقي من هذا المعنى.

ومـــن آداب الملازمـــين لحضرة الشيخ إذا عزم الزائرون على الرجوع إلى أماكنهم شيعناهم ما استطعنا، ونصغي عند الافتراق لوصية الشيخ إذا حضر وخرج معـــنا وتكلم في ذلك الوقت، وهذا ليس بواجب عليه ربما يتكلم وربما لا يتكلم، لكـــن إذا تكلم يستحضر كليته مع أهل الصدق عند الوداع، وإذا لم يحضر الشيخ وحضر أخ صادق ووعظنا سمعنا موعظته، وإن لم يحضر سمعنا نصيحة بعضنا لبعض، إذ البركة لا تنقطع.

ومن آداب المريدين أيضا إذا قدم أحد لزيارة الشيخ وليس لنا به معرفة نفعل ذلك معه لله تصحيحا لدعوتنا ومحبة في ربنا وسترا لنسبتنا، وبقدر تعظيمنا له ينتفع من شيخنا، وربما تكون له نية كبيرة وصدق عظيم فإن رأى ذلك جاء شهيد له على شهيده وهو التعظيم الذي له في قلبه، فيزداد نية وصدقا ومحبة في الشيخ وفي الله، وإن رأى مـــنا خـــلاف ذلـــك نقص صدقه وضعفت محبته فيرجع بلا شيء وإن جلس لـــصحبة الشيخ يطول فتحه، والبداية أساس النهاية وتظهر في صاحبها بقدر صدقه وتعظـــيمه في شـــيخه، وكثير من الواردين تكون نيتهم عظيمة فإذا وصلوا رأوا من الإخوان أمورا قبيحة فأفسدوا عقيدة من رأى ذلك، ولذلك ينبغي لنا الإحسان لكل قـــادم قدِم على الشيخ وإن لم تكن لنا معرفة به ونؤثره بالقرب من الشيخ ونكرمه ونطعمـــه وحـــده إن وجـــدنا ونحدثه بقدر حاله ولا نكثر عليه الإشارات ودقيق العبارات كما يفعله من لا علم له بربه ولا له اكتفاء به سبحانه، وإذا حضر الاكتفاء بعلـــم الله تعـــالى حضر الصمت وعلو الهمة وكتمان العلم والتأخر في الجلوس قرب الشيخ والتأني في الجواب وغير ذلك مما يناسب أهل الصدق.

ومن آداب المريدين إذا قدم أحد على الشيخ أن يتركوه له إذا كان بنية الأخذ عنه، وإنما يظهرون له تعظيم الشيخ ظاهرا وعليهم بالسكينة والوقار والصمت كما قدمنا إذ ذاك لله من علو الهمة، ويتركون المزاح الجائز عند القوم على وجه البسط، لأن الداخل داهش ربما يرى من بعض الإخوان ما لا تطيقه نفسه فينكرها ويتزلزل

كما قدمنا، والفقراء يزيدون بالداخلين في حضرة الشيخ أكثر من الشيخ، لأن حقيقة الفقراء ظاهرة، وحقيقة الشيخ باطنة لا يراها إلا مثله، وكذلك ينقصون بهم أيضا، وقد يقدم على الشيخ من لا نية له ولا صدق فإذا رأى صدق الفقراء انجذب رغما على أنفه، وقد يقدم من له الصدق الكبير ويرى من الفقراء عكس ذلك فيتزلزل كما قدمناه لأنه يقول في نفسه لو كان عند شيخهم سر لكان ظاهرا على هؤلاء، ومنهم من يأتي بنية الإنكار فإذا رأى ما يوافق الكتاب والسنة رجع عن ذلك وتاب وربما دخل في حزب الفقراء، وربما أيضا يرى ما لا يفهمه من الأقوال والأحوال فيريه الشيخ معنى ذلك فيرجع ويتوب ويستغفر، لأن أحوال أهل الباطن غريبة تفر منها الطبائع وتأوي إلى أهلها السباع، ولذلك ترى أهل علم الظاهر ينكرونها، ويزعم من لا علم له منهم أن حَد العلم ما عرف وما فهم وما دون ذلك كله خطأ، ومَنْ هذا نظره فهو الخاطئ الكبير، أما أنه لو سمع قوله تعالى ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [الكهف: 65] وهذا خطاب للنبي الرسول عليه السلام فما بالك بغيره، وقد يظهر لي والله أعلم أن الكثير من الأولياء خصهم الله بعلم ما لم يخص بعضهم، فالولي مثلا إذا ظن أن حَد العلم هو الذي عرف فهو جاهل، والولي لا يكون جاهلا قط إذا كان غير كامل تارة يدخل وتارة يخرج وربما يصيبه ذلك الطبع لغلبة البشري عليه، وأما من تمكن غاية التمكين لا يتصور ذلك في حقه قال عليه الصلاة والسلام (ما اتخذ الله وليا جاهلا إلا وعَلمه) معناه والله أعلم وإن جهل علمه الله ولا يترك الحق سبحانه نفسه تغلب عليه وتتولاه كيف وهو تولاه، وهذا معنى قوله تعالى والله أعلم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ ﴾ الآية، لأنه وصف العبد لا يخلو منه الولي، أما وصف البشرية المذمومة فإنه يتطهر منها لا محالة، وأما وصف العبودية فتصيبه كالنسيان والخطأ والهفوة، كيف وقد أصاب ذلك أبونا آدم في الجنة، وليس هذا وصف البشرية المذمومة، حاش إنما ذلك لأمر أراده الله، وكذلك الولي إذا أصابه شيء إنما ذلك لأمر أراده الله، ولا يفهم معنى ذلك سواهم، ولو كان الولي كما

يزعم الكثير بأنه لا يظهر فيه وصف العبودية لكان ذلك نقصا في حق الأولياء رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم، فالولي الكامل يرجع من الهفوة والنسيان والخطأ إلى الله تعالى، والسائر يرجع من وصف نفسه إلى الله، **والرجوع إلى الله هو عين الولاية الكبرى**، وكل أحد الولاية بحسب رجوعه إلى الله، وما خرج أحد من دائرة الولاية إلا من خرج من الرجوع إلى الله قال تعالى ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ ﴾ [الزمر: 54] فالإنابة حال السائر، والاستسلام حال الواصل، لأن السائر يرجع خائفا من العذاب، والواصل يرجع خائفا من الحجاب، كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا، فالحق تعالى جل جلاله يعطي لعباده ما شاء كيف شاء في أي وقت شاء سبحانه لا يُسئل عما يفعل وهم يُسئلون.

(**فصل**) **ومن آداب المريدين** المستشرفين الذين غلب عليهم تجلي الحقيقة، فالواجب عليهم أن يستروها ويتركوا الكلام فيها إلا مع خاصة أربابهم، لا عامة أربابها الذين أعطوا العلم بها وهم مقصرون عن العمل بتا، وهذا جل أهل حقيقة غربنا اليوم، واعلم أن صاحب الحقائق عند الاستشراف عليها إذا كثر كلامه لها قلتْ سلامته من تصرفها فيه، لأن من كان تصرفه فيها بالقول كانت تصرفها فيه بالفعل كالحلاج، ومن كان تصرفه فيها بالفعل كالششتري وأضرابه كان تصرفها فيه بالقول وهي العلوم اللدنية ظاهرا كعلوم الششتري وابن الفارض وشيخ شيخنا سيدي علي العمراني الشريف الحسني رَقَّتْ والله عبارتهم عن فعل الخواص لرقة فعلهم، إذ بقدر ما يترقق العمل يترقق العلم، ولا يسلم بظهور علمها إلا من كان له قدم كبير في التجريد الظاهري والاشتغال به أبدا: هذا يسلم من أهل الشريعة ومن أهل الحقيقة فأهل الشريعة يحكمون عليه بالحمق وأهل الحقيقة يحكمون عليه بالجذب فيسلم مَن هذا حاله، وقلَّ من سلك هذا المسلك من الكبار صاحيا سالكا في دفعة واحدة وهو يقلب السكر على الصحو اختيارا فيما يرى وهو في نفسه في غاية الاعتدال، ولا يقدر على هذه الحالة إلا أهل الصدق الكبير جعلنا الله وإخواننا منهم آمين، ففاتوا أهل الجذب والسلوك بهذه المزية كما فات الخضر سيدنا موسى عليه السلام بمزية بعض العلم اللدني، وهؤلاء الكرام كاد تجلي الجمال أو نقول تجلي الصفات أن

يتجلى لهم ظاهرا بمحو الأثر فافهم. واعلم أن جمع الجمع هو حال أهل هذه الطريقة الشاذلية في مرة واحدة، ولا يقدر عليها غيرهم والله أعلم، تراهم فانين في الذات بالصفات بنظرة جمع الجمع ولا يغلب هذا الشرب على هذا، يشربون بكأس جمع الجمع من بحر الفرق، كما يشربون بكأس فرق الفرق من بحر الجمع. واعلم أن الذات المقدسة هي مجموعة في فرقها لعظيم جمالها، مفروقة في جمعها لعظيم جلالها، جمالها كاد أن يكون بلا جلال لشدة ظهوره في عالم الجبروت، وجلالها كاد أن يكون بلا جمال لشدة ظهوره في عالم المُلك. سبحان من هو ظاهر في بطونه، باطن في ظهوره. واعلم أن الله عز وجل جعل الجمع في كل فرق، كما جعل الفرق في كل جمع، إذ لا يقوم الشيء إلا بضده، وهذا المعنى يعرفها من فني عن نفسه وبقي بربه، ومَنْ هذا حاله يشهد في كل فرق جمعا باعتبار رؤية الذات في حال الفنا، وفي كل فرق جمع الجمع باعتبار رؤية الذات عين الصفات في حال البقا، وهذا السر الذي تكلمنا عنه هو سر النفس أخذه مولانا محمد صلى الله عليه وسلم عن نفسه ونفسه عن ربه، ولا واسطة فيه إلا لمن بعده، فلا يقدر أن يدركه أحد بلا واسطة سواه صلى الله عليه وسلم، وهذا الفن جعل الله للشيوخ لا لـــغيره من سائر العلوم وجعلهم خليفة في ملكه بسبب معرفة حقيقته، ولولا معرفتهم بحقيقة هذا الوجود لما كانوا حاكمين عليه، ففضل الله تعالى هذا الآدمي بخاصية العلم المدركة لحقيقة الأشياء، ولأجل هذه الخاصية كان عاشقا للأشياء لجهله بحقيقتها، وإذا كشف له عن حقيقتها صار معشوقا لإدراكه حقيقة الأشياء فقامت هي حينئذ لعشقه خادمة له وهو يتبختر عليها كما كان يعشقها وهي تتبختر عليه وتموت بعشقه كما مات هو بعشق سيده ولا راحة له منه إلا راحة الزيادة كذلك هي لا راحة لها منه إلا بالقرب له فافهم. واعلم أن النفس هي السر الكامل وهي النور وهي الجمال وهي الكمال، وهذا السر ينكشف لمن سكن بلاد الذل والفقر ولا يرتحل منها أبدا، وأما إذا ارتحل عن الذل والفقر ارتحل هذا السر عنه أحب أم كره إلا إذا كان كامل الفنا، والعز والغنى ينتج عنهما الجهل، والفقر والذل ينتج عنهما العلم حكمة وهبية وهي أخذ العلم، والعلم حكم صفة الذات أعني العلم بالله وأما علم المعاملات فهو حكمة من عالم الحكمة لا للعلم وتنتج ثمرته الذي هو العمل العلم بالله إن صحبه

الإخلاص، والعلم صفة العالم سبحانه وهي الدالة عليه في عالم الجهل، فالدلالة الأولى دلالة خَبر النهار على النهار في الليل، والدلالة الثانية دلالة العين الصافية على الشمس الساطعة، ولولا الجهل لبطلت الدلالة عليها، ولولا العلم بها لبقيت كنزا مطلسما في حال ظهورها، انظر أهل الجهل الجَلي كيف هي فيهم كنزا مطلسما مع شدة ظهورها فافهم، واعلم أنه لولا العلم كما قلناه لما عرفها أحد ولذلك قيل لمولانا محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم (اطلب العلم ولو بالصين) إلى ما لا نهاية لفضله على غيره، وهذا العلم ينقسم على قسمين: علم الدليل والمطلوبُ العملُ به وإلا فلا علم، وعلم الباطن والمطلوبُ أيضا في بدايته العمل أكثر وأكثر وأما إذا وصل حقيقته صار علمه عمله وذلك لفناء النفوس والاستغراق في عالم المعاني عن توهم عالم المحسوس، لأن نفوس أهله تروحنت فما أدركت صار حالا وذوقا بخلاف غيرهم، وهذا العلم هو الذي قال فيه الشيخ الكامل سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه (من لم يتغلغل في علمنا هذا مات مصرًّا على الكبائر وهو لا يشعر) لأن هذا العلم بالله لله في الله بخلاف غيره إما أن يكون بنفسه لله وإما أن يكون بنفسه لنفسه فافهم. واعلم أن الجهل صفة لازمة للنفس، كما أن العلم صفة لازمة للروح، وإليه الإشارة بسِر قوله تعالى ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝ ﴾ [التين: 5] بعد أن كان في أعلى عليين أعني في عالم العلم بالله حيث كانت روحانيته نورانية سالمة من الأغيار والأكدار، فلما تنزلت لعالم الجلال خفيَ عنها حيث قابلها بما لا تفهم فسلط الحق تعالى عليها الأوهام فانحجبت فصار علمها وعشقها وعقلها في غير محله فسُميت نفسا حيث سُجنت في عالم الأغيار، وذلك بظنها أنه عالم الأغيار حكم الحق تعالى عليها بنظرتها فصار عليها أغيارا وأكدارا لا على من يعرفه بالله فإنه عليه أنوار وأسرار كما هو، وهذا هو الفرق لا غير. واعلم أن الجهل ثلاث: جهل أهل الشريعة فروا منه لعلم الظاهر والعمل به، وجهل أهل الطريقة فروا منه إلى علم الطريقة والعمل بها، وجهل أهل

الحقيقة فروا منه إلى الله وإلى العلم به فنجوا وانبسطوا واستراحوا وأراحوا من قرب منهم، وغيرهم كل من قرب منهم أتعبوه بالمشي في بلادهم في العقائب[1] والحداير[2] قاصدين الوصول بالمشقة والمحنة فافهم. واعلم أن النفس لها ظاهر وباطن، ظاهرها جهل، وباطنها علم، ظاهرها فرق وباطنها جمع، ظاهرها ظلمة وباطنها نور، ظاهرها بعد وباطنها قرب، ظاهرها مُلك وباطنها ملكوت، ولما اجتمعت فيها الضدين صارت محل نزول الأسرار والأنوار، وإليه الإشارة بسِر قـــوله تعالى ﴿ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ ﴾ [الطلاق: 12] أعني بين عالم النفس وعالم الروح، ولا يمكن أن تقبل نفس مخلوق من الأسرار ما تقبله نفس الآدمي، لأن ظاهرها مجموع فيه عالم الحس كله، وباطنها مجموع فيه أيضا عالم المعنى كله، وكل شيء فيه الجمع بكماله لكن خَصَّ الله تبارك وتعالى نفس هذا الآدمي بإدراك حـــقيقـــة الأشياء دون غيرها كما قلناه. واعلم أن النفس إذا كانت في محل البعد كانت صفة الجهل لازمة لها، وإذا كانت في محل القرب كانت صفة العلم لازمة لها، ومن شرفها وكمالها أن حضرة الجمع دائما تطلبها وحضرة الفرق دائما تطلبها، ومن كمالها أنها عاشقة أبدا معشوقة أبدا، فمهما عشقت حضرة الجمع عشقتها حضرة الفرق، ومهما عشقت حضرة الفرق عشقتها حضرة الجمع، لأنها عروسة، وهي لحضرة الجمع عروسة بالأصل، وأما حضرة الفرق فإنها متعدية عليها لا غير إلا حضرة علم الظاهر والعمل بها فإنها حضرة فرق لا محالة لكن هي المفتاح للجمع تحوشها إليه ولا تتمكن منها كل التمكين إلا بأعمال البواطن، لأن أعمال البواطن حقائق عند أهل الظواهر وشرائع عند أهل البواطن، وحيث كانت أعمال البواطن حقائق نتجت عنها الحقائق، وحيث كانت أعمال الظواهر شرائع نتجت عنها الشرائع، وكل الشرائع عند أهل الباطن حقائق لأن أعمالهم كلها بالله، ولهذا كانت أعمالهم كلها حقائق، وأهل الظواهر وإن كانت أيضا شرائعهم حقائق لكن لا تنتج عنها إلا الشرائع لظنهم أن الأعمال كلها شرائع، قال

(1) العقائب: أي المرتفعات.

(2) الحداير: أي المنخفضات.

جل من قائل فيما يرويه عنه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (أنا عند ظن عبدي بي فليظن ما شاء) الحديث، ومِنْ هذا المعنى كان أهل الله يزيدون إليه سبحانه بكل عمل وبكل حال وبكل قول، يزيدون بالصلاة والتلاوة ويزيدون بالأسباب كما يزيدون بالتجريد ويزيدون بالفقد كما يزيدون بالوجد ويزيدون بالعز كما يزيدون بالذل ويزيدون بالفقر كما يزيدون بالغنى، إذ ليس عندهم إلا تجلي الحقيقة في كل شيء شيء وحتى في نفوسهم ما تجلى فيها ظاهرا فعليًّا وما تجلى فيها باطنا علميا، كل ذلك يرونه بالعلم بالله أنه مظاهر الألوهية، ولا يرون سواه في المظاهر الجلالية ولا في الجمالية، فبنور الله شاهدوا مولاهم، والنور المراد به العلم بالله، وذلك كنور الشمس بنورها ظهرت حقيقتها فصارت هي التي أظهرت نفسَها، كذلك نور الحكمة ظهر به سر القدرة، فصار العارف بالله لا يرى إلا الربوبية تتجلى بجمالها وجلالها في مُلكها وملكوتها بحسب أسبابها، ويرى هذه الأسرار بنور الله كما قلناه غير ما مرة لا به، إذ محال أن يرى العبد مولاه ما دام بنفسه، فصار هذا العارف بالله من جهة وجوده بنفسه لا شيء قط، لأن العلم بالله صفة تكشف عن سر الذات، كما أن علم الدليل دال على وجود الذات، فالعارف لا يرى وجوده بنفسه كما قلناه ولكن مع الصحو يراه بربه، فهو من جهة نفسه لا شيء، ومن جهة وجوده بربه شيء كبير لا يعلم قدره إلا مولاه سبحانه، كما أنه لا يرى وجوده حقيقة كذلك لا إرادة له ولا حول ولا قوة إلا بالله حقيقة مع تصرفه في أموره بالله، إنما يرى تصرف الحق بالحق وتجلي أسرار الحقيقة ظاهرا بحسب أسماء الحقيقة، فالعارف إذا نظر إلى الأشياء بنفسه رآها لا وجود لها لتحقيقه بحقيقتها، وإذا رآها بربه رآها موجودة بإيجاده، فأقامه وصف العبودية مع الله بالأدب، وأقامه وصف الربوبية مع الله بلا سبب ممتد بوصف الربوبية محكوم عليه بوصف العبودية، سبحان من ستر سره في أفضل عبيده، سبحان الحكيم العليم.

فصل في آداب السائر في سيره إلى حضرة ربه: اعلم أن السائر ما دام سائرا نفسه موجودة حية، وحياتها هو ظهور أوصافها الخبيثة تارة عند غلبة طبعها على طبع الروح، والناس فيه مراتب: فمنهم من يكون وصفها هو الغالب عليه وهذا

أدناهم منزلة في القرب، ومنهم من يكون في أوسط الأمور تارة يغلبها وتارة تغلبه، ومنهم من يكون غالبا عليها وتسرقه تارة فإذا أراد الرجوع إلى الحضرة اشتغل بفنائها بالعلم بالله حتى تضمحل وتزول ويرجع في الحال كأنه ما خطرت بباله، بخلاف الواصل لا تظهر له صورة نفسه قط في حال ظهور وصف البشرية فيه لأن ذلك صفة وصف البشرية لا وصفها حقيقة كما في غيره بل هو منزه عن هذا لفنائه في محبوبه وذهاب توهم الغيرية بالكلية بخلاف غيره فافهم، والفرق بين السائر وغير السائر: أن السائر ربما يقع منه الزلات والهفوات الذي يقع من عامة الناس لكن لا يرضى عن نفسه ولا يحب ذلك بقلبه وينكسر عند ذلك حياء من ربه وتصير نفسه عنده بمنزلة الكلب المهجور أو أشر منه، لأن الكلب يعلم هذا العاصي أنه لا يدخل النار، وهو يرى نفسه إذا لم يرحمه مولاه استحق النار بفعله، فإن حصلت منه التوبة النصوح وصحبه الندم والحزن والخوف والحياء والهيبة وأن لا يعود أبدا فهذا دليل على أن رحمة الله قد نزلت به، وهذا هو الرجوع إلى الله تعالى وصاحبه مقبول، قال جل من قائل ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران: 135] أي رجعوا إليه خائفين منكسرين حقيرين ذليلين طالبين العفو والغفران وهذا رجوع السائر، ورجوع الواصل هو غيبته في شهود عظمة محبوبه حين الالتفات لأن العارف لا يمكن أن يحضر بباله سواه سبحانه قط وهذا هو الحفظ الكبير، ودونه هو انكساره وحياؤه وخوفه وندمه وتوبته إلى غير ذلك وهو حفظ السائرين، ولولا الحفظ من الله لقلوب أحبائه ما اتصفوا بذلك، والقلب الذي ليس بمحفوظ خراب وهو يفرح بالمعاصي والشهوات والعوائد، فالحفظ الأول حفظ الله لقلوب أحبائه وأصفيائه جعلنا الله وإخواننا منهم آمين، والحفظ الثاني حفظ المَلَك الموكل بقلوب المؤمنين، والحفظ الثالث موكل به الشيطان والنفس والهوى فالشيطان يزين والنفس تتبع والقلب يعشق فصار القلب خرابا والنفس ظلمة، والسلام.

فصل في آداب الفقير الصادق الذي تعلق به بعض الإخوان بعد إذن الشيخ

أن يذكر، فمن آدابه أن يذكر لله لا لشيء سواه، وأما إن قصد بتذكيره حظًّا دنياويا

ولو قلَّ فلا يجيء منه شيء، لأن الطمع من رعونات النفس، والذي لا يتخلص من الطمع في الوصل لا يطمع لا سيما في توصيل غيره، وينبغي له أن يترك الطمع في كل ما عند من قدم عليه لأن الأخذ من يديه فساد لنا وله أي للقابض والدافع، ولا نأخذ منه سوى نفسه ولا نقبل منه شيئا من الأشياء فذلك يدل على زهدنا وعلو همتنا وبذلك يزيد هذا الزائر إلى الله تعالى، إذ الدنيا عنده هي حبيبته وإذا رغبت له في حبيبك زهد في حبيبك وسيدك ومولاك وهو الله عز وجل، فعَلِّ همتك أيها الأخ الناصح إن أردت أن تأخذ الناس إلى الله تعالى، ولا تأخذهم بالهمة الدنية وإن أخذوا لا يجيء منهم شيء فافهم فهذا حال العارفين، وإن أعطى لنا شيء من غير نظر له ولا طمع فيه أخذناه وجعلناه لله لا لنفوسنا، وإن رأيناه يريد المعرفة الكاملة بإعطاء الفلوس دون النفوس صرحنا له بأن لا تنال منها شيئا، لأن الظلمة ليست هي مهر النور إنما مهرها النور وهي النفس، لأن النفس نور وما تظلمت إلا بالفلس والجنس، وليست الدنيا المنهي عن حبها هي الكائنات إنما الدنيا حب النفس للكائنات، والله تعالى خلقها لحبه أي لينال بها حبه، فالمذموم هو حبها لغير الله، ولذلك كانت الأنبياء والأولياء تأخذ الدنيا وتنفقها في الله وذلك بعد أن أخذوها من الله وأعطوها لله، فصار السوى المنهي عن الالتفات إليه هو حبك لشيء مخصوص دون الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولو أحببت الله حق حبه لأحبك كل شيء بحبه سبحانه فتأخذ ما أمرك وتترك ما نهاك امتثالا لأمره واجتنابا لنهيه، وذلك علامة المعرفة به، ومثل ذلك كأمير أحبك وأمرك بأن تدخل بعض بساتينه ونهاك عن دخول بعض مع حبه فيك، فالذي أمرك بالدخول فيه فيه الذكور من أهله، والذي نهاك عنه فيه الإناث من أهله، فإن تعديت قطع رأسك، كذلك الذي نهاك عنه سبحانه حقائق خفية لا يطلع عليها سواه، وأعظم ما تشتهي النفس وتحبه ما نهاها الله عنه ورسوله، وأعظم ما تكره ويثقل عليها ما أمرها الله به سبحانه ورسوله، والحكمة في ذلك والله أعلم أن الذي أمرها به عبوديته ظاهرة وحريته باطنة، فمن تمسك به صار عبدا ظاهرا حرا باطنا، بخلاف الذي نهاها عنه فإن حريته ظاهرة وعبوديته باطنة، والعبودية في الظاهر صعبة لا تقدر عليها النفس لأنها مطموسة

البصيرة لا ترى جمالها الباطني وإنما ترى جلالها الظاهري، فلذلك أيدها الله بالعقل، والعقل أيده الله بالعلم، والعلم صفة أزلية لازمة لذاته سبحانه، فالعقل في بني آدم عام، والعلم خاص، فمن أيده الله بالعلم فهو عقل كامل لا يقبل إلا الحق ولا يتبع إلا إياه، ومن هو كذلك هو الذي ملك نفسه عن الهوى، وملكيتها عن الهوى هو عين الدواء، وهذا العلم لا بد أن يكون مقرونا بالخشية وإلا فليس عند صاحبه إلا الصورة، والصورة صفة العلم لا ذاته، والمراد من العلم ذاته وهو العمل به، لا صفته وهو الخبر به، لأن الخبر ظن، والظن لا يغني من الحق شيئا قال الله عز وجل ﴿ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ [يونس: 36]، والعمل به حق، والحق أحق أن يتبع، ولنرجع إلى القصد الذي أردناه وإن أراد المعرفة الكاملة بإعطاء الفلوس دون النفوس قلنا له هذا الذي تطلب يا أخي بعد موت نفسك بالذل والفقر والفاقة ولا تطلب على ذلك جزاء من ربك ولا من شيخك، فمِن ربك أن تقوم لحقه وذلك أن تعبده خالصا لوجهه لا لخوف ولا لرجاء، ومِن شيخك أن لا تطلب منه كرامة ولا غير ذلك وإنما تطلب منه أن يعرفك بنفسك ودسائسها ومساوئها الخفية والجلية، فإن قبل ذلك قدمناه وإلى الحق وجهناه، وإن لم يقبل تركناه وإلى الله خليناه، فهو الهادي لمن شاء كيف شاء بما شاء بواسطة أو غيرها، الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب، فالاجتباء بلا سبب، والهداية بالسبب، الاجتباء جذب، والهداية سلوك، والكل من فضل الله تعالى ومنه، فمن أدخله من باب الهداية ابتدأ بالعبودية، ومن أدخله من باب الغاية وهو الجذب انتهى في العبودية، فإن قال قائل المجذوب لا عبودية له قلنا هو في غاية العبودية وكيف لا يكون في العبودية وظاهره مثل المزبلة لا يبالي بنفسه ولا بأبناء جنسه وهذا من شدة العبودية لله عز وجل لكن قلْ يا أيها الأخ لا شعور له بها من حيث غلبة الحال على عقله، ولا فرق بين المصطلم والسالك إلا الشعور، هذا شاعر بها وليس هو معها في دفعه وأخذه، وهذا ليس هو شاعر بها ولا بنفسه فافهم، ولنرجع للذي أردناه فإن قبلَ ذلك قدمناه وللحق وجهناه، وإن أبى تركناه، وكيف ينال العبد هذه المرتبة الشريفة بإعطاء الفلوس هذا من المحال، ولا شك أن الفلس بعض من النفس، والذي يعطي البعض لا ينال الكل، قال في كتابه العزيز

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ قلنا أنفسهم من الأقوياء وأموالهم من الضعفاء والله أعلم، أو نقول أنفسهم من أهل المحبة وأموالهم من أهل الخدمة، أو نقول أنفسهم من أهل الحال وأموالهم من أهل العلم والعمل، أو نقول أنفسهم من أهل العبودية وأموالهم من أهل العبادة إلى ما لا نهاية له. انظر رحمك الله كيف قدَّم الحق سبحانه بيع النفوس على الفلوس، لأن النفوس لا يخرج عنها إلا الصديقون، والفلوس تبذل للحظوظ لا محالة إما الحظوظ الأخراوية أو الدنياوية، فكما أن أهل الفلوس الدنياوية يملكون بها الأملاك الكثيرة في الدنيا، كذلك أهل الفلوس الأخراوية حين يخرجون عنها لله يملكون بها الأملاك الكثيرة في الآخرة من القصور والحور ورفع الدرجات وغير ذلك، وأما من خرج عن نفسه لله خالصا فجزاؤه النظر في وجهه سبحانه، وجمال الجنة بعضٌ من جماله سبحانه، وجمال الدنيا أيضا بعضٌ من بعض جمال الآخرة فافهم.

ومن **آداب المريد** ألا يدخل على شيخه في ثلاث مواضع: الأول إذا كان يأكل الطعام ربما يكون له فيه حاجة فيؤثرك على نفسه، وربما تكون أنت غير محتاج له، فإن حالتهم رضي الله عنهم الإيثار وطبعهم السخاء ووصفهم الكرم، أو تكون أيضا له فيه شهوة فتمنعه منه فتقع في سوء الأدب، وشهوتهم رضي الله عنهم ليس بشهوة النفس إنما هي شهوة الروح، إذ هم يزيدون بكل شهوة إلى الله تعالى، وغيرهم ينقصون بكل شهوة وعادة، وهم خلاف ذلك فأحوالهم وأقوالهم وأفعالهم كلها عبودية وقد دخلوا في ذلك كله بالله ولله وفي الله، ولا تحكمْ عليهم بما تحكم على أهل النفوس حاشاهم من ذلك وقد تقدم تبيين هذا المعنى فانظرها إن شئت. الثاني: إذا كان في موضع وحده فلا تقدم عليه بل اصبر حتى يخرج أو يأذن لك في القدوم، وإن دخلت بإذن نفسك هلكت لا محالة إما في حسك أو في معناك أو فيهما معا بسبب سوء أدبك، والفقير الصادق هو الذي يكون بين يدي شيخه كالميت بين يدي غاسله، وهل يتحرك الميت بنفسه هذا لا يمكن، كذلك الصادق، ولا يتصنع له كما يتصنع أهل النفوس لبعضهم بعضا بل يكون باطنه مملوءا بتعظيمه وظاهره متأدبا بأدبه لا يزيد ولا ينقص إن أشار له في شيء فعله وإلا فلا، وهذا الأدب كله في

حقيقته هو مع الله، فإن زال الحجاب وكمل الأدب علم هذا الفقير أن أدبه كان مع الله لا مـــع الشيخ ولا مع الأشياء، ولا يتحقق لأحد ما ذكرناه من أسرار القرب إلا بـــالأدب وإلا فـــلا، وليست هذه الطريق طريق العمل إنما هي طريق الأدب، ولا يـــدخل علـــى الأدب سوى من عرف ربه وهي الدلالة على الله تعالى، ولذلك قال مولانا عبد السلام بن مشيش نفعنا الله ببركاته (مَنْ دَلَّكَ على الله فقد نصحك، ومن دلك على العمل فقد أتعبك، ومن دلك على الدنيا فقد غشك)، واعلم أن الشيخ إن كان وحده لا يكون إلا في أربعة مسائل هذا هو الغالب: إما في علم أو حال أو نوم أو مـــرض. الثالث: إذا ذهب إلى الخلا فلا تتبعه ولا تتوجه إلى الموضع الذي توجه نحوه ولو كنت في غاية الاحتياج إليه ولو عرفت أن قصده غير قضاء الحاجة، واعلم أن الأدب أفـــضل من النسب لأن صاحب الأدب أخذ بمعناه عليه الصلاة والسلام، وصاحب النسب أخذ بحسه، وهذه الثلاث من أعظم أركان الأدب الذي يجب على المريد حفظها في بدايته أكثر من نهايته، لأن وقت النهاية يكون الفقير عارفا بأصول الأدب، وينبغـــي لكل من له قدم في الطريق أن ينبه على هذه الثلاث كل داخل في حضرة الشيخ، ولا ينبغي للمريد أن يكون طبعه طبع الكلب يدخل على سيده أين ما وجده ويسير وراءه أين ما سار، فهذا حال من لا علم له ولا تعظيم فيه، فالعلم كلـــه نتائجه الأدب، والجهل كله نتائجه سوء الأدب، وإن أردت إخلاصها من هذه الأوصـــاف الذمـــيمة والأخـــلاق اللئيمة فالزمها التذلل بين الأقران والوقوف مع جدارات الفنادق والحوانيت والحمامات والمطاهر والجلوس في المزابل بعد الحفظ من النجاسة والجلوس أيضا في الجزارين بعد الحفظ أيضا من الدم والجلوس في التربعة وفي ســـائر الأمـــاكن الـــسُّفْلية حتى تصير عند الجنس بمنزلة الكلب، إذ لولا الجنس ما عظمـــت النفس، ولا يسمى التواضع حقيقة ولا يصدق عليه اسم المتواضع إلا إذا سقطت نفسه من عين أبناء جنسه ولا يُبالي وإلا فلا يقال فيه متواضع، إذ لا تظهر صورتها إلا في أبناء جنسها، فالشيء الذي يأتيها من عند الله من غير واسطة الجنس تحملـــه وتصبر، والذي يأتيها من قبل الجنس لا تطيقه إلا بعد موتها وفنائها وذهابها وزوالهـــا، ولـــذلك كانت نورانية المعتزل بنفسه في وسط أبناء جنسه أعظم وأقوى

وأرق وأدق من نورانية المعتزل بنفسه في غير أبناء جنسه، إذ النورانية الذي تشتعل في الجنس لا يخاف عليها بخلاف غيرها قلَّ أن تبقى على حالها إلا إذا تمكنت كل التمكين، فالزمها الذل بين الأقران والجلوس في المزابل في الأزقة والطرق وتحت سباط الحوانيت حتى تصير كالكلب المهجور الذي لا مولى له، ثم ألزمها العزلة عنهم حتى تستوحش منهم، ثم ردها لهم، ثم جَوَّعْها كثيرا ثم شبّعها كثيرا ثم صمّتها كثيرا ثم كلّمها كثيرا ثم لبّسها كثيرا ثم عرّها كثيرا ثم نوّمها كثيرا ثم أيقظها كثيرا وهكذا إلى أن تصير طوع يدك، فإن علمت منها الإخلاص غبْ عنها وعن إخلاصها وكنْ بعد ذلك في الحال الذي يقيمك مولاك لا تدبر ولا تختر، واعلم أن الذي وَجَّهَهُ إليك هو المختار، فافهم عن الله فهكذا مقام الفهم عنه.

(**فصل**) اعلم أن الأدب وصف الروح قديم، وسوء الأدب وصف النفس حادث، فإن ظهر فيك الأدب ظاهرا وباطنا فاعلم أنك روحاني سماوي، وإن ظهر فيك سوء الأدب ظاهرا وباطنا فاعلم أنك نفساني أرضي. ومِنْ كمال ابن آدم أن حِسَّهُ أرضي ومعناه سماوي، ولما كان هذا حال أبينا آدم عليه السلام في الجنة وكانت الأنوار حاكمة على الأغيار، لا يعرف الأغيار ما هي وهي كامنة فيه إذ هي من الكمال الكبير، أراد الله سبحانه أن يظهر كماله فيه بفضله وإحسانه ويظهر من كماله كمالا كبيرا لا يعلم قدره سواه سبحانه فسلط عليه إبليس حتى استخرج منه وصف البشرية أحب أم كره فكان هو السبب في نزوله من عالم الأنوار إلى عالم الأغيار، فلما نزل اعتدل الأمر وكان ملكيا ملكوتيًّا في دفعة واحدة، ولذلك كان خليفة الله لأجل جمعه بين الضدين، فكل من اعتدل من ذريته صار خليفة، فإن قلتَ لِمَ لمْ يكن الخليفة من الملائكة ولا من الجن؟ قلنا لأجل حكم الروحانية على الجثمانية في غير الآدمي، فالاعتدال خاص بالآدمي ببركات مولانا محمد صلى الله عليه وسلم، واعلم أن ظهور وصف البشرية ليست هي من النقص إذ بها ترقى هذا الآدمي إلى مقام لا يدركه أحد سواه في القرب منه سبحانه، وإنما نُسِبَت إلى النقص من حيث الوقوف معها والاشتغال بها عن الله تعالى، لأن هذا الآدمي أودع الله فيه من السر ما لم يودعه في غيره: أودع الله في نفسه الحب الكبير والشوق الكبير

والعشق الكبير والجمال الكبير الذي هو في سائر الأشياء، فإذا غفل عن كماله صار عاشقا للأشياء لجهله بقدره، وإذا اشتغل بكماله صارت الأشياء عاشقة له لأنها تشاهد فيه جمال الله الكامل الذي أودعه فيه، ولهذا الجمالِ الكامل سجدت الملائكة عليهم السلام، ولهذا كانت الخلافة من بني آدم والله أعلم وأحكم ولم تكن من غيرهم، والخليفة لا يكون من ابن آدم إلا بعد البلوغ وقيل بعد الأربعين سنة لأنه يكمل العقل والحب فيه، ولا يكمل قبل ذلك إلا في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والخليفة الذي لا تشغله الحقائق عن الشرائع ولا الشرائع عن الحقائق في دفعة واحدة، ولم تكمل خلافة أبينا عليه السلام حتى أهبطه مولاه إلى الأرض بدليل قوله تعالى ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: 30] ولم يقل في السماء، لأن السماء تجلي جماله سبحانه فيه غالب على تجلي جلاله، والأرض تجلي جلاله فيها غالب على تجلي جماله، والآدمي بين الأرض والسماء وذلك لزيادة كماله وأنه ليس موضعه الأرض ولا السماء وإنما موضعه عالم المعاني الذي أحاط بسائر الموجودات، فاعرفْ قدرك أيها الإنسان، ولا تكن عنه نسيان، وقلْ ألله ألله حتى تفنى سائر العوالم وتتجلى لك في نفسك أسرار العالم فترى سائر الموجودات سرا من أسراره، وذلك السر بعض من سرك فافهم، ولا تصل هذا السر إلا بالأدب، والنفس لقوتها وكمالها لا تتأدب لخالقها لأنها تشير لكمالها الأول وأنها تحكم بالله ولا يحكم عليها ولم تر أنها خارجة من عالم المعاني محجوبة عن خالقها سبحانه بوصفها الأرضي الحادث فيها بقدرته وإرادته لحكمة أرادها الحق سبحانه، والحكمة التي أرادها منها سبحانه هي أن تشهد له بالوحدانية وتتأدب بكمال الأدب مع الألوهية ولا تنسب لنفسها حولا ولا قوة وذلك هو شرفها، وقد كانت قبل جهلها بالله في عالم المعاني متأدبة بكمال الأدب ولكن ذلك موضع القرب لا يظهر أدبها، والأدب يظهر في موضع البعد وهو عالم الحس عالم الحجاب عالم الفرق، وتجلى بها الحق سبحانه في صور كثيرة وكل صورة منها قالت أنا، فلله الأمر من قبل ومن بعد، كيف يكون معرفتها إلا بفضله وإحسانه، ولذلك جعل الله الوسائط لها في سبب معرفته وعبادته، فمن عرفه معرفة العيان كان مقامه مقام الأدب، ومن عرفه معرفة البرهان كان مقامه مقام

العبادة، فصاحب العبادة أدبه ظاهر غير باطن، وصاحب العبودية أدبه ظاهر وباطن لأنه عرف نفسه، ومَنْ عرف نفسه عرف ربه، ومن عرف ربه فني في محبته، ومن فني في محبته زال عن حوله وقوته، ومن زال عن حوله وقوته تأدب معه سبحانه بكمال الأدب، وهذا علامة النفس الروحانية التي تخلصت من رؤية السوى، ولذلك صار الأدب طبعها لأن الأدب قديم وهو وصف الروح، وما خرجت هذا الروح من الأدب إلا بسبب بُعدها كما قلناه، وبسبب سوء أدبها سميت نفْسا، وإذا رجعتْ لأصلها سُميتْ روحا وهي السر المصون الذي لا يطلع عليه أحد سواه، وأهل العلم بالله يشيرون إلى سرها ولا يصرحون إلا عند غلبة الحال وذلك حياء من الله تعالى حيث قال جل جلاله ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [الإسراء: 85] معناه والله أعلم لا تصرحوا بحقيقتها لأنها من أسرار الألوهية، وكشف سر الألوهية كفر ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: 85] معناه والله أعلم ما علمتم من علمها إلا قليلا بالنسبة لعلم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فصار الأدب قديما، وسوء الأدب محدثا كما قلناه، فالأدب قديم يتعلق بالروح ويرجع إلى وصف الربوبية، وسوء الأدب محدث يتعلق بالنفس ويرجع إلى وصف العبودية، وإذا أراد الله أن ينصر عبده أمدَّه بوصف الروح فيكون طبعه حسن الخلق مع كل مخلوق، وإذا أراد الله أن يخذل عبده أمَدَّه بوصف النفس فيكون طبعه سوء الخلق مع كل مخلوق، والأدب كله من مشاهدة الحبيب، وذلك كأصحاب الملك الدنياوي تراهم إذا شهدوه تأدبوا معه قدر استطاعتهم فمنهم من يديم الجلوس معه وذلك لشدة أدبه ومنهم تارة بتارة بحسب قربهم منه، وكذلك حضرة الملك الحقيقي الذي هو مالك الملوك سبحانه وتعالى فهم أيضا بحسب قربهم منه، وقرب أهل الله ينقسم على ثلاثة أقسام: قرب الأنبياء كشهود الشمس بلا سحاب، وقرب الأولياء كشهود الشمس في السحاب اللطيف، وقرب الصالحين كشهود القمر في السحاب الكثيف، وفوق كل ذي علم عليم، ومنتهى العلم إلى الله العظيم.

ومن آداب المريد أن لا يتزوج قبل الرسوخ والتمكين، لأن حب النساء من

أعظم السموم ومن أكبر الهموم، ولا يتزوج إلا إذا خاف على نفسه الفتنة أو وقوعه في الحرام هذا واجب عليه وربما كان بعيدا من شيخه فلا يخبره لئلا تطول به الفتنة فينقطع عن الله سبحانه وإن كان معه حاضرا أو قريبا فليبح بما عنده في قلبه ولا يكتم عن شيخه شيئا، لأن الحياء في الحق بدعة عظيمة، ومن البدعة الكبيرة الحياء من الخلق ولو كان الحياء من الخالق سبحانه لما ستر من عيوبه شيئا وكيف والشي طبيب وهو يكتم علته عن الطبيب هذا لا يناسب الصديق، ولا شك أن التزوج حمل ثقيل على السائر، والسائر كله ضعيف لكونه مملوكا في يد الأحوال، وإن رأى من نفسه صبرا فلا بأس بستر ذلك عن الشيخ، وإن أشار له الإشارة الخفيفة بقدر الحال الذي هو فيه فلا بأس، واعلم أن المملوك في يد الأحوال لا ينبغي له إلا التخفيف من كل شهوة أباحها الحق سبحانه لعباده المؤمنين، وإن كان قوي الإرادة ينبغي له أن يتزوج إذا أراد أو يتركه إذا أراد لأنه لا يشغله عنه سبحانه شاغل لصدقه في طلب مولاه وتعلق همته به سبحانه، وينبغي للسائر الضعيف مثلي أن يقطع كل علقة وشهوة مباحة كانت أو غير مباحة لأن طريق الشاذلية طريق البسط فمن تمادى إلى الشهوات خرج عن القصد لا محالة، لأن البسط مع وجود الشهوة وحياة النفس تؤدي بصاحبها إلى المكروه أو المحرم، ومَنْ وقع في شهوة من ذلك غير مغلوب بالسكر فهو المطرود إلا إذا زال عنه البسط ووقع له الحزن والندم والخوف والحياء ونوى ألا يعود، وإن قدر عليه وأعاد أدركه هذا الحال فهو من الناجين، وإن عاد ولم يجد من الحزن والفقد والخوف والحياء والهيبة والتوبة شيئا فهو من القاسية قلوبهم من ذكر الله، نسأل الله السلامة يا مولانا لنا ولإخواننا ولسائر المؤمنين أجمعين من قساوة القلوب وغشيان الذنوب يا أرحم الراحمين يا رب العالمين. واعلم أن سطوة الأنوار عند الاستشراف تغلب الرجال الصادقين فضلا عن غيرهم، إذ المغلوب للأنوار قهرا عليه معذور كما قدمناه، ولا يعذر غير المصطلم وقت اصطلامه في سوء أدبه، وأما إن خرج من الاصطلام وحمله البسط على سوء الأدب فإنه يؤدب بوضع الحجاب بينه وبين محبوبه، وهذا من العقوبة الكبيرة وهي سلب البواطن من الأنوار وتسليط النفس عليه في عالم الأغيار، وأما إن عوقب الفقير ظاهرا بالأمراض وإهانة الخلق والفقر وغير ذلك فليحمد الله ويثني عليه بالشكر إذ ذاك عناية منه

سبحانه ولطف بعبده، وقد اشتهيت يوما شهوة مباحة وشرهت نفسي إليها وفعلتها وأنا أعلم أن نفسي شارهة لها ومحبة فيها فما بقيت إلا قليلا حتى عوقبت بفعلها وأدبني مولاي ظاهرا لا باطنا والحمد لله على الرفق، ولا ينبغي للمريد أن يتتبع الشهوات المباحة بنفسه فكل ذلك بعدٌ عن ربه لأنه طالب الخصوصية الكبرى، وحب الشهوات مع ثبوت النفس حال الغافلين، لأنه من أحب شيئا كان له مملوكا أحب أم كره، والملكية لا تصحُّ حقيقة إلا لله سبحانه، لأن النفس إذا غلبت بطبعها على الروح كانت عاشقة للجمال العاري، والجمال العاري مثله عند المحققين ﴿ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا ﴾ ، كذلك النفس تحب الأشياء فإذا ملكتها افتقرت منها وطلبت غيرها، ولم تزل هكذا تعشق الشيء فإذا ملكته زهدت فيه، لأن الغنى لا يكون إلا بالله ولا يكون بالمخلوق قط، والروح إذا غلبت بطبعها على النفس تركت النفس وما أحبت واشتغلت بطلب الجمال الحقيقي فتراها تنظر لباطن الأشياء كما تنظر النفس لظاهر الأشياء فلم تزل تنظر وتحد النظر حتى تنصقل مرءات قلبها فتنطبع سائر الموجودات في مرءاتها الصافية فلا تطلب بعد ذلك شيئا إلا الثبات في النظر والبعد عن الكدر، ولا يكون لها بعد ذلك سبب سوى مداومة الأدب، ولنرجع للذي أردناه ولا ينبغي للفقير الصادق أن يتبع شهوة المباح كما قلناه حتى يتخلص من نفسه فإذا تخلص يأكل من المباح ما شاء ويلبس ما شاء ويركب ما شاء ويتزوج ما شاء لأن النفس التي كانت تشتغل بذلك عن الله ماتت وفنيت وزالت وذهبت ولم يبق منها شيء، ومعنى موتها رجوعها روحا بغلبة طبع الروح عليها حتى أخذتها وملكتها وطهرتها وجعلتها أهلا للحضرة، والنفس في الحقيقة هي الروح ولكن تاهت عن سرّها وبعدت عن ربها وحجبت عن قدرها وشرفها فسُميت نفسا كما تقدم غير ما مرة، ولا يتشكل هذا النظر إلا على من لا معرفة له بعلم الذوق، ومن لا ذوق له لا يفرق بين النفس والروح، والنفس تنقسم إلى ثلاثة أقسام: إذا كانت في مقام الحجاب الكثيف سُميتْ أمَّارة، وإذا تلطف الحجاب عنها سميت عقلا لأنها تعقل عن الله والعقلُ موضع الطاعة لله عز وجل، وإذا زادت في التلطيف سميت قلبا والقلبُ محل الخشية والزهد والورع والحلم والصبر وغير ذلك من سائر الأحوال والمقامات. ثم الروح أيضا

تنقسم إلى ثلاث: فإذا استشرفت على العلم بالله سميت روحا عالمة، وإذا وصلتْ سميت روحا واصلة، وإذا تمكنت سميت روحا كاملة وسرًّا من أسرار الله، ولنرجع للقصد الذي أردناه واعلم أن شهوة المباح هي التي منعت الفقراء والعلماء والصالحين عن المسير إلى حضرته سبحانه، والسير لا يكون إلا بعد الإخلاص وإلا فلا سير، ولا تنظر أيها الأخ لشدة العلم ولا لشدة العمل، وانظر للإخلاص فأقلُّ العلم وأقل العمل يكفي، وإن غاب فالله يعظم الأجر في صاحبه، والإخلاص أمر قلبي لا قالبي وصاحبُه لا تجده إلا كالأرض، فإن وجدت فقيرا أو عالما أو عابدا منكسرا حقيرا ذليلا فقيرا ضعيفا محققا بوصفه فاعلم أنه نازل في مقام الإخلاص، وإن وجدته متكبرا متكلما غنيًّا بعلمه أو عمله أو بدنياه أو بنفسه فاعلم أنه من أهل الإفلاس لا يعرف الإخلاص ما هو، والإخلاص هو المأمور به في الكتاب والسنة والإجماع قال جل من قائل ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ ، والإخلاص قلَّ من يتكلم عليه في زماننا هذا، فالواجب على علمائنا أن لا يتكلموا اليوم إلا على الإخلاص لأن العلم كثير والعمل كذلك، والإخلاص أقل القليل وذلك لغلبة الباطل والهوى على الحق والنفوس على الأرواح والجهل على العلم والدنيا على الآخرة والظلمة على النور، وقد اتفق الناس كلهم على الدنيا ولا ينهى عنها عالم ولا صالح وهذا من علامة تمام الدنيا، وقد كانت العلماء والصالحون تموت على الدين ولا ترجع عنه ولا يخافون في الله لومة لائم، واليوم أعطِ لهم الدنيا لا يتكلمون على الحق وإن رأوه وعرفوه وحققوه فمثل من هذا حاله كالكلب إذا خفت منه أعطه ما يشغله عنك واذهب ولا تخف، ومن كان عاقلا فليتأمل ما قلناه هل هو حق أم باطل، فالله يمن علينا وعلى أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقبول منه سبحانه بمحض كرمه إنه جواد متفضل، ولا ينقطع أهل الإخلاص ولا من يتكلم عليه إلى أن تقوم الساعة، إذ لولا هو وأهله لذهب الله بالجميع، ولنرجع للذي أردناه اعلم أن الحجب التي بيننا وبين ربنا هي شهوات نفوسنا لا غير، فمَنْ رفض الشهوات وترك الدعوات ورد نفسه عن الهفوات ذاق الحلاوات، واعلم أن النفس قبل تطبعها بالشهوات نور محض كالنهار الذي لا سحاب فيه فإذا دخلها بعض الشهوات نقص من نورها بحسب ما ينقص السحاب من ظهور ضوء الشمس فإذا تراكمت

الشهوات لم يبق من نورها إلا أثره فإذا زادت رجعت ليلا مظلما، ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝﴾، وسبب ورود النار البعدُ عن الجبار، وسبب ورود الجنان القربُ من المَنَّان، فمن أحبه مولاه منعه من الشهوات والدعوات اختيارا أو قهرا، ومن أبغضه أعطاه الشهوات وأطلق على لسانه الدعوات: هاتان الحالتان أيها الإخوان من أعظم الآفات.

ومن آداب المريد أيضا أن لا يستعمل دارا ولا لباسا ولا فراشا ولا بهيمة ولا بلدة ولا غير ذلك من الأمور أحسن من دار شيخه أو لباسه أو فراشه أو بهيمته أو بستانه مثلا، فالمريد الحقيقي ينزل نفسه منزلة العبد الذليل وينزل شيخه منزلة السيد الجليل، ولا ينبغي له أن يقتدي به في أحوال العُلويات ولا في أحوال السُّفليات إلا بإذنه في كل شيء. نعم تقتدي بأخلاقه في الأحوال وفي الأقوال على ما يأمرك به وينهاك عنه، وإن زدت تقع في سوء الأدب لا محالة، إذ الشيخ غيور على مقامه لا يحب من يدعيه بنفسه، وإن ادعاه بربه فالواجب عليه ستره من شيخه أدبا معه وخوفا منه، فالمدعي له بنفسه مثله كرجل أصبح يدعي المملكة وليس له جيش ولا مال فسمع به الملك فقطع رأسه، كذلك الأمر وهذا أغير وأغير لكونه ملكا ربانيا، وقد كنا مع شيخنا رضي الله عنه وأرضاه بحضرة فاس عمرها الله بأهل العلم والصلاح وأخلاها من أهل الجهل والطلاح وكان شيخنا يتزيّا بزي عُلوي فكان رجل من أصحاب شيخه رضي الله عنه ونفعنا ببركاتهم أجمعين ناقص التربية ناقص الأدب فتزيّا بزيه من غير إذنه فدخل على الشيخ في محفل فانقبض الشيخ من ذلك وأخذته الغيرة في نفسه على حاله فهلك أخونا في الحين فمات رحمه الله، وأما السُّفليات فكان شيخنا رضي الله عنه ونفعنا ببركاته حلق لحيته بوارد قوي رباني وجعل في ظاهره من الأحوال ما يناسب ذلك فلما رآه بعض الإخوان تزيّا بزيه فانقبض خاطر الشيخ وكان يكرر ذلك مرارا على جهة الإنكار عليه وسوء أدب ذلك الأخ على الشيخ، وهذا ومثله منا ومن إخواننا هو الذي حملنا على هذا الكتاب وذلك كله قليل في حق الله ومن يعرفك به، **والله ما خلق الله الخلق إلا لأجل الأدب معه لا غير**، والواجب على المريد الذي يريد الدخول إلى حضرة الله تعالى

على يد شيخ عارف محقق سالك مجذوب ألقاه الله به وفتح له به أن يجعله قدوته ولا يتحـــرك ولا يسكن إلا بإذنه لا ظاهرا ولا باطنا، فإذا كان المريد للشيخ مريدا على هذا الوصف كان الشيخ للمريد شيخا، ولا ينقطع وصف البشرية الذي هو محل سوء الأدب بالكلـــية عن الولي الكامل وإذا ظهر له شيء منه فمحله الجوارح، والقلبُ لا يـــصيبه شـــيء من ذلك، وإن أصابه شيء ذهب في الحين وذلك لسكون النور في القلـــب، لأن الولي برزخ بين المُلْك والملكوت لكن الحكم للملكوت على المُلك، لأن الملكوت يأخذ البواطن ويرد الظواهر، والمُلك يأخذ شيئا من الظواهر ولا سبيل له على البواطن، وإن هجمت الظلمة على النور دفعها النور سريعا لأنه مالك لقرية القلب، وقد يصدر من الولي شيء تحسبه خارجا عن الشرع وهو في غاية الصواب، لأن شـــريعة العارف هو ما يبرز من عنصر القدرة لفهمه عن الله إلا أنك لا تعرف تأويل ذلك، والتسليم له فيما يبرز منه إن كنت مقتديا به أولى، وإن لم تكن مقتديا فلا بأس بسؤاله عنه، وإن أشار إليك بحكم خفي فاقبله ولا ترده إلا إذا تحقق لك أنه ليس بولي فلا تقبل منه شيئا إلا ما وافق الشرع وإلا فلا، والسلام.

ومـــن آداب المـــريد أيضا أن لا يتنخم في حضرة الشيخ كما يفعله من لا معـــرفة له بالأدب إلا إذا كانت به علة غالبة عليه لا يقدر على ردها فذلك معذور في ســـوء أدبه، ويجب على الإخوان الصبر على من به شيء من ذلك سواء كان في حـــضور الـــشيخ أو في غيبته ولا يكلمونه على ذلك ولا يشيرون إليه، ربما يكون كارها لذلك فيزيدونه على ما به، والمؤمن هو الذي يوسع على أخيه ولا يضيق عليه ويـــستر عـــنه مساوئه حتى يرى فيه أهلية القبول فيشير إليه بذلك، وقد يقع سوء الأدب مـــع الإخوان بعضهم من بعض أكثر مما يقع منهم مع عامة الناس، والعلة في ذلـــك أن الفقير إذا خرج للعوام استعد للمعرفة فيهم والأدب معهم فمَثله كالمجاهد الـــذي يخـــرج لقتال العدو ويقلد آلة حربه فيخرج وإذا رجع إلى أصحابه أمن من العدو فنزع آلة حربه عنه، كذلك الفقير وهذا مجرب صحيح، ولا شك أن من أساء الأدب مع الإخوان لا ينجح منه شيء ولا يصفى له الأدب مع العامة ولا تصفى له نظرته فيهم، فإن الجنس واحد، وأصعب المعرفة في الإخوان وكذلك الأدب أصعب

مـــا يكون فيهم، لأن فيهم أيضا من يحسدك ويبغضك ويحاربك مع قلة الاستعداد لمعرفة الله فيهم كما قدمناه، وهذه الحالة صحيحة جربناها غير ما مرة نعرف الحق في العمـــوم ونجهله في الخصوص وهذه ليست بمعرفة، ونقول أيضا إخواننا عارفون وكـــيف يسيئون الأدب علينا هذا لا يناسبهم: وهذه الحالة من أقبح ما يكون رأينا سوء أدبهم بسوء أدبنا، ولو كنا متأدبين لما رأيناهم ولا رأينا سوء أدبهم وهذا كله منا لا مـــنهم، فمـــن الواجب علينا أن نعرف الله فيهم قبل معرفته في غيرهم ونحمل إذايتهم قبل حمل إذاية غيرهم وننظرهم بالتعظيم قبل أن ننظر غيرهم ونكرمهم قبل أن نكـــرم غيرهم إلى ما لا نهاية له، لأنهم أهل القرب، فسوء الأدب معهم أقبح من غيرهـــم بكثير، ولا يصفى للفقير نظر ولا يطمع فيه وإن عمل ما عمل حتى يصفى نظره في إخوانه الكبير منهم والصغير والعالم والجاهل والضعيف والقوي، فإن قلت قد رأيناه مثلا تكبر وتجبر وبخل وأساء الأدب على الشيخ مثلا أو على الإخوان أو ما أشبه ذلك فكيف تصفى النظرة فيه؟ قلنا لو كنت مشتغلا بذكر الله تعالى بقلبك وجوارحك لما رأيت منه شيئا سوى المحاسن ولو كان في غاية الإساءة، حاش من هو صـــادق في طلب مولاه تارك لهواه ناظر لأوقاته معتنٍ بصفاء قلبه معتمد على فضل ربـــه ناظر لأنوار قدسه أن يرى من أحد شيئا أو يرى أحدا هذا هو المحال، انظر إلى الـــشيوخ العـــارفين نفعـــنا الله ببركاتهم تصحبهم الناس بسائر العلل والقبائح ولا يشتغلون بأحد سوى تصفيتهم منها بالإشارة اللطيفة ولا يزالون معهم بالحلم والصبر والحنانة والشفقة حتى يطهروهم من سائر العلل، ومن هذا المعنى كان الواجب على الـــداخل في زمرتهم أن ينظرهم بعين التعظيم والإجلال ولا ينظرهم كعامة الناس، إذ بقدر التعظيم والإجلال يكون الأدب، وما أقبح حال الذي يكون كالبهيمة لا يبالي بكل ما يفعل في حضرة أهل الله نفعنا الله ببركاتهم، ومَنْ كان هذا حاله ينبغي له أن يدفع لسياسة البهائم حتى تطيب نفسه وتخمد نار بشريته ولا يرجع لحضرة الشيخ قبل إذنه، لأن رعاية الحمير والبغال وغير ذلك من أعظم العبودية وهي تصلح لأهل الـــنفوس الطيـــبة سيما أهل النفوس الخبيثة من باب أولى وأحرى، ومَنْ أذِن له في رعايتها وامتنع فهو المتكبر لا يصلح لشيء، كيف وأهل الفضل هم يطلبونها وأفضل

الأوقات عندهم إذا وجدوا ذلك عند شيخهم، فهذه الطريق ليست هي طريق القول بل هي طريق الفعل، ولو كانت الخصوصية بالقول لكان أهل البلاغة من أهل الظاهر أهل لها، والله لا يكون أهلا لها إلا من باع نفسه لأهل الله وكانت بمنزلة الكلب لا يرفعها فوق قدرها، فموضعُها المزابل وأكلها العظوم[1] ولباسُها الخرق البالية وكلامُها الصمت ونومُها الفكرة وضحكها الحزن وصابونها الجوع وطيبها الذكر ومشيها الحضور وجلوسها الرضا والتسليم وشرابُها العلم وطعامُها الحِلم ودارها الذل ومالها الفقر وحرثها التواضع، جعلنا الله وإخواننا والمسلمين ممن وفقهم الله بتوفيق العارفين به آمين إنه سميع مجيب.

ومن آداب المريد أن لا يتكبر على أحد من الإخوان إن رآه أعلى منه مرتبة وأحب منه عند الشيخ، فإن الكبر هو أول ما عصي به الله، وأول ما عُبد الله به التواضع بدليل قوله تعالى ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف: 23]، وأما كون الكبر أول ما عُصي به الله فدليله قوله تعالى ﴿ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: 31]، فمن أحبه الله ألهمه التواضع والذلة والانكسار والحزن، ومن أبغضه الله ألهمه الكبر، والكبر هو أصل الخبائث والرذائل كلها وهو قلب حب الدنيا وهو دابة إبليس فمن كان عنده حبيبا أركبه على دابته وسار به إلى أين يريد، ولا سبيل للمتكبر على فعل الخير قط، ومن هذا المعنى سكن العارفون بالله في بلاد التواضع لأنه عطية الرحمن بها يبلغ أحباؤه وأصفياءه إلى حضرته العالية، تراهم رضي الله عنهم أين ما توهم لهم كِبْرٌ في نفوسهم تركوه ومزقوا أعراضهم بين إخوانهم محبة في ربهم وصدقا في طلبه حتى وصل بعضهم إلى المكروه قال بعضهم وقد استعملوا أشياء منكرة في ظاهر الشرع ورأوا ذلك جائزاً لهم أن يفعلوه ويأمروا به وهذا ظاهر لا يخفى على أهل الصدق فافهم، ولا شيء أنفع من هدم الكبر وقلع عروقه من السؤال في الأسواق والحوانيت فإنه يجهز على النفس

---

(1) العظوم: أي العِظام.

ويقطع أوداجها في ساعة واحدة، وإذا ماتت النفس حييت الروح فتتصف حينئذ بالأوصاف المحمودة كالتواضع والخشوع والسهولة والليونة والذلة والمسكنة، وقد أخذ شيخُنا السؤال عن شيخه، وأخذه شيخُه عن شيخه، وهو والله من أجل ما يكون أن يطوف الفقير نفسه بين الأزقة في وسط الأقران وبين الحوانيت وغير ذلك، لكن لا يصلح هذا السؤال إلا لأرباب الصدق الذين لا شهوة لهم في المال ولا في غيره، وأما إذا استعمل لأجل الحظ فحرام بإجماع أهل المعرفة، لأن مرادهم به قهر النفوس والتذلل لأبناء الجنس التي لا تستطيع النفس أن تنظر إليه بعين التعظيم فضلا أن تتذلل له حسًّا، وهذا هو التواضع الحقيقي لمن عرفه، واللهِ ما دخله أحد بهذه الحالة إلا وفتح عليه في العلوم الدينية والأخلاق المحمدية في مدة قريبة، لكن تعلل في زماننا بعلل كثيرة حتى استعملوه لجمع الفلوس لا لقتل النفوس، ولذلك يقول صاحب المباحث:

وما على السائل من تأويل إلا لقهر النفس والتذليل

واعلـــم أن كل من تخلص من بواقي الكبر فاضت عليه العلوم، وترادفت عليه الفهـــوم، وحيي قلبه بالأسرار، وظهرت على جوارحه السكينة والوقار، وخاف منه كل عنيد جبار، والسلام.

ومن آداب المريد إذا أراد الجلوس بين يدي شيخه أن يستخلي بنفسه ويتوضأ لجلوسه بين يدي محبوبه، لأن ذلك الجلوس هو مع الله لا مع الشيخ، وذلك المجلس هو من أعظم الذكر، والله عز وجل يقول (أنا جليس من ذكرني وأنا معه حين يذكرني) الحديث، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل ما فيه الرائحة الخبيثة كالثوم وما أشبهه، وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن خروج الريح في المسجد لأن ذلك يؤذي الملائكة لأنهم يحفونها بأجنحتهم عليهم السلام ويخرجونها من المسجد تعظيما لبيت الله سبحانه، والمساجد عظمت من أجل المؤمن الذاكر فهو في الحقيقة أعظم منها، وقد استشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على مكة شرفها الله وقال لا إله إلا الله ما أطيبك وما أطيب رائحتك وما أعظمك وما أعظم رائحتك والمؤمن أعظم حرمة منك، أو كما قال صلى الله عليه وسلم، فإذا كانت ملائكة الله عليهم السلام يحفون المساجد الذي يذكر فيها الله فما بالك

بمجالس أولياء الله الذين هم روح المساجد وقلوبهم بيت الرب سبحانه كما في الحديث: (لن يسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن)، أو كما قال سبحانه، فافهم وعليك بالتعظيم لسائر أهل الخير أحياء كانوا أو أمواتا تنال حاجتك سريعا، وقد مَنَّ الله علينا في حال صغرنا بالتعظيم لأهل النسبة والنية الصالحة ففتح الله علينا فتحا كبيرا لله الحمد وله المنة ومِنْ أعظم هذا الفتح أن ألقانا الله بشيخ كامل قلَّ في الزمان الذي فات مثله ونلنا منه الحظ الأوفر والسر الأكبر. واعلم أنه ينبغي للمريد أن يتحرز جسده من كل ما يستقذر ويستنظف قبل دخوله لحضرة أهل الله كما يتنظف لدخول المسجد، ومن كانت به زحمة أو مرض من أمراض البطن أو غيره فلا يرده ذلك عن الجلوس في حضرة أهل الله إلا أنه ينبغى له أن يستفرغ منها جهده قبل الدخول عليهم، ومَنْ هذا حاله فلا حرج عليه ولا عليهم في قيامه من مجالسهم إذا غلبه الحال، والقيام من مجلسهم مذموم من غير عذر كما رأيت بعض إخواننا يقومون من غير عذر وذلك لقلة التربية وقلة التعظيم، ولا ينبغي له أن يقوم إلا لضرورة أو لحاجة الشيخ أو الوالدين، ومن قام لعلة به أو لضرورة وتخطى رقاب الإخوان فالواجب عليهم أن يحملوا ضرورته وضرورة غيره من سائر المسلمين سيما في ذلك الوقت الذي هو محل الكلام على الأدب، إذا لم يكن الفقير على بصيرة في حضرة الشيخ فذاك دليل على طمس بصيرته، واعلم أن في افتضاح النفوس في دعاويها إنما هو عند التعرف، وينبغي للفقير الصادق أن يكون فعله أكبر من قوله وذلك لئلا يختبر فيما ادعاه فيفتضح، ومن الواجب على المريد أن يحمل إذاية أخيه بقلبه وجوارحه أكبر من إذاية غيره، ولا بأس بالأخ الناصح أن يظهر أثر الغضب باللسان دون القلب على من هو مسيء الأدب، إذ كثير من النفوس لا تتربَّى بالإحسان إلا قليل من أهل النفوس الزكية، وأما أهل النفوس الخبيثة فلا يسيرون إلى الله إلا بما تكره نفوسهم، لكن الصادق في طلب مولاه يتحمل عليها ما تكره سواء أحبت أم كرهت، وشدة صعوبتها لذلك من غلظة الحجاب، وغلظة الحجاب من شدة حب الدنيا، وقد يظهر لي والله أعلم أن بعض النفوس طبعها صعب بالأصالة ويظهر ذلك في بعض الصبيان، فمنهم لين ومنهم خلاف ذلك، وكيف يكون حاله

في البداية يكون في النهاية إلا إذا أيده الله ورزقه مؤدبا يؤدبه في حال صغره أو في حال كبره، والأدب ينفع في النفوس كيف ما كانت في حال صغرها أو في حال كبرها، لأن الأدب نور، كما أن سوء الأدب يؤثر في حال صغرها أو في حال كبرها إلا إذا سبقه الأدب، وإلا فالنفس على الفطرة مثل الأرض تنبت كل ما تزرعه فيها وإن زرعت في مرة واحدة أصنافا عديدة لكن الحكم للغالب فازرع المليح ولا تزرع القبيح، ثمار ما قد غرست تجني، وذلك لشرف هذه النفس تقبل كل شيء ولا ترد عليك شيئا، إلا إذا استنارت بنور الروح الروحاني فإنها لا تقبل حينئذ إلا النور وهو الحق، ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾ ، ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ ، الآيتين، ولو كانت هذه النفس الشريفة باطلا لما قبلت من الحق شيئا، وحيث كانت حقا عادت تقبل الحق، فإن قال قائل كيف وهي تقبل الحق والباطل معا قلنا لتطبعها بالشهوات والعوائد انطمس عين بصيرتها فظنت بجهلها أن الباطل هو الحق، أنظرْ إذا تنورت هل تقبل غير الحق حاشاها وهي من أمر الله سبحانه كما قال جل جلاله ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ ثم قال ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ يعني في معرفتها لأنها من أمْر الله، وأمْر الله تعالى يُعطى الفهم فيه لخواص عباده ما تطيق عقولهم النورانية وأسرارهم الربانية، لأن النفس من أشرف المخلوقات، والعقل الذي أعطاها الله أيضا من أشرف المخلوقات، والعلم الذي أعطاها الله أيضا من أشرف الشرف، ولا يزال العلم يقودها في الطريق، والعقل سراجُها به تمشي حتى تبلغ حقيقتها فتحقق بحقيقة الحقيقة فتعلم حق اليقين أن لا وجود لها مع وجوده ولا علم لها مع علمه ولا نور لها مع نوره، فترجع خائفة سريعة إلى مقام العبودية، فيكون ظاهرها يشير نحو العبودية وباطنها متعلق بوصف الربوبية، ما أشرفها حينئذ وما أعز قدرها في الوجود فافهم.

ومـــن آداب الفقراء مع بعضهم بعضا الإحسان والكلام اللين والمودة سيما عـــند زيارة بعضهم بعضا فإنها تتأكد عليهم شرعا، لأن زيارة أهل الفضل لبعضهم بعض بنية سبب في فيض المدد الرباني، والمعنى متوقف على الحس لا محالة، فلا بد

مـــن حمل شيء من الحس لتأخذ المعنى أعني الزيارة، وذلك ما يسهل من غير حرج في ذلك، ومن لم يجد فحزمة من الحطب، ومن زار أخاه وهو قادر أن يحمل له شيئا ولم يحمله فلا خير فيه ولا يرجى سيره لحضرة الله، إذ البخل من أعظم سوء الخلق، والـــبخل أيضا من شدة حب الدنيا، ولا خير في نفس البخيل وإن كانت عالمة أو عابـــدة أو فقيرة أو غير ذلك، فأول ما يظهر في النفس من الخير الذي يعتمد عليه عـــند أهل الخير السخاءُ وصدقُ الحديث وسترُ عيوب الناس والتجاوز عن المسيئين والـــدعاء لهم بالخير، لأنه يعلم أنه كان مثلهم وعافاه الله مما ابتلاهم به، ومن رأيته يعجبه حاله ويقبح حال غيره فاعلم أنه يزول عنه حاله سريعا ويرجع أقبح مما كان، وهـــذا ظاهر فكم من واحد أعجبه حاله فسلب منه، نسأل الله السلامة والعافية من غفلتنا عنه سبحانه، لأن سبب القبائح الغفلة عن الله، وسبب الغفلة حب الدنيا وهي رأس كل خطيئة وبلية كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم قال: رأس كل خطيئة وبلية حـــب الدنـــيا أو كما قال صلى الله عليه وسلم، فمَثل النفْس كالمرأة وحب الدنيا كالـــرجل، فـــإذا تزوج بها أول ما تلد له النفس الاهتمام، والاهتمام يلد له الشك، والشك يلد له البخل، والبخل يلد له الحرص، والحرص يلد له التدبير، والتدبير يلد له الاختيار، والاختيار يلد الشرك، والشرك يلد له الكفر وهو الشرك الأكبر، ولنرجع لما بقي من هذا المعنى: اعلم أن حقوق الإخوان كثيرة منها أن تكرمهم إذا زرتهم، وأن تنظـــرهم بعين التعظيم، وأن تعظم حرمة أهلهم إذا غابوا، وأن تكرم أهلهم في غيبـــتهم كما في حضورهم، وأن تستر عيوبهم إذا صدر منهم ذنب، وأن تدعو لهم قـــبل أن تدعو لنفسك، وأن تطعمهم قبل أن تطعم نفسك وأهلك، وأن تكسوهم كذلك، وأن تعلمهم إذا جهلوا ولا ترى لك عليهم فضلا وترى نفسك آخرهم في المنزلة، وقسْ على هذا، وهذا كان حاله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه، فانظر إن كـــان هذا حالك فاعلم أنك قمت بحق الإخوان وإلا فجدد السير، ولا ترضَ عن نفسك وتحب تعظيم الإخوان لك ومودتهم لك وقيامهم بحقك فهذا كله من جهلك بربك، ولو عرفته لوجدته هو المتجلي في خلقه بقدرته وإرادته وستر ذلك بحكمته فـــسبحان الحكيم العليم، وأجل الحقوق وأعظمها حقوق الشيخ، فلا يقدر عليه إلا

الصديق، نسأل الله تعالى أن لا يحرمنا من خيرهم وبركاتهم بسوء أدبنا. واعلم يا أخي أنه لا شيء أسهل في فتح باب الشيخ وفيض مدده مثل سخاوتك عليه بالنفوس ثم ما وجد بعدها من الفلوس، والناس على أقسام: منهم من يظهر عليه أولا السخاء بالفلوس ثم بالنفوس، ومنهم بالنفوس ثم الفلوس وهو أقوى من الذي قبله، ومنهم من يظهر عليه بالنفوس والفلوس وهو الأعلى وقليل ما هم، ومنهم من يجلس في حضرتهم ولا يظهر عليه من هذا الذي ذكرناه إلا قليل، ومنهم من يدعي صحبتهم ومحبتهم ولا يظهر عليه شيء من هذا ولا شيء من هذا، ولكن هذا قليل لأن أهل الفضل قلَّ من عرفهم ولم يأخذ النصيب منهم وقد تقدم شيء من هذا المعنى فانظرها إن شئت.

ومن آداب المريد أن لا يشترك في الرأي مع الشيخ قليلا ولا كثيرا، وإن شاوره الشيخ فليرد له الأمر ولا يفتي بنفسه لمن يفتي بربه، واعجبا من الأعمى يقود بالذي هو بعينه، وقد يكون من الشيخ ذلك اختبارا لسلب إرادتك وبيع نفسك له، فإن رأى فيك أهلية القبول زادك بهمته وحاله ورفعك من مقام إلى مقام وأنت لا تشعر، وإن رأى فيك غير ذلك سقطت من قلبه، لكن إن شعرت بالنقصان فالزم باب حضرته وتأدبْ بأدبه لعله ينظر فيك فتحمد عاقبتك. نعم إذا وقع التفويض لبعض والإذن له من شيخه بعد الرسوخ والتمكين في ذكر الله تعالى حتى أخذته المعاني أخذا كليًّا ولم يبق فيه بقية لغيره وتهذبت نفسه بعلوم المشاهدة لا بعلوم المجاهدة فلا بأس أن يشارك الشيخ في مشورته، وإن سلم الأمر له مع هذا فهو أولى وأحسن، وهذه حالة الصحابة مع مولانا محمد صلى الله عليه وسلم، والتسليم للشيخ بعد الوصول أدب عظيم ومقام كريم، اللهم وفقنا وإخواننا وسائر أهل الفضل للأدب مع الأشياخ والإخوان وسائر مظاهر الحق بما يناسب كل شيء كما وهبت ذلك لأوليائك وأصفيائك وخاصة الصديقين من خلقك، إنك سميع مجيب.

ومن آداب المريد الصادق فضلا عن غيره أن لا يأذن لأحد في حضور الشيخ ولا في غيبته بشيء من الأوراد والأعمال، إلا إذا كانت على جهة النصيحة لله لا غيرها، وهذا كله من عدم الأدب وعدم الصدق في الله وعدم اشتغال الفقير بقلبه

ودنـــو همته وحب إقبال الخلق عليه بنفسه وحبه الجاه والمدح والثناء والرفعة، وهذه هـــي النفس الأمَّارة المحضة سواء شعر بها صاحبها أم لا، ومن هنا يقع الفساد الكبير للداخلين على الله والحرمان لمن هذا حاله سيما إن تركه الشيخ وما يريد، ولا ينبغي للفقير الصادق أن يأمر أخاه في الله بشيء إلا بما قاله له شيخه موافقا له أعني لحال الـــشيخ، ومن أراد نصاحة أخيه فلينصحه بالحال وليترك المقال، لأن المقال للشيخ، والحال مشترك فيه مع الفقراء، فصارت التربية بالحال جائزة على هذا الوجه من غير إذن لهم فيه فافهم، والسلام.

ومن آداب المريد ألا يوصل الكلام القبيح الذي يغير قلب الشيخ أو الإخوان أو أحد من الناس فضلا عن الذاكرين الله من إخوانه فضلا عن شيخه، ولو رأى في ذلك ضرورة معينة فليجتنب ذلك وليرد الأمر إلى الله تعالى ويتيقن أن الشيخ قد أطلعه الله على ذلك قبل أن يبرز، ومن لم يعتقد في شيخه هذا وأكثر فلا يفتح عليه في شيء من السر وإن بقي مع أهل الله سنين عديدة، لأن باب الفتح التعظيمُ وعنه ينشأ الأدب، والذي يرى شيئا من الإخوان ويوصله هو الغافل عن الله أقبح من غيره، ولو كان مشغولا بذكر الله تعالى لعمي عن عيوبه لا سيما عيوب غيره، انظر إلى الشاب الذي دخل على السري السقطي رضي الله عنه وسأله الشاب عن حقيقة التوبة فقال هو أن لا تنسى ذنبك فقام الشاب فقال هو أن تنسى ذنبك، وكيف يشهد الفقير نفسه ويشهد ربه: هذا هو المحال، مهما ذكرت ربك نسيت نفسك، ومهما ذكرت نفسك نسيت ربك، قال تعالى ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: 24] أي إذا نسيت ما سواه فحينئذ تكون ذاكر الله، وهذه الطائفة ليس عندهم الذنب الذي يصدر من الجوارح إنما الذنب عندهم الذي يصدر من القلب وهو ثبوت الغير مع الله سبحانه، ولنرجع لكمال المعنى: ولا بد للشيخ أن يتغير إذا سمع ذلك على أحد من الفقراء فضلا عن من هو عنده متهوم بالرجلة الكبيرة، والعبد محل الخطأ والنسيان، ولا بد من ظهور الوصف المذموم على السائر حتى يتخلص من نفسه، ولا ينبغي أن يتناول الكلام في حضرة أهل الله على الخير لا سيما على الشر، لأن كلام الشر لا يقوله إلا أهل الشر، وحال هؤلاء القوم ثلاث: إما الذكر أو الفكر أو

المذاكرة لا غير، ومن زاد على ذلك فهو السلكوط الكبير، قال عليه الصلاة والسلام: طوبى لمن كان قوله ذكرا وصمته تفكرا ونظره عبرة، أو كما قال عليه السلام وقال أهل الحديث إنه من كلام سيدنا عيسى عليه السلام، ولا ينبغي للفقير أن يتكلم في شيء من غير ضرورة وإن أتته الضرورة فليتكلم قليلا، لأن الكلام طبع النفس، وما دامت متكلمة فهي حاكمة على الروح، فإذا صمتت وصار عندها الصمت طبعا علمنا أن الروح حاكمة على النفس، والروح متكلمة في تلك الوقت، ومعنى كلامها تأخذ العلم عن الله، ولا مَنعها قبل ذلك من العلوم إلا الطبع البشري مثل الكلام وغيره، فالروح محل العلوم الربانية، والنفس محل الجولان في الأكوان الخالية، فالنظر في الأكوان بغير اعتبار كالمُلقى في الفيافي والقفار، ولا ينبغي النظر إليها بغير أن يراها صنعته واختراعات قدرته وأسرار إرادته سبحانه وأنها قال لها كن فكانت وإذا أراد زوالها أسرع من ذلك زالت، فيستدل بذلك على فقره وفاقته واضطراره إليه سبحانه، وأنه إذا عصاه أو غفل عنه قدر أن يهلكه أو يسلط عليه شيطانا يطرده من رحمته ويشغله بشهوات نفسه، وهذا نظر أهل الدليل والبرهان، وأما نظر أهل العيان نفعنا الله ببركات الجميع فقد دلهم العلم به سبحانه على رؤية المعاني اللطيفة الصافية النورانية الروحانية الموصوفة بالقدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام وغير ذلك مما يناسبها من الصفات العالية والأسماء، فما زال بهم النظر المعناوي والغيبة عن الأواني حتى رقتْ بصيرتهم وشهدت حقيقة سريرتهم ففنوا عن توهم غيره وبقوا به بلا بهم، فسبحان من خصهم بهذا المقام الشريف، اللهم لا تحرمنا يا مولانا مما أعطيتهم إنك سميع مجيب، ولنرجع لما بقي من هذا المعنى: وينبغي للفقير الصادق أن يشتغل بمراعات قلبه مع الأنفاس واللحظات حتى يذوق حلاوة محبة ربه، ولا ينبغي له أن يتكلم إلا على الله ولا يسكت أيضا إلا على الله، حتى يصير صمته بالله وكلامه بالله، فإذا تكلم بعد هذا قال صوابا.

ومـــن آداب المريد أن لا يطلب من شيخه أن ينقله من حال إلى آخر إلا إن أمـــره به فلا ينبغي له أن يتأخر عنه فإذا تأخر حرم، وإذا تقدم لشيء من غير إذنه

حـــرم أيضا، وانظر الذي تأخر عن ما أمره به الشيخ أبو يزيد رضي الله عنه كيف حرم حيث قال له احلقْ لحيتك ورأسك وانزع ثيابك وعلقْ في عنقك مخلاة معمورة بالجوز وطفْ في الأسواق التي تعظم فيهم نفسك وناد بأعلى صوتك على الصبيان وقـــلْ لهم مَنْ يصفعني أعطيه جوزة، والتقدم والتأخر لشيء من غير إذن من الشيخ كلـــه ســـوء أدب، وبالجملة مَن طلب الدخول في حال من الأحوال أو الخروج من حـــال إلى حال بلا إذن شيخه فلا يرى في ذلك خيرا قط، ولا بد للنفس في حال ســـيرها تتعـــشق لأمور كثيرة، فتارة تتعشق للتجريد وتارة للأسباب وتارة لتلاوة القـــرآن وتارة لتدريس العلم وتارة للسياحة وتارة للحج وتارة للجهاد، ولا يناسب للمـــريد أن يتـــبعها إن قلد بها عالِما ربانيا فانيا باقيا إذ ليس له عليها حكم ولا له تصرف فيها، والمريد مع الشيخ كالميت مع الغاسل، وكذلك كان الصحابة مع النبي صلى الله عليه وسلم كان أهل التجريد منهم رضي الله عنهم لا يطلبون منه صلى الله عليه وسلم الخروج منه والدخول في الأسباب وكذلك أهل الأسباب لا يطلبون منه الخـــروج منه والدخول في التجريد وهذا هو الغالب والله أعلم، ومن طلب منه شيئا وأمره به كان لا يخرج عنه إذ لا يأمر صلى الله عليه وسلم إلا بالحق، والحق أحق أن يُتبع، فكان أهل الأسباب مشتغلين بمسببها لا بها، وكان أهل التجريد أيضا مشتغلين بـــالله عـــن التجـــريد وعن كل ما سواه، وبهذا صاروا والله رجالا وكانت أسبابهم وتجـــريدهم وأحوالهم وأقوالهم وأفعالهم كلها عبادة، والمريد إذا أرد قضاء حوائجه فليـــضمرها في قلبه وينزل نفسه عند الشيخ منزلة العبد المملوك المطيع لسيده فلا يرجو من سيده شيئا سوى خدمته ولا يلتفت لشيء آخر، فمَنْ هذا حاله وصل إلى الله بـــنفس ما تحصل له هذه الحالة وتقوم حوائجه بالله، ولا منع الناس من الوصول إلا عدم صدقهم في عبوديتهم لله لا غير، والتردد يقطع الطريق بصاحبه، وقد سألني بعض الإخوان رضي الله عنهم ذات يوم قال لي ما حقيقة الخصوصية قلت له بتوفيق مـــن الله حقيقة الخصوصية الصدقُ في العبودية من غير تردد، وهذا ظاهر إذ كل من صـــدق في عبوديـــته كان عبد الربوبية ومن كان عبدا كان حرا، قلتُ والصدق في العبودية أن يكون عبدا بلا علة. واعلم أن الشيخ يوصل إلى الله في الأسباب، ويوصل

إلى الله في التجريد، ويوصل إلى الله تارة بمحض كرم الله بلا واسطة الأسباب وهذا بحسب صدق المريد، فمَن جاءه صادقا رجع في الحين مرشدا، لأن الصدق سيف الله ما وضع على شيء إلا قطعه، والفتح بحسب الصدق، وهو في الحقيقة في الله، والشيخ واسطة بينه وبين الله، ولا يصير واسطة حتى يكون ظاهره عبودية محضة وباطنه حرية يقابل العبيد بظاهره ويمدهم بباطنه فيأخذهم، ولولا ظاهره ما عرف باطنه، ولولا باطنه لكان مثل عامة الناس، فافهم.

ومن **آداب المريد مع الله تعالى** الاكتفاء بعلمه سبحانه في كل ما ينفق على شيخه أو إخوانه أو غير ذلك، ولا يقصد بذلك شهرة ولا ثناء من الخلق ولا غير ذلك ولا من شيخه أيضا إن كان كامل الصدق، والصادق الضعيف مثلي يحب مدح الشيخ له ويبغض ذمه له ولذلك يفرح عند إظهار المودة له ويحزن عند فقدها: وهذا حال محمود، ولكن فوق هذا مقام أعلى منه وأحلى وهو إذا أنفق الدنيا بحذافيرها لا يرى لذلك مزية، وإن قدم على الشيخ بلا شيء أيضا لا ينقص حاله لأنه ينظر لله ولصفاء سريرته وهذا ليس ببخيل إنما مراده مراد مولاه إنْ وجد الدنيا بحذافيرها أنفقها ولا يبالي وإن لم يجد ما ينفق فلا يبالي، وقد زلت أقدام الكثير في هذا الباب إن وجد ما ينفق فرح وقدم على الشيخ وإن لم يجد حزن وانقطع عن الشيخ، وقد قال شيخنا مولاي العربي الدرقاوي الشريف الحسني رضي الله عنه يوما لبعض إخواننا أهل غمارة بارك الله فيهم وفي غيرهم من الإخوان حيث علم منهم هذه العلة قال لهم أنتم أجونا[1] لله ونحن نقبلكم لله ليحصل الذكر الخالص من الجهتين، فليحذر المريد الصادق من هذا الباب جهده وليُراع قلبه فإن أحس من نفسه شيئا من هذا فلينفق خفية حتى لا يعلم أحد منه ذلك سوى شيخه إذ لا ينبغي له أن يخفيها عنه وإن رأى منها وقوفا مع ذلك فلينفق على الشيخ خفية لأجل إخلاص نفسه من هذه العلة وإن أراد ذلك فلينظر أخا له صادقا في محبته فقيرا حقيرا ذليلا ليس له ما ينفق ويدفع له في ذلك ويأمره بوصولها إلى الشيخ ولا يخبر بها أحدا

(1) أجونـا: أي زُورُونا.

ولا يطلع أخاه على إخلاصه فيها بل يقطع البواقي ولا يقول للشيخ هذه كرامة فلان الفلاني إلا إذا قالها له أخوه، وينبغي له ألا يأمره بإعلام الشيخ أنها له إن كان طالبا الإخلاص فإن دام على هذا وسكنت إليه نفسه أي للإخلاص فليتخلص من إخلاصه لله، إذ ما من مقام إلا ويحتاج للتبري من الحول والقوة، وإلا فهو حجاب على صاحبه، وإذا علم من نفسه الإخلاص أظهر الإنفاق ظاهرا زيادة بالفقراء، لأن الفقراء الغالب عليهم الاقتداء بأحوال بعضهم بعضا لا سيما هذه الأحوال الحميدة التي هي السخاء إذ هي أثقل ما يكون على النفوس، فكثير من الناس يموت ولا يعطي شيئا من الدنيا، وكثير من الناس يموت ولا يعطي شيئا من نفسه لتنذل بين الأقران ولو ساعة من العمر أو تفتقر أو تجهل أو غير ذلك ويسخى بالدنيا إن كانت عنده فهذا الواجب على الشيخ من طريق التربية أن لا يقبل منه الدنيا سوى نفسه، كما أن الذي يسهل عليه ذل النفوس ولم يستطع أن يعطي الفلوس فالواجب على الشيخ أن لا يقبل منه ذله سوى فلسه إلا إن علم منه المنع في نفسه أو فلسه فليأخذ منه ما سهل قالت الناس: "نتفْ من الكلب ولا يغدُ سالم" أي ولا يرجع سالما، وربما إذا دام حاله على هذا زاد إلى الله، ولنرجع للذي أردناه وينبغي للصادق السخي الذي صار طبعه السخاء إن علم من نفسه الركون للسخاء لا غير أن يظهر البخل ليتخلص من العلل الخفية كما قلنا قبل حتى يتخلص من كل حظ نفساني ظاهرا كان أو باطنا، والعلل الباطنة هي أصعب ما يكون، ولذلك قيل ومداوات ما يخفى صعب علاجه، وإذا انتهى الفقير في الإخلاص يكون كما كان، ولا يعرف أحوال المخلص إلا المخلص مثله، واعلم أن أحوال المخلص كأحوال الصبيان الصغار لا يرجون على فعلهم المليح مدحا ولا على فعلهم القبيح ذمًّا، بل أهل الإخلاص أكثر من ذلك فعبادتهم كلها موافقة لما تجري به أرياح الأقدار، فهم كالغصن الرطب الذي يميل مع الأرياح السبعة كيف ما تحركت ولا يرده إلا الريح الغالب على الآخر، وهذه هي الفطرة الحقيقية التي هي عن علم بخلاف فطرة الصبيان لأنها لا علم لهم بها وذلك لغلبة وصف الروح على النفس فالعلم يحمله العقل والعقل ليس عندهم منه شيء أعني عقل التمييز وهذا هو العقل لا غيره، فعقل الصبيان غالب عليه وصف الروح، وعقل الشبان غالب عليه وصف النفس حتى يرد

نفسه عن هواها فحينئذ يصير عقلا كاملاً، وأما إن لم يرد نفسه عن هواها فهو ناقص وهو المسمى بعقل التمييز في الجملة وعلى هذا العقل يكون الحساب ويجب التكليف ولا يزال صاحبه يرد نفسه عن هواها بالعلم ونور العقل حتى تصير النفس كاملة العلم والعقل فحينئذ تقبل الحقائق الربانية والأسرار القدسية وذلك بعد رجوع النفس على الفطرة المحضة الأصلية وهي الفطرة التي فطر الأرواح عليها من العلم بأسرار الربوبية والقيام بآداب العبودية فافهم. والفطرة تنقسم على ثلاث: فطرة مجازية وهي فطرة عامة الناس في حال خروجهم من الأرحام إلى البلوغ، وفطرة وهبية وهي فطرة المجاذيب وهي التي تنزل بهم بعد خروجهم منها أي من الفطرة المجازية ومنهم من لا تفارقهم من أول قدم وهم من فطرة إلى فطرة، وفطرة اكتسابية وهي فطرة الكُمَّال من أولياء الله نفعنا الله ببركاتهم أجمعين يخرجون منها ثم يرجعون إليها على يد شيخ عارف ولا يقدر أحد أن يرجع إليها من غير شيخ قط إلا نادرا. واعلم أن الخروج من الفطرة الأصلية له شيوخ أي أسباب عديدة وهو الوجود وما فيه إلا أقل القليل منه، وأما الرجوع إليها فشيوخه إلى القليل وذلك القليل هم أهل الله المخلصون نفعنا الله ببركاتهم، وأما غير المخلصين وإن كانوا علماء وصالحين غايتهم يحوشون الناس إليها ولا يمكنوهم فيها كل التمكين، لأن التمكين في الفطرة مقام لا يمكن التعبير عنه باللسان ولا الجولان فيه بالفهم والعقل وتصاور الظنون وتخييل الأفكار هذا كله منزه عنه، ومن زعم أنها تدرك بشيء من أوصاف الخلق أو العقل فهو جاهل بها على التحقيق، إذ لا تعرف الفطرة إلا بها أي بنفسها ولا توصف إلا بها لأنها من أسرار الله تعالى قال جل من قائل ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الروم: 30] معناها والله أعلم لا تبدل هذه الفطرة الشريفة ولا تتغير بما يحدث فيها من أوصاف النفوس بل هي في حفظ الله تعالى وإن تاهت النفوس عن حقيقتها فلها نفوس مخصوصة بحملها ولولاهم لذهب الله بسائر الوجود، ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَـٰفِرِينَ ﴾ [الأنعام: 89] وهم أهل الفناء في الذات أهل الفطرة المحضة الذين تخلصوا من بواقي السوى ومِنْ أسرارهم وعلومهم وأخلاقهم وأحوالهم يمتد أهل الظواهر جميعا منهم وهم الخلفاء المحمديون شربوا من عين النبوءة من سر مولانا محمد صلى الله عليه

وسلم وهو المنبع الخارج من حضرة الله عليهم الصلاة والسلام، فكلهم من سِر هذا النبي الكريم شربت بواطنهم، ومنه تأدبت ظواهرهم، ومن سره عليه الصلاة والسلام وجـــدت أجسامهم وأرواحهم وكذلك سائر الموجودات المُلكية والملكوتية، فكل من تحقق بسره وغاية قدره رأى صورته الشريفة في نفسه وفي سائر الكائنات وهذا هو القرب التام، ومن هذا المعنى قال بعضهم رضي الله عنهم من زعم أن محمدا قد مات فقد كفر، وقال آخر واللهِ لو حجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ولا أقل من ذلك ما أعددت نفسي من المسلمين، وقال آخر يزعم أصحاب مولانا محمـــد صلى الله عليه وسلم أنهم قد خصوا به دوننا والله لنزاحمهم فيه حتى يعلموا أنهم خلفـــوا رجالا بعدهم أو كما قال، وهذا القرب قرب المعاني وهو القرب الحقيقي، ولا فرق بين الصحابة رضي الله عنهم ومَن هذا حاله سوى رؤية جسده الشريف صلى الله عليه وسلم، ومَثل هذا الجسد الشريف من حُسنه وسره صلى الله عليه وسلم كرجل لا حَدَّ له بجماله وأظهر للناس من حسنه طرفا وستر الباقي، هذا مثال ضربناه لأهل الذوق والأمر أعظم من ذلك فافهم، وعليك بالأدب تنال من سره العجب.

ومن آداب المريد أن لا يعتمد على شيء دون فضل الله ورحمته وإن كانت له علوم وأحوال ومقامات وكرامات وأسرار لا تعد ولا تحصى، إذا وقف مع شيء من ذلك حجبه عن الله سبحانه أحب أم كره، وينبغي أن لا يرى نفسه مع الله في حال من الأحوال سواء وافق الشرع أم لا، إذ لا بد من تجلي الظلمة وتجلي النور ليتميز ســـير السائر، فالصادق العالم لا وقوف له مع شيء سوى مولاه، والصادق الجاهل يفـــرح بحال النور ويحزن بحال الظلمة وذلك لجهله بالمتجلي سبحانه، والتجليات هـــي التعرفات، فالحق تعالى أبدا يتعرف لعباده، فمنهم من يعرفه في الشرائع وينكره في الحقائـــق، ومـــنهم مـــن يعرفه في الحقائق والشرائع وهو الذي لا يشغله عن الله شاغل، ومنهم من يجهله في الحقائق والشرائع ولا يشغله عن نفسه شاغل، والعارف الكامـــل مَحْزُوم[1] مع الشرائع ظاهرا عارف بالله في الحقائق والشرائع فإذا وردت الحقائـــق قال هذا تجلي اسمه القاهر العادل وإذا وردت الشرائع قال هذا تجلي اسمه

(1) محزوم: أي حازِم.

اللطيف الكريم وهو مع المتجلي لا مع التجليات، ومرادنا بالحقائق التعرفات الجلالية، ومرادنا بالشرائع التعرفات الجمالية، لأن التعرفات الجمالية فرْق والنفس فرْق تحب ذلك، والتعرفات الجلالية جمْع والروح جمع تحب ذلك، لأن النفس والروح مثل زوجتين عند الرجل وهو القلب فإذا مال للواحدة منهما هجر الأخرى وإذا هجرها كرهته، فإذا هجر النفس لا يعمل لها إلا ما تكره حتى تموت أو تتطلق منه وموتها أحسن تقول الناس: جُزْ على قبرها ولا تجزْ على دارها، والحقائق هي الثقيلة على النفس، وفي الظاهر تنقسم الحقائق على قسمين حقائق مباحة وهي مرادنا وحقائق مكروهة ومحرمة لا يقع فيها إلا أهل النفوس الأمَّارة وإن وقع الصديق في شيء من ذلك تولاه مولاه إما بتوبة ظاهرة وهو ألا يعود أبدا إن كان من أهل الخدمة وإما بتوبة باطنة وهو ألا يعود لرؤية سواه سبحانه أبدا إن كان من أهل النظرة وهذا مرادنا بهذا حيث قلنا، ولنرجع إلى ما كنا بصدده من الاعتماد على الله دون شيء سواه فنقول لا يصح الاعتماد على الله وحده إلا بعد القيام بالشرائع لأهل الشرائع وبعد القيام بالحقائق والشرائع لأهل الحقائق وإلا فالاعتماد على غير هذا الوجه كمن يبني على الماء، وإذا حصل الاعتماد على الله بالقلب لا بد أن يظهر أثره في الجوارح وهي الأعمال الصالحات، وبقدر الاعتماد تتنوع الأعمال في الظواهر، فإذا حصل الخوف من الله انقهرت النفس عن المعاصي، وإذا حصل الرجاء قامت بالطاعة، وإذا حصل التوكل قامت للزهد، وإذا حصل الحب قامت للورع، وإذا حصل الرضا قامت للحلم، وإذا حصل الحياء قامت للتواضع، وإذا حصل اليقين قامت للسخاء، وإذا حصل العلم قامت للأدب وهو أفضل سائر المقامات، فعليك بالعلم والأدب فإن سائر المقامات تطلبك وتعشقك ولا ترتاح إلا إذا وصلتك والسلام.

ومن آداب المريد الكامل إن كان له فتوح أي إتيان رزق في داره إن كان له دار، وإلا ففتوحه وقت اضطراره لا غير، فإن كان لمن له دار وأهل وإخوان مثلا وكان عنده قوت ثلاث أو شهر جاءه في دفعة واحدة فليجعله لله وليطعم به كل من جاءه محتاجا، وإن قالت له نفسه احتل[1] على هذا فلا يسمعها وليزد على يديه،

(1) احتلْ: أي احتفِظْ.

ولا ينبغي له أن يزيد الفتوح على الفتوح فإن الواجب عليه إخراجه قبل إدخاله إليه، فإذا تغافل عنه حتى دخل فلا بد من ركون النفس إليه وإن ركنت إلى الشيء فلا بد من طلبها لشيء آخر، وإن لم يفق[1] الفقير حتى أعطاها ما طلبت قامت للتدبير، وإذا قامت للتدبير أفتنته والفتنة أشد من القتل، إلا إن كان هذا الفقير غائبا عن الداخل والخارج والزائد والناقص وإنما يتولى ذلك من يقوم بأمر داره أو زاويته فمثل هذا لا يضره الادخار لأنه مأمون من فتنة التدبير والاختيار الناشئة عن كثرة الادخار، فما منع الناس من الأسرار سوى التدبير والاختيار وسببه طلب الزيادة، ولو حصلت القناعة لسقط التدبير، ولو سقط التدبير لجاءت الفكرة بالعلوم، والفكرة واحدة إن اشتغلت بها النفس أخذتها وتاهت بها في شهواتها، وإن أخذتها الروح ملكتها وتاهت بها في شهواتها وهي الوصول، والفكرة هو السر المخصوص به العقل لا يعطيه الله إلا لمن أحبه وبها يكمل العقل ويصير عقلا وبها تعرف الناس قدرها وبها ينكشف للروح أمرها وهي من سر الادراك، ولنرجع للذي أردناه واعلم أنه لا ينبغي للمريد الصادق أن يدخل الفتوح على الآخر كما قلناه، ولا ينبغي له أن يزيد على الكفاية في الوقت، وقدر الاحتياج للصادق أولى له مع كماله إذ فيه من الأسرار ما لا يعبر عنه، لأن الحس ضد المعنى، ما يزداد للصادق في الظاهر ينقص له من الباطن ولو كان في غاية الوصول ولا يصح هذا أي الزيادة على الكفاية في الوقت إلا لشيخ عارف يأخذ عن الله ويعطي لله ومع هذا إذا كان مشهورا بالزيارة للعام والخاص، وأما إذا كان لا يعرفه إلا الخاصة فالواجب عليه التمسك بالفاقة أبدا سرمدا لأنها حال مولانا محمد صلى الله عليه وسلم وهو أولى بحاله من كل أحد إذ هو الخليفة وقد كان مولانا محمد صلى الله عليه وسلم يعرفه الخاص والعام وكان لا يدخر شيئا لغد وحاله مشهور معلوم لا يخفى عن العامة فضلا عن الخاصّ. العجب ممن يدعي التمسك بالسنة المحمدية وهو يهتم من الرزق ويخاف من الفقر، وقد قلت لبعض الإخوان: الفقير الذي يخاف من الموت والفقر ليس بفقير، وينبغي

(1) يَفِق: أي يستيقظ ويتنبه.

للفقير الصادق أن يفتح على نفسه كل يوم وليلة خمسة أبواب: الأولى القناعة بما هو أسهل، الثاني التوكل على الله، الثالث الإيثار بالقليل أو بالكثير، الرابع السخاء بما عنده، الخامس ترك الطمع لما في أيدي الناس. واعلم أن من سد باب الفقر على نفسه فقد سد عليها باب الغنى، ومن سد باب الذل فقد سد باب العز، ومن سد باب الضيق فقد سد باب التاسيع، ومن سد باب الوحشة من الخلق فقد سد باب الأنس بالله، ومن سد باب الجوع فقد سد باب الشبعة، ومن سد باب الصمت فقد سد باب الكلام، والأشياء كامنة في أضدادها، ولا يعرف هذا إلا أهل العلم بالله، وأما ساداتنا أهل الظاهر نفعنا الله ببركاتهم لا يعرفون إلا الصلاة والصوم والتلاوة والحج والذكر اللساني وغير ذلك مما هو ظاهر وأما تصفية النفوس من الأدناس لتعرف مالك الناس فلا يعرفونها ولذلك صاروا جُهالا بحقيقة المعرفة، لأن حقيقة المعرفة موت النفوس وذهاب عالم المحسوس وهذا لا يكون إلا على يد عارف بالله حق المعرفة، وإلا فلا سبيل له وإن حضر شيخ التعليم، لأن شيخ التعليم يقفك على الحدود، وشيخ التربية يدخلك حضرة الشهود، وشتان ما بينهما فافهم.

ومن آداب المريد الصادق أنْ يلزم بابين من أبواب الله العظام الذي كل من قصدهما دخل في ساعة واحدة وهما **الثقة بالله والاكتفاء بعلمه سبحانه**، فمن وجد في نفسه هاتين المزيتين فليعلم أنه من أكابر أهل الله نفعنا الله ببركاتهم، وينبغي لطالب الإخلاص أن يريض نفسه عليهما كما يريضها على كثير من أنواع العبادات، وقد يظهر لي والله أعلم أن **كل عبادة خالصة راجعة إلى هذين الأمرين** فإن كانت العبادة نازلة عليهما فهي لله خالصة، وإن كانت خلاف ذلك فالإخلاص بعيد، فمن وثق بربه لا يلتفت للرزق، ومن اكتفى بعلمه لا يلتفت للخلق، فإن كان هذا في الفقير فهو محبوب عند الأمير وهو المِلك القدير، واللهِ ما قطع كثيرا من السائرين عن سيرهم سوى هم الرزق وعدم الاكتفاء بعلم الله الحق، فكل من اكتفى بعلمه ووثق بربه من الفقراء الطالبين للفناء في الذات حصلوا على مقصودهم في الحين وتفيض عليهم العلوم حتى تكل عنها الفهوم كما كلتْ فهوم موسى عليه السلام عن علم الخضر عليه السلام وذلك دليل خصوصية الخضر عليه السلام لقول مولانا له مخبرا عن حاله

﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف: 65] ومن أجل ذلك تواضع له نبي الله سيدنا موسى عليه السلام مع جلالة قدره وارتفاع أمره عند ربه حتى قال له ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ [الكهف: 66]، وهذه مزية العلم خص بها البعض دون البعض، وهذه مزية عظيمة لا يشك فيها إلا الجاهل بها ولكنها لا تقتضي التفضيل على الرسالة والنبوءة، وأما على أهل الولاية فإنها تقتضي التفضيل لا محالة لأنها خصوصية زائدة على مطلق الخصوصية، إذ كثير من الأكابر لم يعطوا هذا العلم تفصيلا وإن كان سائر أهل الفناء أعطوه إجمالا، لكن التفضيل إنما هو لمن أعطيه تفصيلا وهو من طريق الأحوال أعني من طريق الجذب لا من طريق السلوك، فهو في الشريعة الظاهرة التي حدها العقول المعقولة منكور، وفي الشريعة الباطنة التي خرجت عن طور العقول مغرور، لأن شريعة أهل الفناء في الذات حقيقة لفنائهم عنهم وعن توهم ما سوى الله تعالى وهي في الحقيقة على وفق الشريعة الظاهرة، فالإنكار الذي وقع على صاحبها من جهة الظاهر، والحكم للظاهر على الباطن قال عليه الصلاة والسلام (أمِرتُ أن أحكم بالظواهر والله يتولى السرائر) فافهم قوله عليه الصلاة والسلام (والله يتولى السرائر) لأن السرائر لا سبيل للتسبب فيها لأنها وراء العقول وهو أمر خارج عن العبودية وإلى ذلك أشار الخضر عليه السلام بقوله ﴿ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾ أي لأن هذا الذي طلبته وراء العقول والفهوم التي هي من صفة العبد، فالشرائع أمر ظاهر، والحقائق أمر باطن، والباطن لا سبيل للعبد عليه إلا بمحض الكرم، وإن كان للحقيقة شرائع ظاهرة لكن منكورة عند أهل الظاهر وفاعلها في الحقيقة مأخوذ عنه لكونه محكوم عليه بحال أهل الحقيقة وهو لا يشعر ولا يزال هكذا حتى يفتح الله عليه بالعلم به فيرجع عليه عقله ونفسه فيصير حاكما عليهما بالعلم بالله فتراه عقلا ولا عقل ونفسا ولا نفس فإذا رأيته في الشرائع قلت عبدا وإذا رأيته في الحقائق قلت حرًّا فافهم.

ومن آداب المريد الصادق الذي هو صاحب التجريد أن لا يخلط تجريده بالأسباب قبل الرسوخ والتمكين في الفناء، فإن فعل ذلك فقد انحط من رتبة القرب

إلى رتبة البعد، لأن التجريد مقام أهل المحبة، والأسباب مقام أهل الخدمة، وكل من رجع إلى الأسباب قبل فنائه ما رجع إلا بإذن نفسه ولا يجيء منه شيء لأنه ظهر كذبه، تقدم للجهاد وهرب من العدو حيث رآه، والتجريد مُرّ على النفس ثقيل عليها لا تستطيع أن تراه في غيرها لا سيما تفعله بنفسها، والله إذا لم تكن الرُّجلة الكبيرة ما حصلت منه قليلا ولا كثيرا، والتجريد لا يصدق على المرقعة فقط بل التجريد كل ما يثقل عليها فيما هو مباح، إذ كل ما يثقل عليها هو صلاح للقلوب، وبصلاح القلوب يكون القرب، وهذه الطائفة المدار عندها على صفاء القلوب لا على صفاء الجوارح، لأن القلب إذا صفى من الدنس صفت الجوارح قال صلى الله عليه وسلم: إن في الجسد مضغة إذا صلحتْ صلح الجسد كله وإذا فسدتْ فسد سائر الجسد ألا وهي القلب، ولا ينبغي للفقير أن يرجع عن التجريد قبل صفاء قلبه، وصفاءُ قلبه هو تمكنه من الفناء ورجوعه للبقاء بشهادة شيخه أو أهل الفن له، إذ في الرجوع عنه قبل الصفاء مذلة كبيرة بين أهل التجريد وأهل الأسباب، فلا يقبل أسبابه أهل الأسباب لأن الله عالم بأحوال عباده والله تعالى هو المتجلي في كل شيء، وكذلك أهل التجريد إذا رجع إليهم بغير صدق أنكروا حاله كما قلنا في أهل الأسباب ولا يقبلوه ولا يقروه إلا إذا رجع بصدق الإخلاص لله، وأما المتجرد الذي ينزل للأسباب بعد الإخلاص وصفاء قلبه لتستر تجريده واتساع نظره في معرفة ربه فهو الذي يقره هؤلاء وهؤلاء لأنه بالله في هؤلاء وهؤلاء وليس هو بنفسه. واعلم أن الولي الكامل إذا رأيته في الأسباب فهو في التجريد، وإذا رأيته في التجريد فهو في الأسباب، فلا أسباب ولا تجريد، فتجريده مطالعة المعاني، وأسبابه الأدب مع المعاني في الأواني، هذا هو تجريده وهذا هو أسبابه، ولا تظن خلاف ذلك، ولا تكن جاهلا بأحوال الكاملين. واعلم أن من الواجب على السائر لحضرة الله تعالى تركه للسبب إن أراد الدخول من باب التجريد، وإن أراد الدخول من باب الأسباب فليأخذ من الدنيا ما لا بد منه، ولا يكن كعامة الناس ولا يقرب من حالهم فسَبَبُهم خارج عن الكتاب والسنة وذلك لشدة حرصهم، والحرص على الشيء من الاعتماد عليه، ومن اعتمد على غير الله تعالى في شيء دنياوي أو أخراوي فهو مشرك،

والأسباب الموافقة للكتاب والسنة يكون بها الزيادة لله لا محالة لأنها من العبادة، وأسباب أهل زماننا لا يتقرب بها أحد إلى الله إلا قليل وذلك لخروجها عن الكتاب والسنة كما ذكرنا، وبالجملة رفض الدنيا من القلوب وترك التسبب فيها بالجوارح فرض عين على طالب الوصول سواء دخل من باب التجريد أو من باب الأسباب، وأما المتجرد فهو أولى وأحرى فإذا تسبب ولو قليلا يقدح في مقامه لأنه مقام تجريد، والتجريد حال أهل الصُّفَّة من أصحاب مولانا محمد صلى الله عليه وسلم، ومقام أهل الصفة أعلى سائر المقامات رضي الله عنهم. واعلم أن ترك التسبب مع تعلق القلب بالله تعالى عبادة كبيرة من غير عبادة وإن كان صاحبه لا يقوم إلا بالفرض، لأن الأسباب تشغل القلب عن الله لا محالة وإن قلتْ، وشغل القلب بالقليل هو الكثير، لأن القلب واحد لا يقبل إلا الواحد، فإن شغلته بما هو أهل له وهو الله عز وجل فذلك قدره وشرفه، وإن شغلته بشيء آخر فقد جهلت قدره وقدر خالقه سبحانه، والقلب هو الفكرة النورانية العلامة الدراكة وهي سر العقل، والعقل سر النفس، والنفس سر الروح، والروح سر الله تعالى. واعلم أن الفكرة من أشرف ما يكون ومن ألطف ما يكون ومن أرق ما يكون ومن أصفى ما يكون، فصاحبها الذي عرفها وطلب معرفتها مهما التفت إلى شيء طارت من يده أحب أم كره، ولذلك قلنا لا يناها إلا من لا شغل له ظاهرا ولا باطنا، فإذا وجد الفقير من يعرفه بها فليسمع له بقلبه وجوارحه وليتهيأ لها كل التهيئ وليترك أسباب الدنيا كل الترك وإلى هذا المعنى الإشارة بسرِّ قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ﴾ [الجمعة: 9] فافهم لأن طالب هذا السر الذي ذكرناه كمن وجبت عليه الجمعة وأتى إلى المسجد بعد أن توضأ وتطيب ودخل المسجد: هل يحل له الخروج منه للبيع والشراء ؟ حرام عليه بالكتاب والسنة وإن خرج سمي منافقا أو فاسقا، وصاحب التجريد أعظم منه بكثير لأن هذه الصلاة متصلة وصلاة الجمعة منفصلة ساعة واحدة، وصلاة القلوب واجبة على المؤمنين كلهم من غير عذر لهم فيها وهي مع الأنفاس واللحظات، ومن اشتغل بها لا يشتغل بشيء سواها ولذلك تكفل الله لأهلها بالأرزاق تكفلا خاصًّا لأجل هذا المعنى ولولا

اشتغالهم بها على الدوام لما تكفل لهم بشيء كيف يتكفل لهم بالرزق وهم يطلبونه بالليل والنهار، والله ما تكفل لأحد حقيقة إلا لمن هيأه سبحانه لهذه الحالة الشريفة والعطية النفيسة وانظر قوله جل جلاله ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ ﴾ [طه: 132] وقوله جل جلاله ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ﴾ [الذاريات: 56 - 58] وقوله تعالى ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ ﴾ [الطلاق: 3] وأسباب من هذا حاله وإن وجدت فهي عبودية متسترة بالسبب كما تسترت حرية مريم عليها السلام بالهز فافهم. واعلم أن منادي الصلاة ينقسم على قسمين: منادي الصلاة الحسية ومنادي الصلاة المعنوية وهي صلاة القلوب، فمنادي الصلاة الحسية معلوم وخصَّ الله في هذه الآية يوم الجمعة لما فيه من الشرف وفيه إشارة إلى الجمع، ومنادي الصلاة المعنوية هو الشيخ فلا يزال ينادي على الفقراء ويُعَشقهم في مولاهم ويحببهم له ويحببه لهم حتى ينسوا نفوسهم وأهواءها وحمولهم وأثقالها، ولذلك يقول سيدي أبو مدين الغوث رضي اللـــه عنه:

فيا حاذي العشاق قمْ واحذ قائما وزمزمْ لنا باسم الحبيب ورَوّحْنا

ولا يزال هذا الشيخ يلاحظهم بهمته ويهذبهم بأخلاقه وينور قلوبهم بإشراقه ولا يزال يخليهم عن طبع البشرية ويحليهم بصفة الروحانية حتى يتقوى حالهم ويرق قلبهم ويفيض وجدهم ويكمل حبهم ويعلو أدبهم فيتركهم ومولاهم فافهم. وينبغي للفقير الصادق أن يسمع كلام شيخه بقلبه وجوارحه ليقرب عليه الفتح، ولا ينبغي له أن يكون كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون، وما طال الفتح على المريدين إلا من قلة الاستماع لا غير، ولو سمعوا لفتح عليهم بنفس ملاقاتهم مع الشيخ من غير شك، واعلم أن أساس كل وصف مذموم بعد ملاقاة الشيخ عدم الاستماع، ونرى الكثير يجتمعون بالشيوخ ولا يفتح عليهم ويقولون أين السر الذي كان عند الشيوخ لا نرى اليوم إلا أقل القليل، وما علم هذا المسكين مثلي أن السر اليوم أقوى من الزمان الذي تقدم والحمد لله على فضله وإحسانه ولكن غطاه قلة الاستماع، ولو

حضر الاستماع لهذا المسكين لحضر الاتباع، ولو حضر الاتباع لحضر الانتفاع، والسمع هو المقرون بالامتثال وإلا فلا، وعند الفقراء اليوم السمع هو سمع العلم وحفظه بالألسن وأما شروطه وأحكامه فلا شيء إلا أقل القليل، ولهذا لم تظهر الأسرار للكثير من أهل النسبة جعلوا السمع عندما تشتهيه نفوسهم وأما ما تكرهه فلا يلتفتون إليه ولا لمن يقوله لهم، والصادق في طلب الله تعالى هو الذي يكون عند أمر شيخه ونهيه وعند سائر الحق وأهل الحق ولا يرده على أحد ولا يتكبر عليه ولا على أهله لا سيما شيخه الذي أخرجه من الظلمات إلى النور، وينبغي ألا يتعدى نظره إن شاء أقامه في التجريد وإن شاء أقامه في الأسباب وإن شاء سَيَّره بينهما وهو أعلم بما يليق بكل من جاء لحضرته الشريفة، إذ كل من جاءه علم أنه جاءه بإذن من الله ورسوله كما له هو الإذن من الله ورسوله ولا يأتيه غالبا إلا من يقبل الخصوصية الكبرى والله أعلم، وأما الخصوصية الصغرى مثل علم الظاهر ومثل تربية أهل الظاهر نفعنا الله ببركاتهم ومثل أوراد أهل الظاهر وغيرهم فهذا كله لا يحتاج لإذن خاص، ولذلك أكدنا على هذا المريد الذي هو طالب للخصوصية الكبرى غاية التأكيد، إذ هي شيء كبير ومن لم يصدق في العلم لا ينال منها شيئا ولذلك قلنا غير ما مرة ولا ينبغي للفقير الصادق أن يزيد أو ينقص أو يفعل شيئا بلا إذن حتى يؤذن له أو يحصل على الإخلاص، ولا شك أنه إذا حصل له أذن له شيخه فيه، ولا يطمئن قلب المخلص بعد إخلاصه بشيء مثل إذن الشيخ إذ هم إبراهيميون، وإبراهيم عليه السلام طلب الشاهد من الحس على المعنى ليطمئن قلبه ولذلك قال (بلى ولكن ليطمئن قلبي). ولا ينبغي للفقير الصادق أن يطلب الإذن من شيخه في التربية والزيارة والزاوية وغير ذلك: كل ذلك سوء أدب على الله وعلى الشيخ، ولا ينبغي له أن يطلب منه سوى معرفة نفسه، فإذا عرف نفسه عرف ربه كما في الحديث الشريف، ومعرفتها هو أن تعرف وصف الروح من وصف النفس، ووصف الروح هو المحمود، ووصف النفس هو المذموم، أو نقول وصف النفس هي العوائد والشهوات، ووصف الروح ترك الشهوات والعوائد، فإذا زالت الشهوات والعوائد انحاشت النفس لحضرة الروح وصارت على طبعها، ولا منع النفس من سيرها على سير الروح إلا العوائد والشهوات، وبهذه الشهوات والعوائد سُميتْ النفس نفسا بعد

أن كانت روحا روحانية ربانية ملكوتية عادت بهذا الطبع نفسانية أرضية مُلكية، ومن أراد أن يفك سجنها ويطلق قيدها مهما ظهرت له صورتها تخلى عنها، ولا يقنع بالعلم لأن العلم صيد والعمل قيده، ولا يحسب الصياد سوى ما أخذ من الصيد، وأما الذي يراه في السماء وفي الأرض فلا يحسب عليه، وكذلك إن ظهرت له صورة روحه زاد إليها ولا يقنع بالعلم، وصورة الروح الوصف المحمود، وصورة النفس الوصف المذموم، وهذا هو معرفة النفس ومعرفة الروح، وأما الأعمال الظاهرة مثل الصلاة والصوم وغير ذلك فقد يقدر عليها بنفسه الفقير وغيره، وأعمال القلوب لا يقدر عليها بنفسه وإنما يقدر عليها بربه، فإن كانت النفس حية يكون ثقيلا عليها حاملة له رغما على أنفها، وإن كانت ميتة كانت راضية بعبودية الله مرضية بمحبة الله راضية بوصف العبودية مرضية بوصف الحرية.

ومن آداب المريد الصادق أن لا يتعرض لملاقاة الجبابرة، وإن تعرضوا له وقصدوه إلى داره فالواجب عليه أن يفر منهم فرار الشاة من الأسد وإن ألحوا عليه فليخرج من طاعتهم إلى طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، إذ كل من تعرض لهم فتنوه عن دينه أو سرقوه وسلبوه، ولا ينجو من ميل قلبه لجاههم ومالهم إلا الرجل القوي. كيف يغتر الصادق بجاههم العاري ومالهم الفاني، فمالُ الفقير الصادق الفقرُ وجاهُه الذل، وإذا دخل وصف الربوبية الذي بأيديهم على وصف العبودية الذي بيده أفسدوه له عبوديته أحب أم كره وإلى ذلك الإشارة بسر قوله تعالى ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [هود: 113] ومعنى ﴿ ظَلَمُواْ ﴾ بأخذهم وصف الرب وتركهم لوصفهم وهذا والله أعلم من أعظم الظلم، ومعنى ﴿ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ هو أن ينسرق قلب الفقير لجاههم ومالهم فيفسد قلبه بحب ما سوى الله بعد أن كان هذا القلب مشغولا بحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وأي نار أعظم من سلب القلوب من محبة المحبوب بعد اشتغاله فيها، لأنه لا يعرف العذاب إلا من ذاق الرحمة، فالفقير الجاهل يريد أن يستعز بعزهم لجهله بعز الله، ولو علم ما في الذل لله من العز لما طلب سواه، ولو علم ما في الفقر لله من الغنى لما طلب سوى الفقر، وهذا معنى قوله سبحانه ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [هود: 113] يعني ما لكم طريق إلا من العبودية وأما إن جئتم من جهة الحرية فليس

لكم إلا الذل في الدنيا والآخرة وهذا معنى قوله سبحانه ﴿ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [هود: 113] يعني بوصف الربوبية، وانظر كل من هو عزيز بنفسه تجده ذليلا في عزه أبدا أحب أم كره، ومن هو ذليل لربه فهو عزيز في ذله أبدا أحب أم كره فافهم، واعلم أنه ما سكن إليهم أحد بجوارحه إلا وافتتن قلبه أحب أم كره وهم عين الفتنة، وكل من افتتن قلبه تشتت فكره، وكل من تشتت فكره تخبل عقله، وكل من تخبل عقله نسي دينه، ومن نسي دينه سكنه النفاق والمداهنة والتصنع والرياء والطمع والحسد والبغض لأهل الله، واعلم أن كل من رأيته يريد معرفتهم من المريدين لا غيرهم فاعلم أنه غاش لنفسه، لأن أهل الرياسة نزلوا وصف الربوبية، والمريدين نزلوا وصف العبودية، ومن نزل وصف الربوبية هو المالك لمن نزل وصف العبودية أحب أم كره، لأن الربوبية قاهرة للعبودية على كل حال، وهؤلاء نزلوا منازل الرب والفقراء نزلوا منازل العبيد كما قلناه فافهم يا أخي وفر منهم جهدك قبل إخلاصك وبعد إخلاصك، ولا تشهر نفسك والزم الخمول، ولا تنظر لمن تلقاهم من أهل الكمال فإن الكاملين تجلى عليهم الحق سبحانه باسمه العزيز ظاهرا وباطنا ولذلك يغلبون من نزل عندها ظاهرا فقط، لأن هؤلاء الكرام نزلوا فيها بالله وغيرهم نزلوا فيها بنفوسهم، ولا يقهر صاحب القوة الحسية سوى صاحب القوة المعنوية ظاهرا وباطنا كما ذكرنا، فالقوة الحسية قوة مجازية، والقوة المعنوية قوة حقيقية، والحكم لصاحب الأصل على صاحب الفرع لكن بشرط أن يكون صاحب الأصل مالكا للأحوال وإلا فيُغلب لا محالة. واعلم أنه لا يصحبهم إلا فقير جاهل، أو فقيه محب للدنيا والجاه، أو صالح لا شيء عنده من الاكتفاء بعلمه، أو عارف بالله مالك لسائر الأحوال قاهر لهم أحبوا أم كرهوا وهذا والله قلَّ أن يوجد في زماننا، فاحذر أيها الفقير صحبتهم وصحبة المتصوفة الجاهلين وهي أقبح منهم بكثير وهم يخرجون من حضرة المشايخ وغيرهم يأخذون الكلام منهم ويمنعون نفوسهم من العمل فتنطمس بصيرتهم ويظهرون بالمشيخة وهم ليسوا من أهلها، وسببُ ذلك حب الجاه والرئاسة والمال وهذا من أعظم حب الهوى، فالله يعصمنا من الزلل ويحفظنا من العلل آمين، فالجبابرة الغافلون والمتصوفة الجاهلون هم الأموات المشار إليهم بقوله صلى الله عليه وسلم: (لا تجالسوا الموتى فتموت قلوبكم، قيل من الموتى يا رسول الله، قال

المحبون للدنيا الراغبون فيها)، فكل من صحبهم مات قلبه، ويليهم في طمس بصائر الناس القُرَّاء المداهنون فصاحبُهم لا يخرج من عندهم إلا معمورا بسوء الظن بعباد الله والتكبر على الضعفاء والمساكين وترك لا أدري التي هي نهاية العلم، وصاحب المتصوفة الجاهلين لا يخرج من عندهم إلا مملوءا بالدعوى والرضا عن النفس والبدعة في الدين، وأما الجبابرة الغافلون فلا يخرج صاحبهم من حضرتهم حتى يكون متكبرا متجبرا على عباد الله قاسي القلب غليظ الطبع رافعا لنفسه فوق رأسه واضعا لروحه تحت قدميه معمورا بالطمع كل ما يرى يريد أن يأخذه لصاحبه.

ولما لقيت شيخنا الإمام الهمام، العارف بالملِك العلام، سيدنا ومولانا العربي بن مولانا أحمد الشريف المنيف الدرقاوي الحسني رضي اللـــه عنه ونفعنا ببركاته آمين بحضرة فاس حرسها اللـــه من كل باس عام ستة وتسعين ومائة وألف، وقد أخبرني بفضل اللـــه قبل قدومي عليه رضي الله عنه، والسبب في ذلك أنه كان هناك مع إخوان له في شيخه فانحرفوا عنه بعد موت الشيخ وادعى كل واحد منهم بالدعاوي الكثيرة، ومن جملة الدعاوي أن جعلوا الشيوخ منهم على وفق نفوسهم، وكان شيخنا رضي الله عنه ينصحهم ويذكرهم ويجلس لهم مع الباب الذي ينزلون فيها البْلاغي وكانوا لطف اللـــه بنا وبهم لا يقبلون منه المشيخة إلا أن كلامه كانوا يقرونه كثيرا لأن الحق لا يرده أحد، ولكن لما غلب الحسد على قلوبهم كانوا لا يسمعون منه شيئا بقلوبهم، ولو سمعوا بالقلوب لانقادوا إلى حضرة علام الغـــيوب قال تعالى ﴿ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ [الأنعام: 36] فلما أيس من هدايتهم خرج يوما بنية أن لا يعود أبدا إليهم، فبينما هو مار في بعض أزقة المدينة المذكورة وهو يقول في نفسه هذا المريض الذي بين يدي عالجته بكل العلاج إن كان للموت يموت وإن كان للحياة يحيى وقد تعذر من يصحبني في هذا الفن يارب، قال رضي اللـــه عنه فإذا بالنداء من قِبَل اللـــه تعالى يقول سيأتونك أهل هذا الطريق من البحار ويخلقون لك من الحجار، فما بقي بعد هذا إلا أيام قلائل وأنا عبد اللـــه قدمتُ عليه بإذن ولي من أولياء الله تعالى وذلك بعد أن تعلق قلبي بملاقات القطب الكبير وكنت أطلبه في كل سجدة إلا نادرا وكنت والحمد لله مشتغلا بذكر الله والصلاة والسلام على مولانا رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم تاليا لكتاب اللـــه

عز وجل معتزلا بنفسي في الخلا مصليا قائما وصائما وكان ذلك الولي يحبني غاية المحبة وكنت لا أرضاه شيخا فلما رآني تعلقت همتي بغيره وأردت المسير إلى مكة لكون الناس يقولون القـــطب الكبير هو بها أبدا فلما علم مني هذا الولي ذلك قال يا أخي هو بفاس عليك به وهو فلان الفلاني، فقصدته في الحين مسرعا فوصلت لفاس وسألت عنه فلم نجد له خبرا فلم أزل أفتش وأسأل عنه حتى وصلت إلى باب داره ونقرت الباب وخرج إليَّ رضي اللـــه عنه مسرعا فقبلت يده الكريمة وطرفه الشريف فقال لي من أين جئت قلت له يا سيدي من البحر فقال من أين من البحر فقلت من جبل أشَقَّـــر[1] فقال ما تريد عندنا فقلت أردت أن أكون ببركـــاتك من ملوك الآخرة فقال أعطيناك سلطنة الدنيا والآخرة، فدخل مسرعا للدار وقال لي ادخل فإن مثلك لا يترك خارج الدار، فأدخلني ورحب بي وأجلسني على سجادته التي كان يقعد عليها في خلوته فأطعمني وسقاني وجعل يحدثني ويوصيني، فمن جملة ما أوصاني به رضي الله عنه أن قال لي يا ولدي احذر من صحبة ثلاثة أصناف من الناس المتصوفة الجاهلين والقرَّاء المداهنين والجبابرة الغافلين، فما صحبتُ أحدا من هذه الثلاث إلى الآن والحمد للـــه رب العالمين، وكان رضي الله عنه في ذلك الوقت عليه مرقعة ما رأيت أهون منها في المرقعات وكان يظهر منها الكثير من جسده الأعلى رضي الله عنه وما رأيت في داره ما يساوي درهما سوى السجادة بسطها لي وزلافة[2] وإبريقاً لا غير، وكان مع هذا إذا فتح اللـــه عليه بشيء تصدق به ودخل على أهله بلا شيء، ففي مثل هؤلاء رضي الله عنهم قال رسول اللـــه صلى اللـــه عليه وسلم ما تركت لعيالك يا أبا بكر قال تركت لهم اللـــه ورسوله، وكان لا يعرفنا أحد في ذلك الوقت غير بعض إخوان قليلين من أهل فاس كانوا يعرفون شيخه وكانوا يجتمعون معنا بالنهار وبالليل يذهبون إلى ديارهم، وكنت في الزاوية وحدي أياما عديدة ففتح الله بعد ذلك في الإخوان والأحبة، وكنا في ذلك الوقت متصلين الذكر والمذاكرة وكنا لا نعرف الليل من النهار إلا بالآذان في الصومعات،

---

(1) جَبَل أشَقَّر: جبل يقع قريبا من مدينة طنجة، على ساحل المحيط الأطلسي.

(2) زلافة: سُلْطانِـــيَّة.

ومن شدة بقائه رضي الله عنه كان يتلقاني قرب المغرب برحبة قيس[1] وكان حالنا من بعد صلاة العصر نخرج لخدمة نفوسنا للتذلل بين أقراننا نسأل الفلوس من الحوانيت فإذا التقينا عند المغرب برحبة قيس نشتري ما نتقوت به في الوقت فيأتي إليّ صاحب الخبز أو البصل أو غيره فيشتري بأربعة فلوس أو بستة فلوس أو ما أشبه ذلك فيزيده قدر ذلك على القيمة وهكذا كنا أياما عديدة، وكان يدلني على السخاء وحسن الخلق والزهد أكثر من كل شيء، وكان يقول لي رضي الله عنه يا ولدي الرجل هو الذي يشتمه الناس كلهم اختيارا عن طيب نفسه وهو يفرح لذلك والشمَّاتة هو الذي يحب أن يشمت الناس كلهم لأن الرجال عملهم مع الله تعالى والشْمَايْتْ عملهم مع نفوسهم، وكان رضي الله عنه يحبني أشد من حبه لأهله وأولاده، وكان رضي الله عنه يقول والله واحد ما شَدّ لنا اكتافنا في الله مثل محمد بن أحمد البوزيدي، وبالجملة مدحه لنا كثير بقدر ذمنا وقبحنا وأكثر وأكثر والسلام.

ومن آداب المريد الصادق أن لا يجاور شيخه إلا إذا كان خادما له قائما بكل ما يحتاج إليه الشيخ من رعاية المواشي والحرث والحطب وسقي الماء وطحن الرحا وكنس الزاوية وحول الدار والارواء[2] وسائر ما يخدمه من المماليك وأكثر وأكثر لأن هذا طالب رضاء الحق، والمملوك طالب رضا الخلق، قلّ من المماليك من هو طالب رضا الحق في الخلق. أدب المملوك بالقهر على نفسه، وأدب الفقير اختيارا عن طيب نفسه، وشتان ما بينهما، هذا خادم أهل الأرواح بالأرواح، وهذا خادم أهل النفوس بالنفوس، هذا خادم عالم الصفات بنفسه، وهذا خادم عالم الذات بربه، هذا خادم عالم المعنى بالمعنى والحس حتى يتحقق له أن المعنى عين الحس، وهذا خادم عالم الحس بالحس حتى يتحقق له أن الحس عين الحس ولا معنى، هذا فاني في الخالق بالخالق، وهذا فاني في الخلق بالخلق، هذا فاني بالعلم في العلم، وهذا فاني في الجهل بالجهل، هذا فاني بالقرب في القرب، وهذا فاني بالبعد في البعد، هذا فاني

(1) رحبة قيس: تقع في مدينة فاس.

(2) الارواء: أي الإصطبل.

بالنور في النور، وهذا فاني بالظلمة في الظلمة، هذا فاني بالجمع في الفرق، وهذا فاني بالفـــرق في الجمـــع، هذا فاني بالفعل في الفاعل، وهذا فاني بالفاعل في الفعل، هذا مملوك لله، وهذا مملوك لنفسه، هذا مملوك للمـــعاني، وهذا مملوك للمحسوسات، هذا مملوك للجمال والجمالُ مملوك له، وهذا مالك للجمال والجمالُ مالك له، هذا مملـــوك للذات في الصفات والصفةُ مملوكة له بإذن الذات، وهذا مالك للذات في الصفات والصفة مالكة له بإذن الذات أحب أم كره، هذا فاني بعلم المعاني في المعنى ولا يـــزال حتى يرجع عين المعنى، وهذا فاني بعلم الحس في الحس حتى يرجع عين الحس، هذا فاني بعلم البقاء في البقاء ولا يزال حتى يرجع عين البقاء، وهذا فاني بعلم الفـــنا في الفنا ولا يزال حتى يرجع عين الفنا، هذا فاني بعلم الكمال في الكمال ولا يزال حتى يرجع عين الكمال، وهذا فاني بعلم النقص في النقص ولا يزال حتى يرجع عـــين النقص، هذا فاني بعلم التحقيق في التحقيق ولا يزال حتى يصير عين التحقيق، وهـــذا فـــاني بعلم الظن في الظن ولا يزال حتى يصير عين الظن، إلى ما لا نهاية له. واعلم أنه بقدر ما يقول الفقير لنفسه كن فتكون بقدر ما يقول لربه كن فيستجيب لـــه بفضله، ومن فضله على عبده أن ملك له نفسه، ومن عدله سبحانه في عبده أن جعـــل نفـــسه قاهرة له مالكة عليه سلطانة، والناس مقامات في ملكيتهم لنفوسهم وملكـــية نفوسهم لهم: فمنهم من تملكهم بالكلية ولا يتحرك معها قليلا ولا كثيرا وهم أهل الشر، ومنهم تارة بتارة وهم أهل الخير، ومنهم من قلَّ أن تغلبه وهم أهل الصدق، ومنهم من لا يعرفها كيف هي وهم أهل الوصول نفعنا الله ببركاتهم وجعلنا من أهل حزبهم وودهم آمين بجاه مولانا محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو سيد الأولـــين والآخـــرين. واعلم أن أهل العلم بالله الراسخون فيه لا يشهدون نفوسهم لفنائهم في ذات الله تعالى، ومَن دونهم في الرسوخ كل واحد بحسب مقامه، كما أن أهل المراقبة يشهدون وجودهم بوجوده لكن وجودهم ثابت بإثبات نفوسهم وهم في ذلـــك مقامـــات: فأهل العلم بالله تعالى لا يثبتون إلا ما هو ثابت وهي الذات الشريفة العالية المنزهة عن أوصاف الحدث، والذات إن ثبتت لا يمكن أن يثبت معها شـــيء بخـــلاف إثبات الصفات عند ساداتنا أهل الظاهر فإن الأشياء ثابتة عندهم

موجـــودة في نظـــرهم قائمة بقدرة الله تعالى وثبوتهم لها بسبب ظهور فعلها لا غير ولولا ظهور فعلها ما عرفوها فمنهم من يرى الفعل عين الصفة فيفنى في الفعل لعلمه بأن ذلك هي الصفة، ومنهم من يرى الفعل أثر الصفة فيفنى في الصفة حقيقة فيكون باطـــنه فانـــيا في الله بلا علم وظاهره فانيا بنفسه وببقائها ثبتت الأكوان لكن تظهر أخلاق حميدة وكرائم وأحوال أثر فناء باطنه في الله، كما أن صاحبها الفناء في الفعل يقـــرب مقامه من هذا وله أخلاق أيضا وأحوال وكرامات لكن لا تلحق الذي فوقه وعند نفسه أنه في الغاية كذلك الذي فوقه وهكذا، كما أن المستشرف على الذات الـــذي هو أعلاهم يزعم أنه في الغاية ولذلك تراه ينكر الوسائط والأسباب التي بها دخـــل وإليها يخرج إذا انتهى أمره واستقر حاله وذلك الإنكار إنما هو لبقية النفس فـــتلك البقـــية هـــي التي تحجبه عن الكمال وإذا وصل واستقر في العلم بالله رأى الوسائط والأسباب بهم عرفت المعنى الشريفة وهم أنوارها وأدلتها عليها بها لا معها فيـــتحقق ويتيقن أن لولا ظهور أثرها منها عليها لا معها لما عرف قدرها ولبقيت كنزا مطلسما فأولُ ما يظهر له وجوده ومع ثم سائر الموجودات بالله لا بها فيتأدب مع وجوده ومع وجود الكائنات ولا يرى أدبه معها بنفسه بل ذلك الأدب بربه إذ لا نفـــس له من حيث لا وجود له، وهذه العبارة لأرباب الأذواق لا غير، إذ لا يفهم ذلك سواهم ولا يعرفه غيرهم فافهم.

ومن آداب المريد أيضا أن لا يقطع زيارة إخوانه في ربه ولا يحقر صغيرهم ولا يهمل فقيرهم ولا يرفع نفسه فوق جاههم فليَسِرْ بسيرهم، وينبغي له أن يعظم الصغير ويكرم الفقير ويعلم الجاهل ويتأدب مع المسيء منهم إذ بذلك يسير هو ويسيرهم، وينبغي للزائر أن يترك الطمع من حيث هو ويقصد بزيارته وجه الله تعالى إذ بذلك ينشرح قلب الزائر والمزار، واعلم أنه ما طمع عبد في عبد مثله إلا فسدت الصحبة وانقطعت المودة ووقع الاغتياب في بعضهم بعضا والتشارر والحسد والبغض والتكبر على بعضهم بعضا، وهذا كله بسبب الطمع، والطمع من أعظم حب الدنيا، والطمع هو المفرق بين الأحبة، فمثل المحبة كالنار الحامية والطمع كالماء البارد، والماء والنار لا يجتمعان قط، أو نقول مثل المحبة كالبارود الرفيع والطمع كالنار مهما

التقى هذا مع هذا أعني النار مع البارود ذهب البارود وبقيت النار إلى غير ذلك، وبالجملة صاحب الطمع لا ينتفع أحد بعلمه وإن علمه للغير ولا ينتفع بعمله ولا بحاله، لأنه على حرف إن أخذ به حاجته فرح وإن لم يأخذ به حاجته ذهب مذموما مدحورا، وكيف يكون النفع بعلم من هذه حالته أو بعمله أو حاله، إنما النفع لمن يقصد به وجه الله سواء علمه للناس أو عمل هو به وسواء ذموه عليه أو مدحوه وسواء عملوا به أم لا. الفقير الصادق المتجرد المنقطع عن الأسباب إن كان به حاجة فليصبر حتى يفتح الله بها عليه، وإن كان ولا بد وضاقت عليه نفسه فليشاهد الحق في الخلق ويمد يده للسؤال افتقارا لله واحتقارا لنفسه فإن أُعطيَ شيئا أخذه من يد الله والخلقُ حكمة مستور بها سره سبحانه وإن منع رأى أن الله منعه من قوت الأشباح ليزداد له ذلك في قوت الأرواح وهو أحسن وأحسن، ولا يحرم من العطاء في حالة المنع إلا الجاهل الذي يرى العطاء من الخلق وأما الذي يراه من الحق سبحانه فلا يراه إلا عطاء له في كل حال، كيف والحق سبحانه سمى نفسه الكريم وحاش من هو وصفه هذا على الدوام أن يحرم عبده هذا لا يكون قط، واعلم أن العبد إذا حرم فليعلم أنه من نفسه وأنه لا يعرف إلا العطاء الحسي الذي هو من الخلق كما قلناه وإن كان يقول المعطي هو الله، فلو علم المسكين مثلي أنه هو المعطي لرآه المعطي في منعه سبحانه، ولكن إذا أعطاه شهوة نفسه قال هو المعطي وإذا منعه وأعطاه في المعنى قال في حق نفسه هو المحروم فيرفع الله عنه نعمته الباطنة لجهله فيبيت ويمسي في الهم والغم فافهم عنه يا مسكين. واعلم أنه إذا منعك أعطاك، وإذا أعطاك ربما أعطاك وربما منعك، ولا يعطي الله ظاهرا وباطنا إلا لعبد محبوب كما أخبر عن نبيه سليمان عليه السلام بقوله سبحانه وتعالى ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٩﴾ ﴾ [ص: 39]، وقد أعطى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم أكثر من هذا فقال (أفلا أكون عبدا أجوع يوما وأشبع يوما) أو كما قال صلى الله عليه وسلم، وانظر رحمك الله إمام العارفين وسلطان الواصلين ورحمة العالمين كيف اختار العطاء في المنع بعد أن قال له مولانا جل جلاله (لا أنقص لك شيئا مما أعطيتك) أو كما قال له سبحانه لهذا النبي الكريم العظيم القدر والجاه عند مولاه اختار العبودية إذ هي

عين الشرف وهي المقام الأعلى الذي خصه الله بتمام كماله، فكل الأنبياء والأولياء أخذوا النصيب من هذا المقام وبه صاروا أنبياء وأولياء، وهذا النبي الكريم أخذه بتمامه، وكل الأنبياء والأولياء بقي فيهم وصف الحرية إلا نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لم يبق فيه منها قليل ولا كثير وهذه الحالة لا يطيقها أحد سواه صلى الله عليه وسلم ولذلك كان هو سلطان الأولين والآخرين، فكيف بك أنت يا مسكين أعطاك الله العبودية قهرا على نفسك محبة فيك ورددتها على مولاك حيث جهلت قدرها، والله لو علمت يا مسكين ما في الفقر من الخير لقاتلت عليه مع أهله، ولو علمت ما في الذل من الخير لقاتلت مع أهله، وهكذا سائر أوصافك، إذ لولا أوصافك ما كنت أهلا للإيجاد، ولولا أن قام بها رجال كرام رضي الله عنهم لبقيت حتما في العدم فافهم، واترك الطمع كما قلنا وإن زرت أخاك في الله فزره لله، وقد تقدم على هذا المعنى كلام قبل هذا والله أعلم أو ما يناسبه، وقد ورد في فضل الزيارة أحاديث منها أن غبار أقدام الزائرين لله خالصا ترفعها الملائكة وتضعها على رؤوس الأسارى فتحن عليهم قلوب الكافرين ببركاتها، ومنها أن الله تعالى جل جلاله أوحى إلى نبيه داود عليه السلام يا داود اجعل عصا من حديد ونعلين من حديد وطفْ على الفقراء، وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: زر غِبًّا تزدد حبًّا، إلى غير ذلك مما ورد في فضل الزيارة، فعليك بها بعد ترك الطمع فيما في يد المزار، ولا بأس بالمزار إن كان عنده شيء أن يكرم به أخاه فهو من أحسن ما يكون، والبخل من أقبح ما يكون في الصوفي، ولا يكون الصوفي بخيلا قط لأن البخل وصف النفس، والنفس لا تكون عند الصوفي إن كان صوفيا وإن كان متصوفا أعني سائرا يكون تارة بتارة. واعلم أن ترك الطمع من الهمة العالية التي هي من شأن أهل الله رضي الله عنهم، والطمع من شأن أهل الهمة الدنية التي هي من شأن الغافلين، وعندي أن الهلوع هو صاحب الطمع وأنه يمسك ولا يعطي ولو كان يعطي لما طمع في أحد، والغالب على الطامع كله البخل وإذا رأيت الطامع يعطي فاعلم أنه لحظ وهذا ما ظهر فقلَّ أن يعطي صاحب الطمع لغير حظ قال جل من قائل ﴿ وَلَا

يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: 142] يعني قلَّ أن يعطي لله، والعطاء لله ذكر لا محالة، ولا يزول الطمع من صاحبه إلا بالقناعة والثقة بالله والإياس مما في أيدي الناس فافهم. واعلم أن من أعطى له شيء من أخيه أو من غيره بلا استشراف له ولا طمع ولا التفات من النفس قليلا ولا كثيرا فليأخذه ولا يرده فإنه كرامة من الله تعالى ولا سيما إن سبق نظر الله إليه قبل نظر النفس له فهذا أحل الحلال، وإن سبق نظر الخلق وليس للنفس استشراف ولا طمع في ذلك ولا التفات فالنظر لصاحبه: إن شاء رده لأجل رؤية الخلق وإن شاء أخذه لأجل الإياس مما في أيدي الخلق، والظاهرُ لي والله أعلم إن كان فقيرا أخذه وإن كان له شيء غيره تركه، وإن رده للأخ له في الله فليخبره لئلا يتألم، وإن كان عارفا بسياسة النفوس فلا يخبره لأنه يعرف علة الرد ويرد ما أعطى الأخ للأخ أو غيره من علة أخرى إذا كان المعطي فقيرا وحالته الإيثار فإنه يرده له ويجعله صدقة على صاحبه الذي أعطاه، وإن كانوا فقراء وأهل إيثار فليقسموا ذلك أنصافاً، وإن حضر في ذلك الوقت من هو أحوج منهم سواء كان من أهل الطريق أم لا فليدفعوها له، فمن عرف هذه السياسة نال كمال المعرفة بالله تعالى، اللهم اجعلنا من أهلها ولا تحرمنا من سرها بجاه سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله. واعلم أن الزهد في الدنيا هو أساس الزهد في النفس، والزهد في النفس هو أساس الزهد فيما سوى الله تعالى، ومن لا زهد له في الدنيا لا يطمع أن يزهد في نفسه، ومن لا زهد له في نفسه لا يطمع أن يرتفع عنه الحجاب، فافهم يا أخي، وأيس نفسك من الدنيا كل الإياس، ثم أيس نفسك من الجاه عند الخلق تنال بالفقر والذل أعلى المراتب، فإن لم تقدر عليها فعليك بالقناعة والمسكنة وحب المساكين والدنو منهم والجلوس معهم، فإنك تنال التواضع بتواضعهم وتنال الزهد بزهدهم، وأما إذا جالست الأغنياء وأهل الجاه والرئاسة فلا تطمع في خير من خير القلوب، واحمد الله إذا قمت بالأوامر الظاهرة، فاترك يا أخي علل نفسك واعتمد على فضل ربك، واعلق همتك بربك، واشتغل بمراعات قلبك، وقلْ ألله ألله ألله، ودم على ذلك فإنك ترى سر ربك.

ومن آداب المريد الصادق ألا يشتري من شيخه شيئا ولا يبيع له شيئا، وإنما يشتري منه العلم بالله تعالى ويبيع له نفسه لا غير، وكيف تبيع له وهو الغني بالله وأنت الفقير لله، وكيف تشتري منه الحس وأنت قصدته بنية شرائه منك ليدفع لك في ثمنه المعنى، فإن فعلت ذلك فقد بطل قصدك وطاح تعظيمك واحترامك لشيخك ورجع ذلك دنيا وأنت لا تشعر، فافهم واستحِ من الله أن تتكلم أمامه على الدنيا وأنت تريد الآخرة، فالدنيا لا يعطيها للشيخ دون النفس إلا دني الهمة عن الوصول، وأما من علت همته إلى مولاه يستحي أن يدفع فلسه ويترك نفسه إلا إن كان من عامة الناس فهذا لا بأس به، تقول الناس حكمة جليلة: نتف من الكلب ولا يغد سالم أي ولا يرجع سالما، والمال إنما يؤخذ من عامة الناس وذلك لضعف حالهم ودنو همتهم وعظم نفوسهم، لأنهم يرون إعطاء المال شيئا كبيرا، وهو والله شيء صغير بالنسبة لمن أعطى نفسه، هذا مقامهم في الصدق مع الله، ولو كمل صدقهم لرأوا إعطاء النفوس شيئا صغيرا، لأن من باع نفسه أعطاه الله سبحانه نفسه فيها وذلك أن يمده سبحانه بوصفه فيقول للشيء كن فيكون، ولهذا المعنى قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله عز وجل (لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا) والنافلة التي ليس فوقها نافلة هي بيع النفوس وهو واللهِ أمر عظيم قلَّ من يطيقه، إذ كثير من الناس يزعمون أنهم باعوا نفوسهم وهم والله ما باعوا منها إلا أقل القليل. الذي باع نفسه ساكن في الفقر على الدوام، ساكن في الذل على الدوام، ساكن في الضعف على الدوام، ساكن في الجهل على الدوام مع علمه، إذ العلم لله لا له، ومن ادعاه فهو مشرك، والعلم إنما هو دلالة على أن يحققك بوصف نفسك، ومن وصف نفسك الجهلُ لا العلم فافهم، واكتف بعلم الله فيك، وكن حقيرا ذليلا فقيرا جاهلا عاجزا كالكلب الذي لا مولى له بين الكلاب والناس: فهذا حال من باع نفسه، ومن كان هذا حاله كان الله وليه ونصيره، وهذا هو الوارث للنبي صلى الله عليه وسلم لا الوارث له في الأقوال والأعمال بل الوارث له في الأحوال، وهذا هو المشار إليه بقول الله سبحانه وتعالى ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم ﴾ [التوبة: 111]

انظرْ كيف قدم الله المؤمنين وقدم النفس فهذا دليل على أن النفس شيء والمال شيء آخر وأن النفس لا يبيعها إلا الصديقون وأنها معنوية ولا تموت أبدا فكلما قتلتها حييت وكلما حييت وقتلتها زدت في القرب حتى تنتهي في القرب ولا نهاية له فإذا حصل القرب التام حييت النفس حياة لا تموت بعدها أبدا، وكل واحد يصل إلى ما سبق له منه، وبقدر سَير الفقير في هذه الدار يكون ترقيه في تلك الدار والله أعلم، إن كانت معانيه هنا قوية تكون هناك كذلك وأكثر، وإن كانت ضعيفة تكون هناك كذلك، ولكن لا بد من الزيادة في الجهتين والله أعلم قال مولانا جل جلاله ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [الأنعام: 160] وهذا ظاهر والله أعلم. ولنرجع لما أردناه، قلنا ولا ينبغي للفقير أن يبيع لشيخه أو يشتري منه وهذا هو الحق، ولكن إن أعطاه الشيخ شيئا أخذه بنية التبرك لا غير، وإن أخذه على غير هذا فليس بمريد صادق وإن أخذه فليتب، وإن أعطى الدنيا بحذافيرها للشيخ لا يرى لها مزية حتى يعطي نفسَه، وإن صحَّ إعطاؤها فليغب عن إعطائها وعنها، وكيف يعطي ما ليس له، والنفس هي لله أعطاها الحق لنا لنردها إليه ونتأدب بها بين يديه ونعرفه بها ونحبه بها ونذكره بها ونتقرب إليه بها، وهذا كله من كرمه علينا سبحانه، وهي له وأعطاها لنا لنكون بها له لا لنا ونبيعها لله لتصح العبودية التي أراد الحق منا، وبأخذها لنا تصح الحرية التي نهانا الله عنها وبسببها هلك من هلك، وبسبب العبودية نجى من نجى فافهم، ولنرجع للذي أردناه، قلنا ولا ينبغي للفقير الصادق أن يبيع لشيخه أو يشتري منه، فإن كان له شيء فليكرم به شيخه لله ولا يرى لذلك مزية كما قلناه، وإن أخذ شيئا من الشيخ بعد إعطائه له من غير قصد ولا سؤال ولا غير ذلك فليأخذه على وجه التبرك كما قلناه، لأن عطية الشيخ لا ترد لكن إن علم أنها منه بلا سبب، وأما إن تعرض له بشيء من الشكوى في حاجة حتى أتاه بها فليعلم أنه أعطاها له على غير وجه التبرك فإن كان صادقا غنيًّا تصدق بها قهرا لنفسه وإن كان فقيرا فلا بأس بأكلها وليتب ولا يعد، ولا يشتكي للشيخ بالفقر ولا بالفاقة ولا بالحيزة لأن ذلك الذي يشتكي له به عليه دله هذا الشيخ، إذ النفس ما دامت تفر من أسباب الضيق لا يفرح بها صاحبها إلا إذا كانت تفر من أسباب التاسيع إلى الضيق،

لأن الضيق مفتاح للتاسيع، والتاسيع مفتاح للضيق، والأشياء كامنة في أضدادها، ككمون النار في الحجر ولا يخرجها إلا إذا قرنت بالهند وبعد ذلك بالضرب في بعضها بعضا عند ذلك تخرج، كذلك النفس هي بمنزلة النار، والآدمي بمنزلة الحجر، والعمل الثقيل بمنزلة الهند، والهمة هي التي تجمع هذا مع هذا، فإذا قرن العلم بالعمل وتلاطم هذا مع هذا لطما شديدا ظهر بينهما سر النفس الذي هو مخبأ فافهم يا أخي، والله يوفقنا وإخواننا والمسلمين أجمعين للإخلاص من نفوسنا آمين. وكذلك أيضا لا ينبغي للفقير أن يبيع لأخيه أو يشتري منه فإنهم أحباء في الله تعالى وعليه اصطحبوا وفيه تحابوا وتوادوا، وإذا دخلت الدنيا بينهم فسدت تلك الصحبة وانقطعت تلك المودة وزالت تلك المحبة ورجعت النفوس كما كانت أول مرة فتراهم بعد هذه الحالة يتهارشون على الدنيا كما يتهارش الكلاب على الجيفة وأكثر وأكثر، لأن الكلاب فيهم خصلة كونهم بعد المهارشة لا يبقى في قلوبهم غل وذلك لبعدهم عن وصف البشرية التي خص بها الآدمي، ولا تزول من الآدمي هذه العلة إلا إذا ذكر الله بقلبه لا بجوارحه فقط، فإذا حصل هذا تطهر من وصف نفسه، فاحذر من الدنيا جهدك واعلم أنها هي أصل كل عداوة في ابن آدم لابن آدم ولغيره، ولولا هي لكانت الناس كأهل الجنة، وسبب بعدهم عن هذا الغفلةُ عن الله، ولو زالت الغفلة لزال الجهل، ولو زال الجهل لجاء العلم بالله، وإذا حضر العلم بالله كانت الناس كأهل الجنة، وإلى ذلك الإشارة بقوله سبحانه ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ [الزخرف: 67] وهم المحبون في الدنيا المصطحبون عليها إذ لا بد لهم من العداوة عليها أحبوا أم كرهوا، وكيف لا تكون بينهم العداوة والدنيا عدوة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، واعلم أن كل عداوة نشأت إنما هي بسببها فافهم، وقوله تعالى ﴿ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: 67] يعني هم الذين اصطحبوا على الله وتزاوروا في الله وتذاكروا في الله وتحابوا في الله وتناصحوا في الله وفنوا في الله وبقوا بالله، جعلنا الله منهم وإخواننا وكافة الأمة المحمدية بمحض كرم الله بجاه مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الله آمين. ولنرجع لما أردناه اعلم أنه لا شيء أنفع لفيض المدد

الإلهي من مودة الأخ للأخ في الله لا سيما الشيخ أكثر وأكثر، إذ بنفس ما توده في الله تمتد من الله، وهذا يدل على أن الله واحد لا موجود على الحقيقة سواه، انظرْ يا أخي مهما وددت فيه مدك في الحين بسره سبحانه، ومهما وددت الغير بالغير انقطع المدد وبطل السير، وانظر رحمك الله إن لم تعرف المدد المعناوي فهو ظاهر في الحس: إذا وددت أحدا أحبك وودك، وإذا ودك أحببته ووددته، وإذا أبغضته أبغضك وإذا أبغضك أبغضته ما لم تحصل على العلم بالله، فمن كانت مودته في الله كانت على الحقيقة لله بالله، ومن كانت مودته لأجل الخلق كانت على الحقيقة للخلق بالخلق وهذا ظاهر، وإذا حصل العلم بالله تحسن لمن أساء إليك وتحب من أبغضك وتكرم من بخل عليك إلى غير ذلك، لأنك تكون غنيًّا بالله غائبا عن توهم سواه، واعلم أنك **إذا وددت في الله بأعز ما عندك فإنه يحصل في القلب سِرّهُ قبل فعله**، وقد جربت هذا مرارا أهتمُّ بشيء أفعله لله وهو ثقيل على نفسي فأجد سره في قلبي قبل فعله وأشاهد ظلمة النفس ذهبت من قلبي عند الاهتمام به، وهذا ظاهر لأهل البصائر. واعلم أن الشيء الذي يصعب على النفس فلا تخرج عنه ولا تجنح إلى الخفيف وتترك الثقيل ذلك كله من عدم صدقك في عبوديتك لربك، والنفس متلونة، وتلونها بحسب حبها للشهوات، ورأس ذلك كله حب الدنيا، ورأس الشهوات والعوائد حب المال والجاه، فمن خرج عنهما خرج عن كثير الأوصاف الذميمة، والمبتلى بحب المال والجاه لا تجده إلا كثير الغضب، وصاحب الغضب فاسد القلب والجوارح لا محالة، كما أن صاحب الحلم صالح القلب والجوارح لا محالة، ومن تطهر من هذا الوصف الذميم تطهر من كثير العلل وهو أساس الأعمال الفاسدة، كما أن الحلم أساس الأعمال الصالحة كما قلناه، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للسائل لا تغضب قال زدني يا رسول الله قال له لا تغضب، ولم يزده شيئا على ترك الغضب والحلم، فالغضب في الظاهر واحد وأسبابه في الباطن متلونة ينشأ عن فقد حظ النفس، وأسباب فقد الحظ كثيرة، وكيف ما تلوَّن سببه في الباطن ظهر في الظاهر، ولو علم المؤمن ما في رده من الخير لكانت أعمال المؤمنين كلها في تصفية هذا الوصف ولما أخذوا من الأعمال سوى ما لا بد منه، كيف وقد مدح الله عز

وجل في كتابه العزيز أهله بأجَلّ المدح فقال ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: 134] وقال أيضا ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة: 156 - 157] ومعنى ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ ﴾ [البقرة: 156] هو رد الغضب من الظواهر رغما على أنف النفس حتى يكونوا لله لا لنفوسهم، وقوله سبحانه ﴿ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة: 156] يعني رجوعهم إليه سبحانه وقت قيام نفوسهم عليهم فإذا رجعوا لله سبحانه كفاهم أمرها وكفَّ عنهم غيظها حتى لا يكون في القلب شيء سوى الحلم، وكيف لا يصلي الحق تعالى على من هذا وصفه، وكيف لا يكون مهتدياً وهو مخالف لنفسه، والمخالف لنفسه هو الطائع لربه، فافهم.

ومن آداب المريد الصادق أيضا ألا يتزوج امرأة شيخه المطلقة مثلا ولا غيرها، وإنما الشيخ عند الفقراء الصادقين وجوده مثل وجود مولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعلمه وعمله وحاله كذلك الشيخ لأنه يأخذ العلم عن الله كما يأخذه الأنبياء إلا أن ذلك مقام الرسالة وهذا مقام الولاية، وقد وقعت المشاركة في العلم بالله لا غير، فالأنبياء يأخذونه بإلهام تارة وبواسطة الملك تارة، والأولياء يأخذونه بإلهام فقط، ومن فني عن نفسه وبقي بربه مع وجود الصحو فهو الكامل، ومَنْ هذا حاله هو الذي يأخذ العلم عن الله، لكونه ممتدًّا بحقيقة الجمع في شريعة الفرق، فمِنْ تلك المادة الإلهية يأخذ العلم عن الله بالله لا به، وهذا هو الشيخ في الحقيقة، بخلاف شيوخ التعليم نفعنا الله ببركاتهم أجمعين إذ هم يأخذون العلم عن الوسائط والوسائط عن الوسائط إلى مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك العمل ولا بد لهم من الفهم في العلم واقتباس بعض معانيه لكن مع الحذر من الجهل والغلط لثبوت نفوسهم، والعارف يأخذ المعاني ولا يبالي لفنائه عن نفسه وبقائه بربه ولذلك تراهم تجري على ألسنتهم العبارة أبدا ولا يسكتون وإن جهلوا وذلك من حيث فقد النفوس وذهاب عالم المحسوس، وأما من هو بنفسه إن صادق زاد وإلا قهقر، وإلى

ذلك أشار تاج العارفين ابن عطاء الله رضي الله عنه بقوله (من عَبَّر من بساط إحسانه أصمتته الإساءة، ومن عَبَّر من بساط إحسان الله لم يصمت إذا أساء)، فعبارة العارفين بالله، وعبارة غيرهم بنفوسهم، وشتان من هو بنفسه مع من هو بربه، ولنرجع لما أردناه، قلنا ولا ينبغي للفقير الصادق أن يتزوج امرأة شيخه إذ لا تحل له في مذهب أهل الصدق والتعظيم وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى ﴿ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: 53]، وقد قلنا إن المريدين الصادقين بمنزلة الصحابة مع مولانا محمد صلى الله عليه وسلم وهذه الآية في أزواج مولانا محمد صلى الله عليه وسلم عامة وفي أزواج الشيوخ خاصة بالفقراء فافهم، وأما ابنة الشيخ فلا بأس للفقير الصادق أن يتزوجها إن علم أنه يقوم بالأدب معها كما يقوم مع أبيها وذلك قلَّ أن يوجد لأن النساء أضعف العقول وهذا إن أذن له شيخه فيها، وإلا فحرام عليه أن يطلب ذلك منه أو يعلق قلبه بذلك فكل ذلك من أعظم سوء الأدب فافهم، وقد تزوج ابنة مولانا محمد صلى الله عليه وسلم التي هي سيدة نساء العالمين صاحبُه وأحب الناس إليه صلى الله عليه وسلم وأقرب الناس إليه حسًّا ومعنى وارث مولانا محمد صلى الله عليه وسلم في العلوم اللدنية وهو إمام الصوفية مولانا علي كرم الله وجهه تزوج مولاتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها وأرضاها وجعلنا من ذريتها الحسية والمعنوية آمين بجاهها وبجاه أبيها عند الله مولانا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين وسيد الأولين والآخرين، وقد تزوج ابنتيْن من بنات المصطفى صلى الله عليه وسلم صاحبُه مولانا عثمان بن عفان، وهذا ظاهر والشيخ لا حرج عليه أن يتزوج ابنة المريد وزوجته إن أراد ذلك كما تزوج مولانا محمد صلى الله عليه وسلم زوجة زيْد وتزوج ابنة مولانا أبي بكر الصديق مولاتنا عائشة وابنة مولانا عمر بن الخطاب مولاتنا حفصة وغيرهم رضي الله عنهم وأرضاهم، وزوجة الأخ للأخ فلا بأس بها، وكذلك بنت الأخ لابن الأخ كذلك أيضا، ومن المشهور في طريق الوصول إلى الله تعالى أن الفقير الصادق لا ينبغي له أن يعلق قلبه بالتزوج ولا يجول فيه ولا يلتفت إليه ولا لمن يذكره له، فإن القلب إذا تعلق به فسد، والنفس إذا اشتاقت إليه تاهت

عن الله تعالى، والعقل إذا جال فيه لا يقبل العلم ولا تصفى له فكرة ولا تثبت له نظرة، ولا ينبغي له أن يتزوج إلا إذا علم أنه يفتتن بشهوة الحرام هذا واجب عليه على كل حالة سواء في البداية أو في النهاية أو غير ذلك وإنه في حق هذا من أعظم الواجبات، وأما الذي لا فتنة له في قلبه بشهوة نفسه فالواجب عليه تركه بالكلية حتى يتمكن من الحضرة الإلهية عند ذلك يفعل ما يشاء، ولا ينبغي للفقير الصادق أن يشغل قلبه به، فإنه من أعظم الفتن في طريق الله وإنه من أعظم حب الدنيا، انظرْ كيف قدَّم الله تعالى شهوة النساء على كل شهوة لأنها تسلب صاحبها من سائر الأسرار أحب أم كره لأن هذه الحالة هي ضد الفناء في الله، فكما أن حب الله يسلب العقول إذا نزل بصاحبه حتى لا يلتفت لشيء من الدنيا ولا لشيء من الآخرة، كذلك هذا الأمر يسلب العقول المعقولة عن عقلها حتى لا يبقى لها التفات لشيء آخر، أو نقول كما أن الروح تجذبها المعاني المعنوية لحضرتها حتى لا يبقى فيها قليل ولا كثير، كذلك النفس تجذبها المعاني الحسية لحضرتها حتى لا يبقى فيها قليل ولا كثير، وأرى المعاني الحسية هذا الأمر أعني أمر النساء فاحذروه جهدكم يا إخواني وأنا من الناصحين لكم، ولنرجع لما أردناه من تبيين الآية قبل قال مولانا جل جلاله ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ [آل عمران: 14] انظرْ كيف قدم الله شهوة النساء على سائر الشهوات لأنها هي رأس الشهوات ولبها روحها ولا تزول هذه الحالة إلا باشتعال نار المحبة في القلب أعني محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ومحبة الله ورسوله ينشأ عنها الشوق المقلق والخوف المزعج وهو الذي يخرج هذه الشهوة المتمكنة من القلب وإلا، فعليك يا أخي بدوام حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم حتى يعظم في قلبك وتشتعل ناره في سرك فيطهرك ظاهرا وباطنا من سائر العلل لا سيما هذه العلة التي تمنع صاحبها سائر الفكرة التي هي مفتاح للحضرة أحب أم كره، ولذلك قال شيخ شيوخنا مولاي علي العمراني نفعنا الله ببركاته آمين سمعتُ ذلك من شيخنا مولانا العربي الدرقاوي الشريف الحسني نفعنا الله ببركاته قال كان يقول: الكلام عندنا ممنوع في ثلاثة مسائل وزاد بعضهم الرابعة قال كنه الربوبية والرسالة والسلطنة والنساء، وهذه المسائل الأربع لا يتكلم فيها إلا

الجاهل لا محالة، وأما العالم فلا مدخل له فيها لاشتغاله بالله، والذي لا يشتغل بالله يشتغل بالفضول، وقد جعل الله الأسباب الدنيوية لحكمة شغل بها الحق سبحانه كثيرا من الناس، لئلا يزيغ قلبهم بالجولان فيما لا يعني فتفسد عقيدتهم، والله أعلم بما يصلح به عبيده سبحانه، لأن التفريغ غالبا لا يصلح إلا بأهل العلم بالله الذين هم أهل الفكرة النورانية السالمة من الشك والظن والوهم والخيالات والوساوس النفسانية والشيطانية، وبذلك لا يصلح التجريد إلا لأربابه الذين علت همتهم عن عالم الشهوة، ولا يصلح بغيرهم وربما يفسدهم التفريغ وذلك لعدم اشتغالهم بالله فتسلط عليهم نفوسهم فتأخذهم إليها وتملكهم ملكا كليًّا فلا هم في الأسباب بقوا ليتوصلوا إلى معاشهم ولا هم على سر التجريد حصلوا، فافهم واشتغل بالله على أي حالة كنت، فإن كبُر ذكر الله في قلبك ونسيت به الأسباب فهو المطلوب وإلا فقمْ في الأسباب واجتهد في ذكر الله فربما يعظم الذكر في حالة الأسباب مثل ما يعظم في التجريد حتى مع وجود الأسباب، والتجريد إنما هو لتفريغ النفس من الحس لترجع قوتها الظاهرة في الباطن لا غير فافهم والسلام.

ومن آداب المريد المتجرد وخصوصا صاحب الفكرة ألا يكون له وقت ثان ينتظر ما يفعل فيه فإن ذلك يشوش عليه فكرته ويفرق همته، ولذلك قالوا الفقير ابن وقته، فالواجب على صاحب الفكرة أن يكون كل ساعة ينظر ما يبرز من عنصر القدرة فيتلقاه بالمعرفة، وكل ساعة يرى أنها آخر عمره، فبهذا تشتغل الفكرة وتصفى النظرة، ومن لم تصف له الفكرة والنظرة فالبطالة لازمة له، فالفقير بلا فكرة كالخياط بلا إبرة، والسلام.

إلهي عظمت الدعاوي مع وجود المساوي، وعبدك الضعيف لغير بابك لا يأوي، **إلهي** كيف يعتمد العبد الجاهل على علمه وهو من بحر فضلك أبرزته، أم كيف يعتمد على عمله وأنت الذي وفقته، أم كيف يستند إلى حاله وأنت من السكون لغير الفضل حذرته. **إلهي** أقفْ عبدك على باب فضلك بمحض كرمك بلا علة، ولا تحمله اللهم بجودك ورحمتك حمول المشقة والمذلة. **إلهي** من استعز بسواك ذليل، ومن استشفى بغير حبك عليل. **إلهي** كيف يستعز الذليل بالذليل، وأنت العزيز

الجليل. إلهي تجليت بجمالك للنفوس فدهشت، فمنها بسبب السعادة انقادت، ومنها بسبب الشقاوة أنِفتْ، فأنت الحكيم العليم ما علمت، لا تسئل عما فعلت. إلهي أنت العالم بمخلوقاتك ولا علم لغيرك إلا ما عَلمته، وأنت الحكيم بحكمتك خلقت أسباب الهداية ويسرتها لمن أحببته، وخلقت أسباب الضلالة ويسرتها لمن أبغضته. إلهي من سبقت له عنايتك في الأزل فبفضلك رحِمْتَه، وبسر لطفك هديته، وإلى كمال الإخلاص وفقته، ومن حكمت عليه بالشقاء بعدلك جهلته بعدما علمته، وخذلته بعدما وفقته، وسلبته بعدما أعطيته، وأبعدته بعدما قربته، نسألك اللهم لا تسلبنا بعد العطاء، ولا تحرمنا بسبب الغفلة والخطا، واجعل اللهم فضلك لمساوينا غطاء، يا رباه يا مولاه، إلهي أعوذ بك من الجهل بعد العلم السابق، وأعوذ بك من الغضب اللاحق، وأعوذ بك من حجاب الحجاب، الذي لا معرفة فيه ولا أدب. إلهي إن لم تستر عن عبدك المساوي، وتمح عنه الدعاوي، إلى أين يأوي، إلهي من عرف فضلك وعظيم قدرك لا يفزعه الفزع الأكبر مع كثرة جُرمه، ومن جهل فضلك وعظيم قدرك أقلُّ شيء من الهم يرديه، إلهي من تكرمت عليه في سابق الأزل فهو الكريم، ومن منعته من كرمك فهو المسيء اللئيم، ولولا فضلك ما كنا أهلا للإيمان بك، ولولا لطفك بنا ما انقادت نفوسنا لعبوديتك، فأنت اللطيف الحليم، الجواد الكريم، إلهي وقفت الكاملون والواصلون عند المشيئة لشدة القرب منك، وغابت الغافلون عن ذلك لشدة البعد عنك، إلهي ما أقربنا لك بك وأنت القريب منا، وما أبعدنا عنك لوجود نفوسنا، فاستر اللهم بفضلك قبحنا، لنكون أهلا لغاية القصد والمنى، إلهي عجزت العارفون بك عن كمال معرفتك لكمال معرفتهم بك، فما بالك بالجاهل مثلي العاجز عن عبوديتك، إلهي لولا أثر صفاتك العالية لما عُرفتَ، ولولا العقل المخصص به عبادك الصالحون لما عُبدتَ، لولا ظهورك بتجلي جمالك ما عُرفت باطنا، ولولا حجاب لطفك على عظمة ذاتك لما كان سرك كامنا، إلهي لو ظهرتْ أنوارك الخفية لتلاشت الأكوان، ولولا تلك الأنوار التي ظهرت في رداء حكمتك لما عرفك أهل العيان، إلهي ظهرت عظمتك ظاهرا ولا حجاب

عليها، واختفت من شدة ظهورها غيرة على كشف أسرارها. إلهي الغير بالنظر إلى وحدانيتك مفقود على التحقيق، لكن بنعت تجليات ظهورك يشير إلى التفريق، إلهي لا يراك غيرك، وكيف يراك والغير مفقود، أين يكون الغير معك لولا العقل بحكمتك محدود، إلهي كل الخلق تحت أسرار أسمائك مقهورون، وكلهم بسلاسل قدرتك مجرورون، فلا حكم لهم مع حكمك، ولا وجود لهم مع وجودك. إلهي اكشف لنا بفضلك عن حقيقة الحقائق، وأفضْ علينا من لدنك علوم الدقائق، وحققنا اللهم بسرك الموضوع في الخلائق، وزج بنا في عين جبروتك، وأخرجنا منها بها على ساحل بحار ملكوتك، وعرفنا بك معرفة أنبيائك وأصفيائك. إلهي أدِّبْنا بأدب أهل ملكوتك، وأفِضْ علينا من سَنا جبروتك ما يُغيبنا عن رؤية مُلكك وملكوتك، وأجلسْنا اللهم على كرسي القرب بالقرب، واشعل في قلوبنا بفضلك نار الشوق والحب. إلهي أبرزتنا لهذا الوجود، بعدما سبق إلينا منك العهود، فثبتنا اللهم بمحض كرمك بالقول الثابت ولا تجعلنا من أهل العناد والجحود، يا حي يا قيوم يا موجود، لا إله إلا أنت، بك آمنت، وعليك توكلت، وبك من سواك استعذت، وصَلِّ اللهم وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه عدد خلقك، ورضا نفسك، وزنة عرشك، ومداد كلماتك، في كل لحظة مائة ألف مرة، من يوم خلقت الدنيا إلى يوم الآخرة، آمين آمين آمين، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

الباب الخامس

فهارس كتاب

(الآداب المرضية لسالك طريق الصوفية)

خدمـــةً لكـــتاب (الآداب المرضية لسالك طريق الصوفية) وزيادة في تسهيله وتيسيره وتقريب مواضعه واقتناء دُرره ولآلئه، فقد وفقني الله تعالى إلى وضع فهارس له عديدة ومتنوعة ومفيدة، وقد أكملـــتُها في شهر فبراير سنة 2001 ميلادية.

الدكتور محمد بن محمد المهدي التمسماني.

فهرس الآداب

- وأنواع الآداب كثيرة ولكن نذكر ما هو آكد منها على المريد.

- فمـــن آداب المـــريد الظاهـــر ألا يكثر الجلوس مع الشيخ لئلا يزول عنه التعظيم، وكثرة الجلوس مع قلة التعظيم لا تزيد المريد إلا بعدا.

- ومـــن آداب المـــريد ألا يكثر الضحك مع الشيخ، وإن ضحك معه الشيخ فليُقـــصر هو وليُراع الأدب، وقد يكون ذلك من الشيخ اختبارا له لينظر مقامه في الأدب فافهم.

- ومـــن آداب المريد ألا يكثر الكلام بحضرة الشيخ أحرى وأحرى مع رفع الصوت، ومن كثر كلامه حتما يرتفع صوته، وإذا كان كثرة الكلام بخفض الصوت سوء أدب فكيف مع رفع الصوت.

- ومـــن أدب المريد ألا يجلس عن يمين الشيخ أو عن يساره، ولو دعاه إلى ذلـــك فلـــيقدم الأدب على الأمر كما هو معلوم، بل يجلس أمامه وجهه إلى وجهه وعيـــناه إلى عينـــيه وقلبه إلى قلبه، وإن كان المجلس كبيرا فليجلس من وراء الناس مقابلا له كما قلنا.

– ومن آداب المريد ألا يكثر النظر إلى الشيخ إذا جلس أمامه، فإن كثرة النظر إليه تورث قلة الحياء إلا عند التذكير، نعم إن غلب عليه الشوق وأشرقت على قلبه أنوار الصفات فلا يضره ذلك.

– ومن آداب المريد أن لا يبادر بالكلام عند تقرير شيخه بعض العبارات لئلا يحكم فيها برأيه وفهمه فيحملها على غير ما أراده الشيخ فيغيّر معانيها ويطمس أنوارها فيتغير عليه الشيخ وهو لا يشعر، وحيث منع ظهور وجه الحكمة فلا يفتح على باطنه شيء من أسرار الغيوب فافهم.

– ومن آداب المريد أن لا يجلس أمام الشيخ جلسة العامي مع العوام بل يجلس جلسة المملوك مع الملوك..... ولا ينبغي له أن يلتفت يمينا وشمالا ما دام أمام شيخه في مجلس الذكر والمذاكرة.

– ومن آداب المريد أن لا يمشي عن يمين الشيخ أو يساره مثاله فضلا عن أن يتقدم، بل يتأخر قليلا، فإن الشيخ إمام والمريد مأموم، ولا ينبغي للمأموم أن يتقدم أمام الإمام.

– ومن آداب المريد ألا يتقدم بشيخه للصلاة، فإن أمره الشيخ فليتقدم، ولا يعود إلا إن أمره كذلك وهكذا، وإن أمره أن يكون إماما راتبا فلا يتأخر وإن تأخر كان ذلك منه سوء أدب، كما أنه إذا تقدم من غير إذن أساء الأدب.

– ومن آداب المريد أن لا يجلس في موضع الشيخ ولا على بساط يجلس عليه الشيخ ولو أمره سواء كان في موضع جلوسه أو غيره.

– ومن أدب المريد ألا يأكل مع الشيخ سواء كان وحده أو مع الناس لأنه إذا حصل التعظيم حقًّا حصل في كل موضع..... فلا تأكل يا أخي مع شيخك وإن ألح عليك غاية الإلحاح فاعتذرْ له غاية الاعتذار.....فإن الأكل مع الشيخ سم قاتل لأهل الصدق، وكلامنا كله مع أهل الصدق، وغيرهم لا يفهم معنى ما قلناه.

– ومن آداب المريد ألا ينام مع الشيخ في بيت واحد ولو لم يجد سواه، بل ينام خارج البيت سواء كان البرد أو الحر وخاف من اللصوص أو السباع، وإن ألحَّ عليه الشيخ فليعتذر إليه بمرض أو ما أشبهه، فإن نومه مع الشيخ يمنعه من النوم

وذلك من أعظم سوء الأدب.

- ومن آداب المريد ألا ينادي على الشيخ إذا دخل داره ولو كانت له به حاجة كبيرة وألجأته إليه ضرورة فلا يقرب باب داره ولا ينادي عليه بل يصبر حتى يخرج فربما كان نائما فتشوشه، قال الله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ [الحجرات: 5]، فالزم نفسك يا أخي الأدب واصبرْ حتى يخرج الشيخ وتَلقاه بأدب وتواضع وهيبة وتعظيم وسَله حاجتك تقضى في الحين إن شاء الله، وقد تقضى حاجتك قبل خروج الشيخ إن كنت على ما وصفنا من الأدب.

- ومن آداب المريد أن لا يجلس مقابلا لباب دار الشيخ إلا بإذنه، وإن لم يكن له إذن فحرام عليه بإجماع من أهل الأدب، وإن أذن له فليعط بظهره لباب الدار.

- ومن آداب المريد ألا يدخل دار الشيخ إلا بإذنه وحضوره، ولا يدخل بمجرد الإذن إلا إذا صرَّح له بذلك وقال له ادخل وحدك فلا بأس..... والدخول إلى منازل الناس يحتاج إلى تقوى عظيمة وفي منازل الأشياخ أكثر.

- ومن أدب المريد أن لا يأخذ من الشيخ من متاع الدنيا قلَّ أو جلَّ ولو ألح عليه الشيخ في ذلك إلا إذا لم يكن عنده قوت ساعة وكان قد قصد زيارته لله لا غير ثم أعطاه شيئا وألح عليه في أخذه فليأخذه فلعلَّ فيه خيرا وقد يكون سببا لقناعته وغناه القلبي فافهم.

- ومن آداب المريد ألا يقوم لزيارة الشيخ إلا بهدية أو مودة قليلة كانت أو كثيرة، ولو لم تكن غيبته عنه إلا نحو الثلاثة أيام، وإن كان فقيرا ولم يجد شيئا من طريقه فليحتطب حطبات ويأتي به إن وجده أو غير ذلك، ومن لم يجد لا قليلا ولا كثيرا فلينفق نفسه....، وأما إن قدم فارغ اليد فإن مدد الشيخ يمتنع جريانه له كماء البئر إذا فقد منه الدلو والماءُ موجود ولكن لا سبيل إليه فافهم، ومن كان ذا مرض أو فاقة شديدة فلا ينبغي أن يمنعه ذلك من الزيارة.

- ومن آداب المريد أن لا يقرب عياله لعيال الشيخ إلا بنية الزيارة والتبرك بهم

لا غير، وينبغي لهم إذا قدموا لدار الشيخ أن لا يجلسوا أكثر من ثلاث سوائع إلا إن كانـــوا من بلد بعيدة فيجلسوا ثلاثة أيام، وإن أرادوا أكثر من ذلك فما شموا للأدب رائحة إلا لعزم كبير من الشيخ أو من أهل الدار على الإقامة، وينبغي لهم ألا يكثروا الكـــلام ولا الضحك ولا الأكل ولا الدخول والخروج، بل يلزمون الحياء والوقار، ومـــن الواجب عليهم أن يقوموا بأشغلة الدار كلها، ومن علم من أولاده عدم القيام بهـــذه الآداب فليمـــنعهم من القدوم إلى دار الشيخ وليقل لهم إن حقيقة الزيارة لا تقـــدرون علـــيها لأنها عظيمة وزيارتكم من هاهنا أحسن، فإنهم إن قدموا وأساؤوا الأدب عاد ذلك عليك أيها المريد لا عليهم فتؤذى وأنت لا تشعر.

- ومـــن آداب المـــريد ألا يلبس فضلة الشيخ من ثوب أو غيره، فإن أعطاه الشيخ فضلة من حوائجه فليرفعها وليحترمها ويعظمها ويتبرك بها لكونها قريبة العهد مـــن الله كانـــت على جسد ليس بينه وبين الله حجاب، ومن لم يأخذها على هذا الوجه فليتركها ولا يأخذها ويعتذر ولا يضره الاعتذار لأن الشيخ شفيق على المريد، فإن حمل عنه الشيخ القيام بحقوقها فلا بأس بأخذها.

- ومـــن آداب المريد ألا يلبس ثوبا جديدا إلا بإذن الشيخ ولو كان ما قيمته ثلاثـــة دراهم لأن الثوب الجديد على المريد الصادق حرام فإن لبسه فقد زلت قدمه عن طريق الصديقين.

- ومـــن آداب المـــريد ألا يشكو لشيخه حوائج دنياه، فإن عسر عليه شيء فليتوســـل إلى الله تعالى بشيخه ولا يظهر ذلك، ومن أظهر ذلك فقلَّ أن يفلح، فإن دخوله في حضرة الشيخ كان بنية الآخرة لا بنية الدنيا، وحينئذ فلا يطلب خلاف ما قـــصد، وإن طلب كان ذلك غشًّا منه وسوء أدب، ومن كان على هذا الحال فهو محسوب من العوام.

- ومن آداب المريد ألا يسرع بالجواب إذا شاوره الشيخ في أمر ديني أو دنيوي بل يتأنى ويتأمل ما مراد الشيخ، فإن فهم مراده فليجاوبه بما أراد منه، وإلا فليقل له أنت أعرف يا سيدي، لأنه هو أعرف منه بجميع الأمور الدنيوية والأخروية ومشاورته معه امتثالا لأمر الله لقوله تعالى ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ [آل عمران: 159].

- ومـــن آداب المريد أن لا يستبرأ بموضع يراه الناس أحرى في ذلك إخوانه الفقـــراء أحرى وأحرى شيخه إلا إذا كان مغلوبا بالمرض أو شبهه، ومن فعل شيئا مـــن ذلك لغير عذر فقد خلع ربقة الحياء من يده، ومن أعرى ظاهره من حلة الحياء أعرى الله باطنه من حلة الإيمان.

- ومـــن آداب المريد أن يحب بحب الشيخ، ويبغض ببغضه، ويفرح بفرحه، ويحزن بحزنه، ومن كان على العكس فهو مرائي منافق ليس له اقتداء بالشيخ.

- ومـــن آداب المريد أن لا يظهر العلم أمام شيخه وكذلك الأحوال والفراسة ولو كانت مواهبه كالسحاب، إلا إن غلب عليه حال فالدية حينئذ على القاتل.

- ومـــن آداب المـــريد إذا اتخـــذ شيخا كاملا واصلا موصلا جامعا لأنواع الجذب والسلوك يسير على طريقة التجريد والاكتساب كيف ما شاء ألا يلتفت إلى سواه كائنا من كان، ولو التفت إلى سواه فلا ينال ربحا أبدا.

- ومن أدب المريد أن لا يطالب شيخه بالكرامات وأن لا يخدمه لأجل ذلك، ولا يطلـــب ذلك إلا من لا عقل له ولا علم ولا خير فيه، والذي ينبغي أن يطلب المـــريد مـــن شيخه أن يذكره الله وينسيه نفسه ويزهده في الدنيا ويرغبه في الآخرة ويعرفه بحقيقة ما خلق لأجله من العبادات لله خالصا ويقهره عن الشهوات بمذاكرته وهمته ويمنعه الدعوات ويحبب له أوصافه...

- ومن آداب المريد مع الشيخ ألا يشرع في حال من الأحوال إلا بإذن شيخه، وكل شيء فعله من غير إذن فلا يجد له سرًّا ولا بركة، لأن السر مرموز في الإذن لا في العمل.

- ومن آداب المريد أن لا يظن بشيخه أنه يبغضه أو يهينه ولو قلَّ أدبه أو ليس هـــو عنده في نظر كبير أو أنه يرفع عليه غيره ولو كثرت خدمة ذلك الغير فإن هذا كله سوء أدب يوقع صاحبه في الحسد.....فإن الفقراء عند الشيخ كأصابع اليد.

- ومن آداب المريد أن لا يكتم محبة الله ورسوله وشيخه وإخوانه إن كانت له قلبية، فإن في إظهارها زيادة إلى الله عز وجل قال تعالى ﴿ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ

وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة: 105] أي محبتكم، وإظهارها يكون بالخدمة والتعظيم والتحدث باللسان.

- ومن آداب المريد أن لا يوصل كلام الخواص للعوام ولا كلام العوام للخواص لئلا يمقت، ولو لم يكن من المقت إلا ما أصابه من الغفلة عن الله حتى أصغى بقلبه إلى غير ذكر الله، ولو كان قلبه مشتغلا بذكر الله ما أصغت الجوارح إلى مثل هذا.

- ومن آداب المريد بل من فرائض حاله أن لا يتهاون برياضة نفسه ولو بلغ من الرياضة ما بلغ، ومن تهاون بها وتراخى فيها حتى انحلت عزائمه وفشلت قوائمه فذلك دليل على ميل قلبه إلى الدنيا.

- ومن آداب المريد أن لا يجلس في موضع فيه سبب فقدان قلبه، فإن علم ذلك وتعمد الجلوس فيه فهو ظالم لنفسه مخالف لأمر ربه.

- ومن آداب المريد أن لا يزكي نفسه ولو بلغ ما بلغ في الخدمة والصدق والمحبة والنية وغير ذلك قبل أن يزكيه الله ورسوله وشيخه، فإن وقع له الإذن من الله ورسوله أذن له شيخه لا محالة.

- ومن آداب المريد أن لا يتصدر للتربية وإعطاء الورد قبل الإذن من الله ورسوله ومن شيخه، ومن تصدر لشيء من ذلك بغير إذن فقد تعرض للهلاك وأهلك من تبعه.

- ومن آداب المريد أن لا يرى نفسه فوق أحد من المسلمين فضلا عن إخوانه الفقراء قال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾ [الحجرات: 11] صدق الله العظيم، ومن خطر بباله أنه خير من أحد من المسلمين فقد اشترك مع إبليس في المقام حيث قال ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف: 12]، ولا سيما إن كان يدعي الخصوصية الكبرى فالواجب على المدعي ذلك أن يرى الأشياء كلها خيرا منه فضلا عن المسلمين، ولا يخرج من هذه الرؤية لحظة واحدة.

- ومـــن آداب المريد أن لا يطلب التقديم على الإخوان ولا أن يكون رئيسا يـــرجعون إليه في أمورهم، فإن هذه علة خفية قد وحل في شبكتها جل المريدين، وقلَّ من سلم من ذلك، وهي من أقبح القبائح تؤدي صاحبها إلى الفضائح.

- ومـــن آداب المريد أن لا ينزع عنه حالة السيادة التي هي لباب العبادة وآلة أرباب الأحوال من أهل الإفادة وهي التجريد ولباس المرقعة.

- ومـــن آداب المريدين إذا اجتمعوا للمذاكرة أن لا يغلقوا الحلقة بل يتركوا موضع الشيخ فارغا سواء حضر أم لا، فإن حضر وقع المدد، وإن لم يحضر كذلك لأنـــه حاضـــر في المعنى، وإذا حضر التعظيم حضر المدد في الغيبة كما يحضر في الحضور.

- ومـــن آداب المـــريدين إذا اجـــتمعوا من غير حضور الشيخ في زاويته أن يبـــسطوا سجادته التي يسجد عليها ويدورون بها حلقة واحدة كحضوره معهم من غير زيادة ولا نقصان، ويتركون الضحك والمزاح وجملة الكلام، ويتهيئون للجلوس بـــين يـــدي الملِك العلاَّم كما يتهيأ أهل دولة الملوك لملِكهم عند ملاقاته بل هذه أعظم وأعظم لأن ذلك حضرة الخلق وهذه حضرة الخالق سبحانه، فإذا حضرت هذه الجلسة على هذه الحالة فأنا ضامن لجلسائها الفتح الكبير، فإذا جلسوا يناولهم كبيرهم في رتـــبة التـــربية العلوم التي بينهم على صفاء المجلس إن صرح صرحوا وإن أشار أشـــاروا ويـــشاركونه الأمثال فالأمثال مع ترك المحاججة ورفض الملاججة بالكلية والتسليم له فيما يحكم به عليهم من أمر وقع فيه الخلاف بينهم.

- ومـــن آداب المريدين أيضا إذا كانوا مع الشيخ في غير زاويتهم ثم فارقهم الـــشيخ فالواجب عليهم أن يتركوا موضعه خاليا كما تقدم.....اعلم أنه إذا كان في الفقراء من صدَّرهُ الشيخ للتربية وكان مشهورا عند الخاص والعام فالواجب عليه أن يعمر موضع شيخه بالذكر إذا غاب وبالمذاكرة والزيارة والمشورة وغير ذلك، ولا ينبغي التكبر عليه ولا التجبر.

- اعلـــم يا أخي أنه إذا كان يجب على المريدين احترام موضع الشيخ فكيف بثيابه فكيف بجسده الشريف.

- ومـــن آداب المريد أن يأخذ العلم عن الكبير والصغير ولا يتكبر على أحد من عبيد الله، ولا ينبغي لطالب العلم أن يأخذه بعلو همته ورفعة نفسه فإنه لا يناله.

- ومـــن آداب المـــريدين إذا قدم عليهم أحد من أهل محبة الله ينبغي لهم أن يقوموا لملاقاته إجلالا لله، لأن القيام لهم حق لله في الحقيقة لا لهم إذ هم جاؤوا لله، والجالـــسون هناك لله.....وبقي من حق الزائرين على المزارين إذا جلسوا بين يدي الـــشيخ أن نؤثـــرهم بالقرب منه في الجلوس ونكرمهم بما استطعنا ثلاثة أيام وهي ضيافة المصطفى صلى الله عليه وسلم وبعد ذلك نصير شيئا واحدا في المحبة لله.

- ومـــن آداب الملازمـــين لحضرة الشيخ إذا عزم الزائرون على الرجوع إلى أماكنهم شيعناهُم ما استطعنا، ونصغي عند الافتراق لوصية الشيخ إذا حضر وخرج معنا وتكلم في ذلك الوقت، وهذا ليس بواجب عليه ربما يتكلم وربما لا يتكلم.

- ومـــن آداب المـــريدين أيضا إذا قدم أحد لزيارة الشيخ وليس لنا به معرفة نفعل ذلك معه لله تصحيحا لدعوتنا ومحبة في ربنا وسترا لنسبتنا، وبقدر تعظيمنا له ينتفع من شيخنا، وربما تكون له نية كبيرة وصدق عظيم فإن رأى ذلك جاء شهيد لـــه على شهيده وهو التعظيم الذي له في قلبه فيزداد نية وصدقا ومحبة في الشيخ وفي الله، وإن رأى مـــنا خلاف ذلك نقص صدقه وضعفت محبته فيرجع بلا شيء وإن جلس لصحبة الشيخ يطول فتحه، والبداية أساس النهاية.

- ومـــن آداب المـــريدين إذا قدم أحد على الشيخ أن يتركوه له إذا كان بنية الأخـــذ عـــنه، وإنمـــا يظهرون له تعظيم الشيخ ظاهرا، وعليهم بالسكينة والوقار والصمت كما قدمنا إذ ذاك لله من علو الهمة، ويتركون المزاح الجائز عند القوم على وجـــه البـــسط، لأن الداخل داهش ربما يرى من بعض الإخوان ما لا تطيقه نفسه فينكرها ويتزلزل كما قدمناه، والفقراء يزيدون بالداخلين في حضرة الشيخ أكثر من الـــشيخ لأن حقـــيقة الفقراء ظاهرة وحقيقة الشيخ باطنة لا يراها إلا مثله، وكذلك ينقـــصون بهم أيضا، وقد يقدم على الشيخ من لا نية له ولا صدق فإذا رأى صدق الفقـــراء انجذب رغما على أنفه، وقد يقدم من له الصدق الكبير ويرى من الفقراء عكس ذلك فيتزلزل كما قدمناه لأنه يقول في نفسه لو كان عند شيخهم سر لكان

ظاهـــرا على هؤلاء، ومنهم من يأتي بنية الإنكار فإذا رأى ما يوافق الكتاب والسنة رجع عن ذلك وتاب وربما دخل في حزب الفقراء.

– ومن آداب المريدين المستشرفين الذين غلب عليهم تجلي الحقيقة فالواجب عليهم أن يستروها ويتركوا الكلام فيها إلا مع خاصة أربابهم لا عامة أربابها.

– فصل في آداب الفقير الصادق الذي تعلق به بعض الإخوان بعد إذن الشيخ أن يذكر، فمن آدابه أن يذكر لله لا لشيء سواه، وأما إن قصد بتذكيره حظا دنيويا ولو قلَّ فلا يجيء منه شيء، لأن الطمع من رعونات النفس.

– ومـــن آداب المريد ألا يدخل على شيخه في ثلاث مواضع: الأول إذا كان يأكل الطعام ربما يكون له فيه حاجة فيؤثرك على نفسه وربما تكون أنت غير محتاج له فإن حالتهم رضي الله عنهم الإيثار..... الثاني إذا كان في موضع وحده فلا تقدم عليه بل اصبر حتى يخرج أو يأذن لك في القدوم، وإن دخلت بإذن نفسك هلكت لا محالـــة إما في حسك أو في معناك أو فيهما معا بسبب سوء أدبك..... الثالث إذا ذهب إلى الخلا فلا تتبعه ولا تتوجه إلى الموضع الذي توجه نحوه ولو كنت في غاية الاحتـــياج إليه ولو عرفت أن قصده غير قضاء الحاجة.... وهذه الثلاث من أعظم أركان الأدب التي يجب على المريد حفظها في بدايته أكثر من نهايته لأن وقت النهاية يكون الفقير عارفا بأصول الأدب.... ولا ينبغي للمريد أن يكون طبعه طبع الكلب يـــدخل على سيده أين ما وجده ويسير وراءه أين ما سار، فهذا حال من لا علم له ولا تعظيم له.

– ومن آداب المريد أن لا يتزوج قبل الرسوخ والتمكين، لأن حب النساء من أعظم السموم ومن أكبر الهموم، ولا يتزوج إلا إذا خاف على نفسه الفتنة أو وقوعه في الحرام هذا واجب عليه.

– ومـــن آداب المريد أيضا أن لا يستعمل دارا ولا لباسا ولا فراشا ولا بهيمة ولا بلدة ولا غير ذلك من الأمور أحسن من دار شيخه أو لباسه أو فراشه أو بهيمته أو بـــستانه مثلا.....نعم تقتدي بأخلاقه في الأحوال وفي الأقوال على ما يأمرك به

وينهاك عنه، وإن زدت تقع في سوء الأدب لا محالة، إذ الشيخ غيور على مقامه لا يحب من يدعيه بنفسه وإن ادعاه بربه فالواجب عليه ستره من شيخه أدبا معه وخوفا منه.

- ومن آداب المريد أيضا أن لا يتنخَّم في حضرة الشيخ كما يفعله من لا معرفة له بالأدب إلا إذا كانت به علة غالبة عليه لا يقدر على ردها فذلك معذور في سوء أدبه، ويجب على الإخوان الصبر على من به شيء من ذلك سواء كان في حضور الشيخ أو في غيبته.

- ومن آداب المريد أن لا يتكبر على أحد من الإخوان إن رآه أعلى منه مرتبة وأحب منه عند الشيخ، فإن الكبر هو أول ما عصي به الله.

- ومن آداب المريد إذا أراد الجلوس بين يدي شيخه أن يستخلي بنفسه ويتوضأ لجلوسه بين يدي محبوبه لأن ذلك الجلوس هو مع الله لا مع الشيخ، وذلك المجلس هو من أعظم الذكر والله عز وجل يقول (أنا جليس من ذكرني وأنا معه حين يذكرني) الحديث، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل ما فيه الرائحة الخبيثة كالثوم وما أشبهه، وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن خروج الريح في المسجد.

واعلم أنه ينبغي للمريد أن يتحرز جسده من كل ما يستقذر ويستنظف قبل دخوله لحضرة أهل الله كما يتنظف لدخول المسجد.

- ومن الواجب على المريد أن يحمل إذاية أخيه بقلبه وجوارحه أكبر من إذاية غيره، ولا بأس بالأخ الناصح أن يظهر أثر الغضب باللسان دون القلب على من هو مسيء الأدب.

- ومن آداب الفقراء مع بعضهم بعضا الإحسان والكلام اللين والمودة سيما عند زيارة بعضهم بعضا فإنها تتأكد عليهم شرعا، لأن زيارة أهل الفضل لبعضهم بعضا بنية سبب في فيض المدد الرباني، والمعنى متوقف على الحس لا محالة.

اعلم أن حقوق الإخوان كثيرة منها أن تكرمهم إذا زرتهم، وأن تنظرهم بعين التعظيم، وأن تعظم حرمة أهلهم إذا غابوا، وأن تكرم أهلهم في غيبتهم كما في

حضورهم، وأن تستر عيوبهم إذا صدر منهم ذنب، وأن تدعو لهم قبل أن تدعو لنفسك، وأن تطعمهم قبل أن تطعم نفسك وأهلك وأن تكسوهم كذلك، وأن تعلمهم إذا جهلوا، ولا ترى لك عليهم فضلا، وترى نفسك آخرهم في المنزلة، وقس على هذا.

- ومن آداب المريد أن لا يشترك في الرأي مع الشيخ قليلا ولا كثيرا، وإن شاوره الشيخ فليرد له الأمر، ولا يفتي بنفسه لمن يفتي بربه، واعجبا من الأعمى يقود بالذي هو بعينه، وقد يكون من الشيخ ذلك اختبارا لسلب إرادتك وبيع نفسك له، فإن رأى فيك أهلية القبول زادك بهمته وحاله ورفعك من مقام إلى مقام وأنت لا تشعر.

- ومن آداب المريد الصادق فضلا عن غيره أن لا يأذن لأحد في حضور الشيخ ولا في غيبته بشيء من الأوراد والأعمال إلا إذا كانت على جهة النصيحة لا غيرها.....ومن أراد نصاحة أخيه فلينصحه بالحال وليترك المقال، لأن المقال للشيخ، والحال مشترك فيه مع الفقراء، فصارت التربية بالحال جائزة على هذا الوجه من غير إذن لهم فيه فافهم.

- ومن آداب المريد ألا يوصل الكلام القبيح الذي يغيّر قلب الشيخ أو الإخوان أو أحد من الناس فضلا عن الذاكرين الله من إخوانه فضلا عن شيخه، ولو رأى في ذلك ضرورة معينة فليجتنب ذلك وليرد الأمر إلى الله تعالى ويتيقن أن الشيخ قد أطلعه الله على ذلك قبل أن يبرز، ومن لم يعتقد في شيخه هذا وأكثر فلا يفتح عليه في شيء من السر وإن بقي مع أهل الله سنين عديدة، لأن باب الفتح التعظيم وعنه ينشأ الأدب، والذي يرى شيئا من الإخوان ويوصله هو الغافل عن الله أقبح من غيره، ولو كان مشغولا بذكر الله تعالى لعمي عن عيوبه لا سيما عيوب غيره.

- ومن آداب المريد أن لا يطلب من شيخه أن ينقله من حال إلى حال إلا إن أمره به فلا ينبغي له أن يتأخر عنه فإذا تأخر حرم، وإذا تقدم لشيء من غير إذنه

حرم أيضا...والتقدم والتأخر لشيء من غير إذن من الشيخ كله سوء أدب.

والمريد إذا أراد قضاء حوائجه فليضمرها في قلبه وينزل نفسه عند الشيخ منزلة العبد المملوك المطيع لسيده، فلا يرجو من سيده شيئا سوى خدمته ولا يلتفت لشيء آخر، فمَنْ هذا حاله وصل إلى الله بنفس ما تحصل له هذه الحالة وتقوم حوائجه بالله.

- ومن آداب المريد مع الله تعالى الاكتفاء بعلمه سبحانه في كل ما ينفق على شيخه أو إخوانه أو غير ذلك، ولا يقصد بذلك شهرة ولا ثناء من الخلق ولا غير ذلك ولا من شيخه أيضا إن كان كامل الصدق.....وقد زلت أقدام الكثير في هذا الباب إن وجد ما ينفق فرح وقدم على الشيخ، وإن لم يجد حزن وانقطع عن الشيخ.

- ومن آداب المريد أن لا يعتمد على شيء دون فضل الله ورحمته وإن كانت له علوم وأحوال ومقامات وكرامات وأسرار لا تعد ولا تحصى، إذا وقف مع شيء من ذلك حجبه عن الله سبحانه أحب أم كره.

- ومن آداب المريد الكامل إن كان له فتوح أي إتيان رزق في داره إن كان له دار، وإلا ففتوحه وقت اضطراره لا غير، فإن كان لمن له دار وأهل وإخوان مثلا وكان عنده قوت ثلاث أو شهر جاءه في دفعة واحدة فليجعله لله وليطعم به كل من جاءه محتاجا، وإن قالت له نفسه احتل على هذا فلا يسمعها وليزد على يديه، ولا ينبغي له أن يزيد الفتوح على الفتوح.

- ومن آداب المريد الصادق أن يلزم بابين من أبواب الله العظام الذي كل من قصدهما دخل في ساعة واحدة وهما: الثقة بالله والاكتفاء بعلمه سبحانه، فمن وجد في نفسه هاتين المزيتين فليعلم أنه من أكابر أهل الله نفعنا الله ببركاتهم.

- ومن آداب المريد الصادق الذي هو صاحب التجريد أن لا يخلط تجريده بالأسباب قبل الرسوخ والتمكين في الفناء، فإن فعل ذلك فقد انحط من رتبة القرب إلى رتبة البعد.

- ومـــن آداب المريد الصادق أن لا يتعرض لملاقاة الجبابرة، وإن تعرضوا له وقـــصدوه إلى داره فالواجب عليه أن يفر منهم فرار الشاة من الأسد وإن ألحوا عليه فليخرج من طاعتهم إلى طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، إذ كل من تعرض لهـــم فتـــنوه عن دينه أو سرقوه وسلبوه، ولا ينجو من ميل قلبه لجاههم ومالهم إلا الرجل القوي... فاحذر أيها الفقير صحبتهم وصحبة المتصوفة الجاهلين وهي أقبح منهم بكثير... ويليهم في طمس بصائر الناس القراء المداهنون.

- ومـــن آداب المريد الصادق أن لا يجاور شيخه إلا إذا كان خادما له قائما بكل ما يحتاج إليه الشيخ من رعاية المواشي والحرث والحطب وسقي الماء وطحن الـــرحا وكـــنس الزاوية وحول الدار والارواء وسائر ما يخدمه من المماليك وأكثر وأكثر لأن هذا طالب رضاء الحق، والمملوك طالب رضا الخلق.

- ومـــن آداب المريد أيضا ألا يقطع زيارة إخوانه في ربه ولا يحقر صغيرهم ولا يهمل فقيرهم ولا يرفع نفسه فوق جاههم فليَسر بسيرهم، وينبغي له أن يعظم الـــصغير ويكرم الفقير ويعلم الجاهل ويتأدب مع المسيء منهم إذ بذلك يسير هو ويسيرهم، وينبغي للزائر أن يترك الطمع من حيث هو ويقصد بزيارته وجه الله تعالى إذ بـــذلك ينشرح قلب الزائر والمزار..... ولا بأس بالمزار إن كان عنده شيء أن يكـــرم به أخاه فهو من أحسن ما يكون، والبخل من أقبح ما يكون في الصوفي ولا يكون الصوفي بخيلا قط.

وأيسْ نفسك من الدنيا كل الإياس ثم أيس نفسك من الجاه عند الخلق تنال بالفقـــر والـــذل أعلى المراتب، فإن لم تقدر عليها فعليك بالقناعة والمسكنة وحب المـــساكين والدنو منهم والجلوس معهم فإنك تنال التواضع بتواضعهم وتنال الزهد بزهدهم، وأما إذا جالست الأغنياء وأهل الجاه والرئاسة فلا تطمع في خير من خير القلوب.

- ومـــن آداب المـــريد الصادق ألا يشتري من شيخه شيئا ولا يبيع له شيئا، وإنمـــا يشتري منه العلم بالله تعالى، ويبيع له نفسه لا غير، وكيف تبيع له وهو الغني بالله وأنت الفقير لله، وكيف تشتري منه الحس وأنت قصدته بنية شرائه منك ليدفع

لـــك في ثمنه المعنى، فإن فعلت ذلك فقد بطل قصدك وطاح تعظيمك واحترامك لـــشيخك ورجـــع ذلك دنيا وأنت لا تشعر، واستحي من الله أن تتكلم أمامه على الدنيا وأنت تريد الآخرة.....وكذلك أيضا لا ينبغي للفقير أن يبيع لأخيه أو يشتري منه فإنهم أحباء في الله تعالى وعليه اصطحبوا وفيه تحابوا وتوادوا، وإذا دخلت الدنيا بينهم فسدت تلك الصحبة وانقطعت تلك المودة وزالت تلك المحبة.

اعلم أنه لا شيء أنفع لفيض المدد الإلهي من مودة الأخ للأخ في الله لا سيما الشيخ أكثر وأكثر إذ بنفس ما توده في الله تمتد لله.

- ومن آداب المريد الصادق ألا يتزوج امرأة شيخه المطلقة مثلا ولا غيرها....ولا ينبغي للفقير الصادق أن يتزوج امرأة شيخه إذ لا تحل له في مذهب أهل الصدق والتعظيم وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى ﴿ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: 53]، وقد قلنا إن المريدين الصادقين بمنزلة الصحابة مع مولانا محمد صلى الله عليه وسلم، وهذه الآية في أزواج مولانا محمد صلى الله عليه وسلم عامة وفي أزواج الشيوخ خاصة بالفقراء فافهم.

وأما ابنة الشيخ فلا بأس للفقير الصادق أن يتزوجها إن علم أنه يقوم بالأدب معهـــا كما يقوم مع أبيها وذلك قلَّ أن يوجد لأن النساء أضعف العقول، وهذا إن أذن له شيخه فيها، وإلا فحرام عليه أن يطلب ذلك منه أو يعلق قلبه بذلك فكل هذا من أعظم سوء الأدب فافهم.

- ومن آداب المريد المتجرد وخصوصا صاحب الفكرة ألا يكون له وقت ثان ينتظر ما يفعل فيه فإن ذلك يشوش عليه فكرته ويفرق همته، ولذلك قالوا الفقير ابن وقـــته، فالواجب على صاحب الفكرة أن يكون كل ساعة ينظر ما يبرز من عنصر القـــدرة فيـــتلقاه بالمعـــرفة، وكل ساعة يرى أنها آخر عمره، فبهذا تشتعل الفكرة وتصفى النظرة، ومن لم تصف له الفكرة والنظرة فالبطالة لازمة له، فالفقير بلا فكرة كالخياط بلا إبرة.

فهرس: ينبغي - لا ينبغي

- وينبغـــي لهذا المريد أن يروض نفسه وأن يلزمها تعظيم المؤمنين جميعا ولا ســـيما الأولـــياء منهم وأحرى وأحرى الشيخ الذي أخرجه من ظلمات الشهوات وأنقذه من نار نفسه وسرحه من سجن حسه فهو أولى بالتعظيم من كل أحد.

- فـــلا ينبغي له أن يرفع بصره في الشيخ إلا كرفع المرمود بصره في الشمس وإلا خلا قلبه من التعظيم ورجع عنده كأحد الناس.

- وينبغي لهذا المريد أن يضع علمه وراءه ولو كان عالما.

- ولا ينبغـــي لـــه أن يلـــتفت يمينا وشمالا ما دام أمام شيخه في مجلس الذكر والمذاكرة، فإن قام الشيخ فليلتفت إلى أين شاء إن كان راسخ القدم في الحضور وإلا فليستحضر شيخه ومذاكرته بين عينيه في كل مجلس حتى يحصل له الحضور مع الله تعالى.

- وينبغي للمريد أن لا يرى نفسه أهلا للتقديم [أي التقديم للصلاة] بأحد من المسلمين فضلا عن أوليائه تعالى.

- وينبغي لهذا المريد أن يروض نفسه بترك الطمع ويلزمها الزهد والورع حتى يعرف من يطعمه ويسقيه ويكسيه ويحركه ويسكنه، ولو ترك الطمع ورفع همته إلى الله تعالى لكانت الأشياء تابعة له فافهم.

- وينبغي لهذا المريد أن يملك نفسه للشيخ ليقوده إلى عالم الملكوت ويقف به على حضرة أهل الجود والكرم، فيعظم الآخرة على الدنيا، ويحب الانتقال من هذه الـــدار الفانـــية إلى الـــدار الباقية، ويشهد الدنيا سوقا في طريق الآخرة يتزود منه السائرون.

- وينبغي له أيضا ألا يشتكي بالفقر وإذاية الخلق ولا للإخوان ولا لغيرهم، بل يلزم نفسه المجاهدة والمكابدة والصبر على معرفة الله.

- وينبغـــي لهـــذا المريد أن يروض نفسه وأن يلزمها الذل حتى يرجع بمنزلة الكلب الأبرص يستثقل الناس النظر إليه فضلا عن القرب منه لأكل أو غيره، لتذوب

نفسه وتفنى وتضمحل وترق وتدق ليسرع دخولها من باب الحضرة، لأن باب الحضرة ضيقة على النفس المتكبرة بالمال والجاه أو غير ذلك من العلل التي منعت كثيرا من الناس دخول الحضرة.

- والمريد ينبغي له الحياء من سائر المسلمين ويراقب فيهم نور الإسلام الذي هو من نور رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو من نور الله، ويعظم الحياء في حق الأولياء لعظم نورهم وسواء كانوا أحياء أو أمواتا، وفي حق الأحياء أعظم.

- وينبغي للمريد أن يجاهد نفسه في الخروج من وادي النفاق وأكثر ما يقع مع المدَّعين والجبابرة وأرباب أهل الدنيا.

- وينبغي لهذا المريد أن يروض نفسه ويلزمها الصمت والجهل ظاهرا وباطنا حتى يصير كالبهيمة لا تتكلم إلا عند إرادة إشباع بطنها، هذا لمن أراد النصح لنفسه.

- والذي ينبغي أن يطلب المريد من شيخه أن يذكره الله وينسيه نفسه ويزهده في الدنيا ويرغبه في الآخرة ويعرفه بحقيقة ما خُلق لأجله من العبادات لله خالصا ويقهره عن الشهوات بمذاكرته وهمته ويمنعه الدعوات ويحبب له أوصافه ويقوده إليها بسياسة حتى لا يدري أي وقت حصلها ويصلحه مع الفقر وغيره حتى يكون الدين كله لله.

- وينبغي لطالب الصدق أن يصحب شيخا عارفا بالله تعالى يسلك به مقام الخوف من الله تعالى حتى يضعف حجابه الكثيف فيستحضر الآخرة كل وقت وحين ويرى الدنيا كأنها لم تكن ويرى النار كأنها إنما خُلقت لأجله ويرى أنه يستحق النار بأفعاله القبيحة، ثم يسلك به مقام الرجاء حتى يرى الجنة كأنها إنما خُلقت لأجله، ثم يجمع له بينهما، فإذا تمكن مقام المراقبة نقله إلى مقام الغيبة حتى يكون الكون معدوما في نظره من شدة ما أشرق على قلبه من أنوار التوحيد، ثم ينقله إلى مقام الحضور حتى يتم سلوكه فيرى الكون موجودا، فإذا انتهى إلى المشاهدة تركه وربه.

- وينبغي أيضا لمن محبته ضعيفة أن يبديها ويصرح بها فإن في إظهارها إعانة له على دفع الظنون والشكوك والأوهام التي هي من جنود النفس الأمَّارة.

- وينبغي للمريد إذا كان في موضع من مواضع الغفلة أن يشتغل بذكر الله سرا وجهرا ولا يتراخى حتى تنحل باب مدينته ولا يبالي بكل من دخل، فإن العدو يدخلها ويملكها ويخرجه منها قهرا، وحينئذ تخطفه السباع واللصوص وهي الشهوات، فاغلق يا أخي باب مدينتك، وكن عساسا على الدوام، ولا تطلب الراحة والهناء قبل التعب، والله المعين.

- وينبغي لك أن تجدد النية كل يوم كذا وكذا مرة، لأن تكرار الشيء يدل على محبته، ومن أحب شيئا أخذ منه نصيبا، ونية الجهاد جهاد وإن لم يتحرك صاحبها.

- وينبغي لك يا أخي أن تنظر كل صباح إلى سير أمسك لتسير سيرا أقوى منه، وإياك أن يكون سير يومك أقل وأضعف من سير أمسك فإن ذلك يوقفك، وإن وقفت رجعت، وإن رجعت فإلى بلد العوام انتهيت، بل ربما جُزت مقام العوام في الانحطاط.

- وينبغي لصاحب الرياضة أن يتحرز من مجالسة الضعفاء غاية التحرز وهم ضعفاء اليقين، فإن القرب من الضعفاء يضعف الأقوياء فضلا عن الضعفاء.

- لا ينبغي له أن يطلب من الشيخ تزكيته فإن ذلك من أعظم سوء الأدب، لأن الواجب على المريد أن يكون في خدمة شيخه كالعبد المخلص في عبادة ربه لا يرجو جنة ولا يخاف نارا، والذي ينبغي له أن يطلبه من الشيخ الاطلاع على دسائس نفسه حتى يصلح لمجالسة ربه، ومن طلب غير هذا فقد انحط من رسم المريدين إلى مقام العوام.

- الإذن عطية قديمة مخصوص بها أهلها في سابق أزله وهي تطلب أهلها لا أهلها يطلبونها، بل ينبغي للمريد أن يكون في أموره كلها هكذا فلا يطلب شيئا حتى يطلبه ولو كسرة خبز، فإن الشيء المفروغ منه لا بد لك منه.

- لا ينبغي لنا أن ندل إخواننا الفقراء الملازمين لنا على الراحة والهنا قبل الوصول، لأن السائر إذا سكت عنه شيخه يقع له الكسل والعجز فيحصل له الملل من الرياضة فيرجع إلى أدنى رتبة العوام.

- لا ينبغي لنا أن نرخص لمن علمنا منه الصدق في طلب الحق تعالى في شيء من الدنيا، فإن الرخصة فيها تفسد عليه صدقه، ولا بأس أن نرخص له في شيء منها بعد الوصول لأنها لا تضره، وكذلك نرخص في شيء منها لمن علمنا منه ضعف اليقين وقلة الصدق فإذا قوي يقينه أمرناه بالانسلاخ منها لتنسلخ منه هي بالكلية.

- لا ينبغي لنا أن نمدح كثيرا من السائرين إلى الله سبحانه لأن ذلك يضرهم وينقصهم لأجل العلة الباطنية التي هي حب المدح والجاه والرفعة وغير ذلك، فلعدم تحققه بالإخلاص إذا سمع الشيخ يمدحه حمل ذلك على غير ما أراده الشيخ فيطيش إلى الكمال فتزل قدمه فيهلك فلا إلى النهايات وصل ولا هو في البدايات بقي.....نعمْ إن علمنا من بعضهم وتحققنا أنه لا يسير إلى الله إلا بالمدح لضعف صدقه وقلة تحقيقه فهذا لا بأس أن يمدح مدحا خفيفا، وأما المدح الكثير فإنه يضره وينقصه.

- لا ينبغي لصاحب العلم أن يضعه أين ما وجد، بل يختار له أهل الفضل والجود وأهل الصدق والإخلاص وأهل المحبة والمودة وأهل الخدمة أعني خدمة الشيخ والإخوان.

- ولا ينبغي للمريد أن يتتبع الشهوات المباحة بنفسه فكل ذلك بعد عن ربه لأنه طالب الخصوصية الكبرى.

- وينبغي للفقير الصادق أن يكون فعله أكبر من قوله، وذلك لئلا يُختبر فيما ادعاه فيفتضح.

- ولا ينبغي للفقير أن يتكلم في شيء من غير ضرورة، وإن أتته الضرورة فليتكلم قليلا، لأن الكلام طبع النفس.

- وينبغي للفقير الصادق أن يشتغل بمراعات قلبه مع الأنفاس واللحظات حتى يذوق حلاوة محبة ربه، ولا ينبغي له أن يتكلم إلا على الله ولا يسكت أيضا إلا على الله حتى يصير صمته بالله وكلامه بالله فإذا تكلم بعد هذا قال صوابا.

- وينبغي للفقير الصادق أن يفتح على نفسه كل يوم وليلة خمسة أبواب: الأولى القناعة بما هو أسهل، الثاني التوكل على الله، الثالث الإيثار بالقليل أو بالكثير،

الرابع السخاء بما عنده، الخامس ترك الطمع لما في أيدي الناس.

- وينبغي لطالب الإخلاص أن يريض نفسه عليهما [أي على الثقة بالله والاكتفاء بعلمه سبحانه] كما يريضها على كثير من أنواع العبادات.

- وينبغي للفقير الصادق أن يسمع كلام شيخه بقلبه وجوارحه ليقرب عليه الفتح، ولا ينبغي له أن يكون كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون، وما طال الفتح على المريدين إلا من قلة الاستماع لا غير، ولو سمعوا لفتح عليهم بنفس ملاقاتهم مع الشيخ.

- ولا ينبغي للفقير الصادق أن يطلب الإذن من شيخه في التربية والزيارة والزاوية وغير ذلك كل ذلك سوء أدب على الله وعلى الشيخ، ولا ينبغي له أن يطلب منه سوى معرفة نفسه فإذا عرف نفسه عرف ربه كما في الحديث الشريف، ومعرفتها هو أن تعرف وصف الروح من وصف النفس، ووصف الروح هو المحمود، ووصف النفس هو المذموم.

- وينبغي له [أي بخصوص إخوانه] أن يعظم الصغير ويكرم الفقير ويعلم الجاهل ويتأدب مع المسيء منهم، إذ بذلك يسير هو ويسيرهم، وينبغي للزائر أن يترك الطمع من حيث هو ويقصد بزيارته وجه الله تعالى، إذ بذلك ينشرح قلب الزائر والمزار.

- لا ينبغي للفقير أن يبيع لأخيه أو يشتري منه فإنهم أحباء في الله تعالى وعليه اصطحبوا وفيه تحابوا وتوادوا، وإذا دخلت الدنيا بينهم فسدت تلك الصحبة وانقطعت تلك المودة وزالت المحبة ورجعت النفوس كما كانت أول مرة فتراهم بعد هذه الحالة يتهارشون على الدنيا كما يتهارش الكلاب على الجيفة وأكثر وأكثر.

- وينبغي لطالب الحضور أن يسلك على يد شيخ ذي همة قاطعة إذا ذكَّرَك سَيَّرَك، وإذا نظرك غيبك، وإذا هَمَّ بك حفظك ورعاك، ومنعك تدبيرك واختيارك، وعَرَّفك بقبيح أفعالك، ورقاك إلى مقام كمالك، والله غالب على أمره.

فهرس: عجبتُ - العجب

- عجـــبتُ ممن يقرب من الدنيا وأهلها ويدعي ذكر الله بقلبه، وعجبتُ ممن يبعد من الدنيا وأهلها ولا يذكر الله بقلبه وجوارحه إلا إذا كان ميت القلب.

- عجبتُ ممن يدعي حقيقة الأشياء مع حياة نفسه، ويطلب الحضور مع ربه وهو حاضر مع غيره، ويطلب حضور الله معه وهو لم يحضر مع الله في كل نفس.

- عجبا لمن يدعي الخروج عن نفسه ولا يقدر أن يخرج ما في يده.

- العجـــب ممن يدعي التمسك بالسنة المحمدية وهو يهتم بالرزق ويخاف من الفقر.

فهرس: عَلى قدْر- بقدْر

- الشيخُ على قدر ما يكون عندك، تكون عنده.

- فعَلى قدر ما يظهر من التعظيم في المريد، يظهر عليه من التنوير والعكس.

- والإجابة عند أهل التحقيق على قدر الأدب.

- فـــبقدر مـــا يتذلل العبد لربه بنية التخلص من نفسه والتواضع لله، يعزه الله ويرفع قدره.

- الله تعالى يعطي لعباده بقدر ما أعطاهم من الإخلاص.

- بقدر ما يترقق العمل يترقق العلم.

- واعلم أنه بقدر ما يقول الفقير لنفسه كنْ فتكون، يكون بقدر ما يقول لربه كن فيستجيب له بفضله.

- والمدد بقدر التعظيم.

- فـــإن المقامات تعطى على قدر التخلق بها لمن كانت له نية حسنة، إذ النية تقود صاحبها لسر الأعمال، إنما الأعمال بالنيات.

فهرس: إنْ أردتَ

- فـــإن أردت أن تعرف ما عندك من حرمة الله وحرمة رسوله صلى الله عليه وسلم فانظر ما عندك من حرمة شيخك.

- فـــإن أردت يـــا أخـــي أن تكون منهم فتخلقْ بأخلاقهم، ومن لم يتخلق بأخلاقهم فلا يطمع في نيل مراتبهم ولو كان على عبادة الثقلين إلا إن كانت له فيهم محبة عظيمة وكان يؤثرهم على نفسه.

- فإن أردت يا أخي أن تدخل حيث شئت فلا تكفّ قلبك عن الحضور، فإن الله تعالى يحضر معك في كل موضع حضور الرضا ويحفظك من سابق القضا.

فهرس: مَنْ أرادَ

- فمَـــنْ أراد أن يعرف مقامه في الذكر فلينظر ما عنده من حسن الخلق، فمن غلب عليه حسن الخلق فهو صاحب يقظة، ومن غلب عليه سوء الخلق فهو صاحب غفلة.

- ومن أراد الخير كله فعليه بالأدب مع الله ورسوله ولا يتحرك في شيء حتى يستحضر الله ورسوله والملائكة، فإن كان هكذا فالتقوى حاصلة مع الحجر والمدر وغير ذلك.

- ومـــن أراد تمكين النور من قلبه وسكونه فيه فليعالج نفسه بثلاثة أمور هي مفـــتاح الـــباب: الأول المواظبة على العزلة، الثاني المواظبة على الصمت، الثالث المواظبة على الفكرة مع قلة الطعام.

- مـــن أراد الله به خيرا أقامه في المجاهدة وفتح له باب الحضور حتى لا يخطر بباله غير ربه، وحينئذ تحفظ جوارحه من سائر الفواحش، وهذه ثمرة المجاهدة.

- فمن أراد أن يمتد قلبه من أنوار الحضرة فليمنعه من دخول مدد الظلم عليه، ومـــن أراد مـــنعه من ذلك فليمنع جوارحه من العوائد التي منعته من جميع الفوائد ومرَّرتْ عليه سائر اللذات، ورأس العوائد الدنيا.

- فمن أراد صفاء بصيرته فليلزم أهل الصفاء من أهل الخفاء.

- مـــن أراد الله أن يعطيه أسراره أعطاه المفتاح الذي يفتح به على هذا السر العظيم وهي العبودية الخالصة التي ليس للنفس فيها طمع.

- ومن أراد نصاحة أخيه فلينصحه بالحال وليترك المقال، لأن المقال للشيخ،

والحال مشترك فيه مع الفقراء، فصارت التربية بالحال جائزة على هذا الوجه من غير إذن لهم فيه فافهم.

- فمـــن أراد حصول النية في القرب فليصدق ولا يكذب، فوالله ما لزم أحد الصدق وخاب من النية قط، ولو لم تكن عنده لجاءت سريعة.

- فمـــن أراد أن يكون عالما عاملا زاهدا ورعا حليما كريما متواضعا صابرا قانعا عارفا بالله كل المعرفة فليخرج من قلبه حب الناس وحب ما هم عاكفون عليه.

- ومن أراد بشهود العظمة على الدوام فعليه بذل نفسه لله، ولا يسعى إلا في الأســـباب الموجبة لحطها وإهانتها وتصغيرها واحتقارها وعجزها وضعفها وفقرها وفاقـــتها واضطرارها وإنزالها في كل منزل هو لها، ولا يسعى في شيء من حظوظها ظاهـــرا ولا باطنا، وعند ذلك تنال الروح حظها، لأن حظ النفس وحظ الروح لا يجتمعان، ومن أراد الحظوظ كلها فليلزم ما ذكرناه.

فهرس: مَنْ لمْ

- ومن لم يسلك سبيل الرياضة فهو مملوك في يدها [أي في يد النفس] مقهور تحت حكمها.

- ومن لم يحمل الفقر والإذاية، فليس له نصيب في الولاية.

- فمن لم يجمع بين الضدين، فليس بواصل مواصل العرفان.

- فالعاقل من يزن سير الأوقات بميزان العدل وينظر ما زاد وما نقص، ومن لم يزن أوقاته بطلت نفقاته.

- ومن لم يخرج من رؤية السوى لا يجد لرؤية الحق سبيلا.

- ومـــن لم تكن له بصيرة، لا ينبغي له أن يدل أحدا على دخول الحضرة وإن كان من أهلها، إلا أن يتذاكر مع الجميع دون أن يخصص أحدا على دخول الحضرة.

- ومـــن لم يـــبلغ شهود التحقيق بالتحقيق لم يمتح من قلبه جمال الجنان ولا جلال النيران لرؤية الخلق، ومن لم تمح من قلبه صور الكائنات لا يشم رائحة العلوم اللدنية والأسرار الغيبية.

- ومن لم ير الأفعال كلها من الله ذوقا وكشفا فمراقبته ليست بساكنة في قلبه وإنما هي عن ظاهر قلبه، وسكون المراقبة في القلب ينشأ عنه المشاهدة.

- ومن لم يظهر فيه الخراب فلا يخلو من البواقي وإن كان عارفا.

- من لم يفتقر من الدنيا لا ينذل، والذي لا ينذل لا يشهد العز الحقيقي الذي هو محجوب بالعز المجازي، فافهم.

- ومن لم يفهم مراد العلم وقف معه واستقر به دون الله، فكان طالبا به الجاه والرفعة وحب الرئاسة وأخذ ما في أيدي الناس وتعظيم الناس له وإقبالهم عليه، وهذا هو العلم الذي لا ينفع الذي استعاذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- ومن لم تصف له الفكرة والنظرة فالبطالة لازمة له، فالفقير بلا فكرة كالخياط بلا إبرة.

- ومن لم يصل إلى الحقائق المباحات، فليس هو من أهل التجريد.

- فمن لم يعبد الله بقلبه، فليس بعابد على التحقيق.

- ومن لم يسلك على يد أهل الأحوال، فلا يجد طريقا عن طريق الأقوال، وكيف يكون الوصول بالأقوال دون الأفعال.

فهرس: مَنْ

- ومن زعم أنه يتقي الله وهو يحب الدنيا وأهلها فقد كذب، لأن التقوى قلبية، ولا يَسَعُ القلبَ إلا شيء واحد.

- ومن زعم أنها [أي الفطرة] تُدرَك بشيء من أوصاف الخلق أو العقل فهو جاهل بها على التحقيق، إذ لا تعرف الفطرة إلا بها أي بنفسها، ولا توصف إلا بها.

- الفكر وحده ضامن للأوصاف الحسنة كلها، ومن ذلك الصمت والعزلة، ومن ادعى أنه غاص في بحر الفكر وبقي فيه وصف مذموم فما شم لطريق الفكر رائحة.

- من أساء الأدب مع الإخوان لا ينجح منه شيء، ولا يصفى له الأدب مع العامة ولا تصفى له نظرته فيهم.

- ومـــن رأيته يعجبه حاله ويقبح حال غيره، فاعلم أنه يزول عنه حاله سريعا ويرجع أقبح مما كان.

- مـــن طلب الدخول في حال من الأحوال أو الخروج من حال إلى حال بلا إذن شيخه، فلا يرى في ذلك خيرا قط.

- ومن شكر الله على القليل، أغنى الله قلبه ورزقه القناعة ومنعه التدبير والاختيار، وقطع عنه جيوش الحرص وظلمات الأغيار، وكساه رداء السكينة والوقار.

- ومـــن كـــان كثير الشكوى لا يصلح للحضرة، لأن الحضرة لا تصلح إلا للرجال.

- ومن أعرى ظاهره من حلة الحياء، أعرى الله باطنه من حلة الإيمان.

- ومن جمع بين الفقر والغنى والذل والعز والفقد والوجد وغير ذلك، فقد أمن شر كل البواقي.

- ومن كمل صدقه، كملت ولايته.

- ومن أحب شيئا أخذ منه نصيبا، ونية الجهاد جهاد وإن لم يتحرك صاحبها.

- فمن طلب اليقظة وجلس في مواضع الغفلة، فقد طلب المحال.

- ومـــن رأيته قليل العلم كثير العمل، فاستدل بذلك على أن قلبه عامر بحب الله ورسوله ومراقبته وخوفه وهيبته وسطوته وحيائه.

- ومـــن خطر بباله أنه خير من أحد من المسلمين، فقد اشترك مع إبليس في المقام، حيث قال أنا خير منه.

- من طلب الأنوار بكسوة الأحرار، طلب الأغيار ودوام الأكدار.

- فمـــن كشف الله عن حقيقة ولي، فليعلم أنه أراد سبحانه أن يكشف له عن حقيقة سر توحيده، لأن الولي دليل يدل به الحق سبحانه على نفسه.

- من تخلص، لا يكترث ولا يبالي على أي حال كان سُفليا أو عُلويا، فقيرا أو غنـــيًّا، عالمـــا أو جاهلا، ذليلا أو عزيزا، مريضا أو صحيحا، غائبا من الأحوال في المحوِّل.

- ومن رأيته كثير الاجتهاد في الأسباب الدنيوية، فاعلم أن قلبه خال من حب الله عز وجل.

- من اشتغل بالله تعالى، كفاه عداوة عدوه وأفاض عليه من علمه وسره وفهمه ما لو كان أهل السماوات والأرض أعداء له كلهم لوسعهم حلمه.

- ومن كان بحضرة المشايخ وغلبت ظلمته على نوره، فهو أشد حبًّا لنفسه، والذي هو أشد حبًّا لها هو أشد حبًّا للدنيا.

- من أحب شيئا كان له مملوكا أحب أم كره، والمِلكية لا تصح حقيقة إلا لله سبحانه.

- فمن أحبه مولاه منعه من الشهوات والدعوات اختيارا أو قهرا، ومن أبغضه أعطاه الشهوات وأطلق على لسانه الدعوات.

- من رأى الحق، لا يخطر بباله رؤية السِّوَى.

- من راقب الله خافه، ومن خافه اتقاه، ومن اتقاه أحبه، ومن أحبه آثره، ومن آثره فني فيه، ومن فني فيه بلغ قصده ومناه.

- ومن ادعى الشهود مع التعرف للخلق، فشهوده علمي فقط، ولو كان شهوده حاليًّا لأغناه عن رؤية الخلق.

- فمن عرفه معرفة العيان كان مقامه مقام الأدب، ومن عرفه معرفة البرهان كان مقامه مقام العبادة.

- ومن فني عن نفسه وبقي بربه مع وجود الصحو، فهو الكامل.

فهرس: كلُّ مَنْ

- وكل من اختار صحبة الضعفاء [أي ضعفاء اليقين] وهو سائر في الطريق، فلا يطمع في الوصول إلى الحضرة لعكوف قلبه على حضرة الدنيا.

- كل من رأيته قانعا من الأحوال وراغبا في الأقوال، فاستدل بذلك على أن قلبه محشو بحب الرياسة والجاه وحب الرفعة والثناء من الخلق وطول الأمل، وكل ذلك من عمى البصيرة.

- وكـــل من خطر بباله غير العظمة، فهو مسلوب من نور العلم المخصوص بالإحسان مع الجميع لشهود وحدة الذات.

- وكل من رأى علمه أو عمله أو حاله، فهو صاحب كبر وعجب.

- وكـــل من وصل للحق تعالى من غير باب التجريد، فلا بد أن يظهر عليه شيء منه عند نهايته جزما.

- وكل من حضر علم التحقيق، صبر واحتسب ورضي لمراقبة الحق تعالى في خلقه، لأن العبد إذا راقب الله تعالى استحيا منه أن يؤذي عبيده.

- كـــل مـــن تخلص من بواقي الكبر، فاضت عليه العلوم وترادفت عليه الفهوم وحيي قلبه بالأسرار وظهرت على جوارحه السكينة والوقار وخاف منه كل جبار عنيد.

- كـــل من هو عزيز بنفسه، تجده ذليلا في عزه أبدا أحب أم كره، ومن هو ذليل لربه فهو عزيز في ذله أبدا أحب أم كره.

- فكـــل من اكتفى بعلمه [أي علم الله تعالى] ووثق بربه من الفقراء الطالبين للفـــناء في الذات حصلوا على مقصودهم في الحين وتفيض عليهم العلوم حتى تكلّ عنها الفهوم.

- فكـــل من تحقق بسره [أي سر النبي صلى الله عليه وسلم] وغاية قصده، رأى صورته الشريفة في نفسه وفي سائر الكائنات، وهذا هو القرب التام.

- وكـــل من افتتن قلبه تشتت فكره، وكل من تشتت فكره تخبل عقله، وكل من تخبل عقله نسي دينه.

فهرس: كل

- كل مجاهدة ليس لها نتيجة حضور، فهي مجاهدة رياء وسمعة.

- كل نفس طلبت وصف العلو، فهي غير متحققة.

- كل عبادة خالصة، راجعة إلى هذين الأمرين [أي الثقة بالله والاكتفاء بعلمه سبحانه].

- كل عداوة نشأت إنما هي بسببها [أي بسبب الدنيا].

فهرس: كُله- كُلها

- العـــبادات كلها من هي قولا وفعلا راجعة إلى الأدب، فلا يحيط بها إلا من حصَّله.

- الفقر والمسكنة عنهما تفرعت العبادات كلها.

- فالعلم كله نتائجه الأدب، والجهل كله نتائجه سوء الأدب.

- والأدب كله من مشاهدة الحبيب، وذلك كأصحاب الملك الدنياوي تراهم إذا شـــهدوه تأدبوا معه قدر استطاعتهم: فمنهم من يديم الجلوس معه وذلك لشدة أدبه ومنهم تارة بتارة بحسب قربهم منه.

- والأعمال كلها راجعة إلى الإيمان واليقين، إذ هما غاية القصد والمنى، ومن لم توصله أعماله إلى هذا فهي مدخولة معلولة.

- ثمرة الأعمال كلها راجعة إلى المحبة والشوق.

- الفكر وحده ضامن للأوصاف الحسنة كلها ومن ذلك الصمت والعزلة، ومن ادعى أنه غاص في بحر الفكر وبقي فيه وصف مذموم فما شم لطريق الفكر رائحة قال تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الرعد: 13].

- والكبر هو أصل الخبائث والرذائل كلها.

فهرس: أساس

- أســـاس كل وصف مذموم بعد ملاقات الشيخ عدم الاستماع.....والسمع هو المقرون بالامتثال وإلا فلا.

- الـــزهد في الدنـــيا هو أساس الزهد في النفس، والزهد في النفس هو أساس الزهد فيما سوى الله تعالى.

- وهـــو[أي الغضب] أساس الأعمال الفاسدة، كما أن الحلم أساس الأعمال الصالحة.

- والأدب أساس الطريق، عليه تبنى الأعمال والأحوال من صادق وصديق.

- والتعظيم هو الأساس.

- والبداية أساس النهاية.

فهرس: أصل

- والكـــبر هو أصل الخبائث والرذائل كلها، وهو قلب حب الدنيا، وهو دابة إبليس.

- فاحـــذر من الدنيا جهدك، واعلم أنها هي أصل كل عداوة في ابن آدم لابن آدم ولغيره.

- المحاججة أصلها طمس البصائر.

فهرس: سبب

- واعلـــم أنه ما طمع عبد في عبد مثله إلا فسدت الصحبة وانقطعت المودة ووقـــع الاغتياب في بعضهم بعضا والتشارر والحسد والبغض والتكبر على بعضهم بعضا، وهذا كله بسبب الطمع.

- وســـبب العُجْـــب رؤيـــة العلم والعمل، فالعاصي لا يقع منه عجب أبدا لانكساره بخلاف الطائع.

- فالعلم الذي لا يحقق صاحبه بوصفه فصاحبه جاهل في علمه، والجهل الذي يحقـــق صـــاحبه بوصفه فصاحبه عالم في جهله، وسبب الجهل مع العلم الرضا عن النفس والعكس.

- وسبب ورود النار البعد عن الجبار، وسبب ورود الجنان القرب من المَنان.

- سبب القبائح الغفلة عن الله، وسبب الغفلة حب الدنيا وهي رأس كل خطيئة وبلية.

- فمـــا منع الناس من الأسرار سوى التدبير والاختيار، وسببه طلب الزيادة، ولو حصلت القناعة لسقط التدبير.

فهرس: أول

- الكبر هو أول ما عُصي به الله، وأول ما عُبد الله به التواضع بدليل قوله تعالى ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

- فأول ما يظهر في النفس من الخير الذي يعتمد عليه عند أهل الخير السخاء وصدق الحديث وستر عيوب الناس والتجاوز عن المسيئين والدعاء لهم بالخير، لأنه يعلم أنه كان مثلهم وعافاه الله مما ابتلاهم به.

- فأول ما يظهر له وجوده ومع ثمَّ سائر الموجودات بالله لا بها.

- فأول عبادة القلب الفكرة، ثم النظرة، ثم السكون في الحضرة.

- فمَـثلُ النفْس كالمرأة، وحب الدنيا كالرجل، فإذا تزوج بها أول ما تلد له النفس الاهتمام، والاهتمام يلد له الشك، والشك يلد له البخل، والبخل يلد له الحرص، والحرص يلد له التدبير، والتدبير يلد له الاختيار، والاختيار يلد له الشرك، والشرك يلد الكفر وهو الشرك الأكبر.

فهرس: الحضرة

- الفكرة مفتاح، والحضور باب، والحضرة دار، فمن تمسك بالمفتاح لا بد أن يفتح.

- الاهتمام [أي بالرزق] يطمس باب الحضرة ويمنع دخول الفكرة.

- وما حجبنا عن أسرار الحضرة وأنوارها وشارها وغير ذلك سوى عدم تحققنا بوصفنا.

- باب الحضرة ضيقة على النفس المتكبرة بالمال والجاه أو غير ذلك من العلل التي منعت كثيرا من الناس دخول الحضرة، والحضرة معنى، ولا يدخل الحضرة إلا من كان معنى.

- ومن كان كثير الشكوى لا يصلح للحضرة، لأن الحضرة لا تصلح إلا للرجال.

- الحضرة لا يدخلها بخيل.

- فكن يا أخي موافقا لأستاذك في جميع أقوالك وأفعالك ليتخرج حسك بحسه ومعناك بمعناه وحينئذ تفتح لك باب حضرة الأولياء والملكية ثم باب حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم باب حضرة الله تعالى.

فهرس: حقيقة

- فإن لكل حق حقيقة، وحقيقة السؤال أن لا تترك شيئا مما عندك قليلا كان عندك أو كثيرا، وحينئذ تذوق حلاوته ظاهرا وباطنا، ظاهرا ذلاً وإهانة، وباطنا عزًا وولاية.

- واعلـــم أن حقيقة الكمال أن تشهد الحق في وجودك وليس لك وجود وأن تـــنفق الدنيا وما فيها إن وجدتها ولا ترى لك إنفاق، وليس من الكمال أن تشاهد الحق أقرب من شهودك أو ترى الحق مع وجودك أو تنفق الدنيا ثم يخطر ذلك على بالك إذ ذاك دليل على بقاء نفسك ورؤية الكون حدو أذنك.

- حقيقة الخصوصية الصدقُ في العبودية من غير تردد، وهذا ظاهر إذ كل من صـــدق في عبوديـــته كان عبد الربوبية ومن كان عبدا كان حرا، قلت والصدق في العبودية أن يكون عبدا بلا علة.

- حقيقة المعرفة موت النفوس وذهاب عالم المحسوس.

فهرس: علامة

- قال مولانا تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ ﴾ ، الآية.

ومن علامتهم أن تحن القلوب عند رؤيتهم وتنحل الأيدي المعقودة وتخضع لهم الرقاب المتكبرة.

- ومن علامة رسوخ الإيمان في القلب ظهور الحياء على الجوارح، ومن لم يظهر عليه الحياء فهو كاذب في دعوى الإيمان يصدق عليه قوله تعالى ﴿ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا ﴾ [الحجرات: 14].

- ومن علامة كمال الصدق أن لا يشير إليه أستاذه بشيء إلا فعله، ولو كان مزاحا، ولا يفعل شيئا إلا بإذنه.

- وعلامـــة من أُخِذَ قلبه [أي أخِذ قلبه وحصل في شبكة الشهوات] اللسانُ يـــشير إلى الخوارق، والجوارح تتعلق بالعلائق، أو نقول اللسان يشير إلى الرياضة،

والجوارح عاجزة عن الإفادة بميلها إلى العادة.

- من علامة القلوب الخالية، الألسنُ بالألفاظ مالية.

- واعلم يا أخي أن من علامة الإذن في التربية أن يثقل ذلك على المريد غاية الثقل لكونه لا يرى نفسه أهلا لذلك رؤية حال فتضيق روحه ولا يتقدم لذلك، ثم يؤذن له ثانيا فيثقل عليه أكثر من المرة الأولى، ثم يؤذن له ثالثا وحينئذ يتقدم من غير اختيار فإن لقّن أحدا أو ذكّر أحدا أو نظر أحدا ظهرت فيه من أسرار التوجه العجائب والغرائب، وهذه علامة الإذن من الله ورسوله وأوليائه.

- من علامة العلم بالله، حبُّ الفقر والمذلة.

- ومن علامة حياة النفس إذا مُدح صاحبها حيي بحياتها أي انبسط، وإذا ذم مات بموتها أي انقبض. ومن علامة موتها وفنائها واضمحلالها إذا مُدح زاد وإذا ذم زاد فلا يرى مدحا ولا ذمًّا لشدة يقينه في ربه وشهوده لقربه، ثم لتحققه أن الله تعالى إنما أبرزه لعبادته لا غير لم يزل على العهد.

- ومن علامات موت النفس والتخلص منها بالكلية أن يعمل صاحبها أعمالا كثيرة من أعمال أهل الإخلاص ولا تعظم في عينيه بل ولا يرى شيئا منها ولو مقدار ذرة.

- وعلامة المراقبة القلبية التي لا يشاهد صاحبها فاعلا إلا الله: حسن الظن وحسن الخلق وحب المؤمنين أجمعين.

- ومن علامة الحضور أن تنقلب مرارة المجاهدة عسلا.

فهرس: السلسلات

- وبالأدب الظاهر يحصل أدب الباطن أعني التعظيم، إذ سوء الأدب ينشأ عن عدم التعظيم، وعدم التعظيم من ضعف المحبة، وضعف المحبة من التفات القلب إلى الغير، فلو حصلت المحبة لحصل التعظيم، ولو حصل التعظيم لحصل الأدب، ولو حصل الأدب لحصل التحقيق.

- من راقب الله خافه، ومن خافه اتقاه، ومن اتقاه أحبه، ومن أحبه آثره، ومن

آثره فني فيه، ومن فني فيه بلغ قصده ومناه.

- لا تسقط إرادة العبد إلا إذا سقطت نفسه، ولا تسقط نفسه إلا بشهود الحق، ولا سبيل لشهوده إلا بالأدب، والأدب على قسمين: أولا مع الخلق بالمجاهدة وثانيا مع الحق بالمشاهدة، والثاني نتيجة الأول، ومن لا بداية له لا نهاية له.

- والراغب في الدنيا نزهده فيها لكي يستقيم ظاهره، وإذا استقام ظاهره عند ذلك نزهده في نفسه، وإذا زهد في نفسه دللناه على الرغبة في الله تعالى.

- واعلم أن الزهد في الدنيا هو أساس الزهد في النفس، والزهد في النفس هو أساس الزهد فيما سوى الله تعالى.

- فصاحب العبادة أدبه ظاهر غير باطن، وصاحب العبودية أدبه ظاهر وباطن لأنه عرف نفسه، ومن عرف نفسه عرف ربه، ومن عرف ربه فني في محبته، ومن فني في محبته زال عن حوله وقوته، ومن زال عن حوله وقوته تأدب معه سبحانه بكمال الأدب.

- فمثل النفس كالمرأة، وحب الدنيا كالرجل، فإذا تزوج بها أول ما تلد له النفس الاهتمام، والاهتمام يلد له الشك، والشك يلد له البخل، والبخل يلد له الحرص، والحرص يلد له التدبير، والتدبير يلد له الاختيار، والاختيار يلد له الشرك، والشرك يلد له الكفر وهو الشرك الأكبر.

- والقلب هو الفكرة النورانية العلامة الدراكة وهي سِرُّ العقل، والعقل سر النفس، والنفس سر الروح، والروح سر الله تعالى.

- ولو زالت الغفلة لزال الجهل، ولو زال الجهل لجاء العلم بالله، وإذا حضر العلم بالله كانت الناس كأهل الجنة.

- واعلم أنه ما سكن إليهم [أي سكن إلى الجبابرة] أحد بجوارحه إلا وافتتن قلبه أحب أم كره وهم عين الفتنة، وكل من افتتن قلبه تشتت فكره، وكل من تشتت فكره تخبل عقله، وكل من تخبل عقله نسي دينه، ومن نسي دينه سكنه النفاق والمداهنة والتصنع والرياء والطمع والحسد والبغض لأهل الله.

فهرس: الحِكَم

- لا تبقى دعوى خفية، عند وجود البلية.
- شكواه، تُكذّب دعواه.
- مـــن كـــان كـــثير الشكوى لا يصلح للحضرة، لأن الحضرة لا تصلح إلا للرجال.
- الحضرة معنى، ولا يدخل الحضرة إلا من كان معنى.
- باب الحضرة ضيقة على النفس المتكبرة بالمال والجاه.
- مَن لم يحمل الفقر والإذاية، فليس له نصيب في الولاية.
- مَن طلب الأنوار بكسوة الأحرار، طلب الأغيار ودوام الأكدار.
- مَن لم يزن أوقاته، بطلتْ نفقاته.
- مَن كمل صدقه. كملتْ ولايته.
- إذا أشرقت على القلوب الشموس، انهزمت الجوارح وفنيت النفوس.
- إذا قبلك وأحبك واجتباك، منعك حبهم وحبهم إياك.
- الإفلاس كل الإفلاس، مَنْ طلب الإخلاص بقربه للدنيا والناس.
- إنما منع القلب من دخول المعاني، إثباته للأواني.
- كل فقير متكلم، ليس بعالم ولا متعلم.
- مِنْ علامة القلوب الخالية، الألسنُ بالألفاظ مالية.
- الغنى لا يكون إلا بالله، ولا يكون بالمخلوق قط.
- الاهـــتمام بالـــرزق بلاء ونقمة، الاهتمام بالرزق ضيق وحسرة، الاهتمام بالـــرزق أساس لكل عثرة، وسحاب على سماء النظرة. ليس لصاحب الاهتمام إلى قمر المسير دليل، ولا إلى شمس الوصول سبيل. الاهتمام يطمس باب الحضرة، ويمنع دخول الفكرة.
- فمَـــا منع الناس من الأسرار، سوى التدبير والاختيار، وسببه طلب الزيادة، ولو حصلت القناعة لسقط التدبير، ولو سقط التدبير لجاءت الفكرة بالعلوم.

- فمَـا حصل التعب والمشقة إلا من عدم فقدان النفس، فلو فقدت لحصلت الراحة مع وجود المشقة والتعب في الظاهر، وأي تعب على من هو بالله، وأي راحة لمن هو بنفسه.

- فالعلم الذي لا يحقق صاحبه بوصفه فصاحبه جاهل في علمه، والجهل الذي يحقـق صـاحبه بوصفه فصاحبه عالم في جهله، وسبب الجهل مع العلم الرضا عن النفس والعكس.

- والرجوع إلى الله هو عين الولاية الكبرى، وكل أحد الولاية بحسب رجوعه إلى الله، وما خرج أحد من دائرة الولاية إلا من خرج من الرجوع إلى الله.

- تأدبـك مع أولياء الله تأدب مع الله، وكيف تتأدب مع الله تعالى ولا يقضي لـك جميع الحوائج، ولا يمنع حوائج الدنيا والآخرة من الأولياء سوى الأدب، وقد تعطـى بعـض الحـوائج مـع سوء الأدب لأجل الاضطرار لأنه مقرون بالإجابة، والإجابة عند أهل التحقيق على قدر الأدب فافهم.

فهرس: الأسئلة والأجوبة

- كان [أي سيدنا آدم عليه السلام] خليفة الله لأجل جمعه بين الضدين، فكل مـن اعتدل من ذريته صار خليفة، فإن قلتَ لِمَ لمْ يكن الخليفة من الملائكة ولا من الجـن؟ قلنا لأجل حكْم الروحانية على الجثمانية في غير الآدمي، فالاعتدال خاص بالآدمي ببركات مولانا محمد صلى الله عليه وسلم.

- فـإن قـال قائل كيف وهي [أي النفس] تقبل الحق والباطل؟ قلنا لتطبعها بالشهوات والعوائد انطمس عين بصيرتها فظنت بجهلها أن الباطل هو الحق، انظر إذا تنورت هل تقبل غير الحق حاشاها.

- وقـد سـألني بعـض الإخـوان رضي الله عنهم ذات يوم قال ما حقيقة الخـصوصية قلت له بتوفيق من الله: حقيقة الخصوصية الصدق في العبودية من غير تـردد، وهذا ظاهر، إذ كل من صدق في عبوديته كان عبد الربوبية، ومن كان عبدا كان حرا، قلت والصدق في العبودية أن يكون عبدا بلا علة.

- فـــإن قال قائل: المجذوب لا عبودية له. قلنا: هو في غاية العبودية وكيف لا يكون في العبودية وظاهره مثل المزبلة لا يبالي بنفسه ولا بأبناء جنسه وهذا من شدة العبودية لله عز وجل، لكن قلْ يا أيها الأخ لا شعور له بها من حيث غلبة الحال على عقله.

فهرس: الأمثلة

- والأشـــياء كامـــنة في أضدادها ككمون النار في الحجر ولا يخرجها إلا إذا قـــرنت بالهند وبعد ذلك بالضرب في بعضها بعضا عند ذلك تخرج، كذلك النفس هـــي بمنزلة النار، والآدمي بمنزلة الحجر، والعمل الثقيل بمنزلة الهند، والهمة هي التي تجمـــع هذا مع هذا، فإذا قرن العلم بالعمل وتلاطم هذا مع هذا لطما شديدا ظهر بينهما سر النفس الذي هو مخبَّأ.

- ومـــثل الذي يطلب اليقظة في مواضع الغفلة كمن يطلب رائحة المسك في العذرة، وهذا حمق كبير.

- وحقـــيقة الجمـــيع ليس هناك إلا تجلياته الظاهرة، ومثل ذلك ضياء الفجر المستـــضيء من الشمس، فإن الناس إذا رأوا الفجر تحققوا وتيقنوا بطلوع الشمس بعده فانحجبوا بضياء الشمس عن ضياء الفجر، وكذلك أهل التحقيق حُجبوا بالحق عـــن الخلق في وجود الخلق، كما حُجب الناس بالشمس عن الفجر في وجود الفجر فافهم.

- فإياك يا أخي أن تطلب الحرية قبل أن تطلبك، فإن من يطلبها قبل أن تطلبه كمثل من صلى قبل الوقت فصلاته باطلة.

- مـــن انـــسلخ منها [أي من الدنيا] مع وجود اليقين انسلخت منه لا محالة فيسير سيرا مسرعا كالذي هو في الطريق مسافر ولا عليه سوى ما هو ساتر عورته فإنه يقطع المسافة البعيدة في ساعة قليلة، وأما الذي يميل إليها بقلبه ويتبعها بجوارحه فهو كالسائر في الطريق وعليه ثقل شديد والمسافة بعيدة فإنه لا يرى أين يسقط.

- فـــإن صحبة الخلق لهم [أي للعارفين] كصحبة الناس للعَطَّار إن لم تنفق من

حانـــوته تـــذهب فيك رائحته، أو كصحبة الناس للبحر إن لم يأخذوا منه الحوت والجواهر يأخذوا منه طهارة الثياب والبدن.

- فـــتأخذ ما أمرك، وتترك ما نهاك، امتثالا لأمره واجتنابا لنهيه، وذلك علامة المعـــرفة بـــه، ومثل ذلك كأمير أحبك وأمرك بأن تدخل بعض بساتينه ونهاك عن دخـــول بعض مع حبه فيك، فالذي أمرك بالدخول فيه فيه الذكور من أهله، والذي نهـــاك عـــنه فيه الإناث من أهله، فإن تعديت قطع رأسك، كذلك الذي نهاك عنه سبحانه حقائق خفية لا يطلع عليها سواه.

- النفس إذا غلبت بطبعها على الروح، كانت عاشقة للجمال العاري، والجمال العاري مثله عند المحققين ﴿ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا ﴾ ، كذلك النفس تحب الأشياء فإذا ملكتها افتقرت منها وطلبت غيرها ولم تزل هكذا تعشق الشيء فإذا ملكته زهدت فيه لأن الغنى لا يكون إلا بالله ولا يكون بالمخلوق قط.

- كانـــت العلماء والصالحون تموت على الدين ولا ترجع عنه ولا يخافون في الله لـــومة لائـــم، واليوم أعط لهم الدنيا لا يتكلمون على الحق، وإن رأوه وعرفوه وحققـــوه، فمثل من هذا حاله كالكلب إذا خفت منه أعطه ما يشغله عنك واذهب ولا تخف، ومن كان عاقلا فليتأمل ما قلناه.

- فمـــثل النفس كالمرأة، وحب الدنيا كالرجل، فإذا تزوج بها أول ما تلد له الـــنفس الاهـــتمام، والاهتمام يلد له الشك، والشك يلد له البخل، والبخل يلد له الحرص، والحرص يلد له التدبير، والتدبير يلد له الاختيار، والاختيار يلد له الشرك، والشرك يلد له الكفر وهو الشرك الأكبر.

- والطمـــع هو المفرق بين الأحبة، فمثل المحبة كالنار الحامية والطمع كالماء الـــبارد، والمـــاء والنار لا يجتمعان قط، أو نقول مثل المحبة كالبارود الرفيع والطمع كالنار، مهما التقى هذا مع هذا أعني النار مع البارود ذهب البارود وبقيت النار.

فهرس: أدعية سيدي محمد البوزيدي

- وليستغفرْ [أي المريد] إذا قدَّمه الشيخ للصلاة وليقلْ: اللهم اجعل صلاتي بأوليائك رحمة بي ولا تجعلها نقمة عليَّ يا أرحم الراحمين يا رب العالمين.

- اللـــهم لا تحـــرمنا من خيرهم [أي الأشياخ] وبركاتهم وسرهم وحكمتهم وأنوارهم الساطعة بجاه نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إنك على كل شيء قدير.

- نسأل الله السلامة في ديننا وعقلنا بمَنه وكرمه.

- نسأل الله السلامة بمنه.

- فإن النفس لا تحب أن ترى جاهلة لكثافة حجابها. اللهم اجعل بيننا وبينها نظـــرة قلبية تحجبنا عن رؤيتها وتمنعنا دخول حضرتها الباطلة بمنك وكرمك أنْ لا يـــستحق أحد شيئا إلا بفضلك، فألهمنا اللهم أسباب القبول إلهاما حاليا كما ألهمت إبـــراهيم خليلك عند نزول بلائك، وغيَّبْنا بمعرفتك عند نزول جلالك، اللهم مَن أنعمـــتَ عليه فتحت له باب الرضا والتسليم وعرَّفته ذلك في نفسه وألهمته الصواب معـــك والأدب في حضرتك، فامننْ علينا بفضلك. اللهم من اخترته لحضرتك فقد أنعمـــت عليه بمعرفتك وهيأت له التعرفات لترفع له الدرجات وقدمت له في هذه الـــدار جملة ما كان في سابق أزلك مرسوما في لوح حكمتك بقلم قدرتك، فامض اللـــهم علينا هنا من ذلك حظًّا وافرا بلطف منك ورحمة، وعرفنا اللهم معرفة كاملة بمكالمـــة محفـــوفة بأنواع الأذواق بطلوع شمس توحيدك، واجعلنا هائمين في بحر أحديـــتك متحيرين بوجد محبتك عند مُلكك وملكوتك وجبروتك غائبين مع مَنْ سكر حاضرين مع من حضر يا أرحم الراحمين يا رب العالمين.

- نسأل الله اللطف بمنه.

- وكـــثيرا مـــا يستعمل هذه الحالة أهل الصدق الكبير، اللهم اجعل لي فيهم نصيبا ولا تجعلني منهم غريبا يا قريب يا قريب يا قريب.

- اللـــهم إني أعوذ بك من السلب بعد العطاء وتقديم وتأخير الخطايا يا أرحم

الراحمين يا رب العالمين.

- اللهم تول أمرنا ولا تول علينا نفوسنا يا أرحم الراحمين.

- اللهم أرنا حق حقيقة آياتك الظاهرة وأنوار عظمتك الباهرة بألطاف مواهبك اللدنية العُلوية الملكوتية التي كشفتها لأحبائك وأصفيائك حين منعتهم ما ليس لهم ومننت عليهم بأوصاف آداب حضرتك القدسية فأدبتهم بجلالك في حضرة مُلكك بلطف منك يا أرحم الراحمين.

- نجّانا الله وإخواننا من الحسد بجاه شيخنا وأشياخه إلى مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- فالله يمن علينا وعلى هذه الأمة الشريفة بفضل منه سبحانه وجوده وكرمه إنه سميع مجيب.

- فالله يأخذ بيدنا وينقذنا وكافة إخواننا والمسلمين من الرضا عن نفوسنا آمين بجاه مولانا محمد صلى الله عليه وسلم.

- ولا يقدر على هذه الحالة إلا أهل الصدق الكبير، جعلنا الله وإخواننا منهم آمين.

- نسأل الله السلامة يا مولانا لنا ولإخواننا ولسائر المؤمنين أجمعين من قساوة القلوب وغشيان الذنوب يا أرحم الراحمين يا رب العالمين.

- فالله يمن علينا وعلى أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقبول منه سبحانه بمحض كرمه إنه جواد متفضل.

- جعلنا الله وإخواننا والمسلمين ممن وفقهم الله بتوفيق العارفين به آمين إنه سميع مجيب.

- نسأل الله السلامة والعافية من غفلتنا عنه سبحانه.

- اللهم وفقنا وإخواننا وسائر أهل الفضل للأدب مع الأشياخ والإخوان وسائر مظاهر الحق بما يناسب كل شيء كما وهبت ذلك لأوليائك وأصفيائك وخاصة الصديقين من خلقك إنك سميع مجيب.

- فسبحان من خصهم بهذا المقام الشريف، اللهم لا تحرمنا يا مولانا مما أعطيتهم إنك سميع مجيب.

- فالله يعصمنا من الزلل ويحفظنا من العلل آمين.

- أهـــل الوصول نفعنا الله ببركاتهم وجعلنا من أهل حزبهم وودهم آمين بجاه مولانا محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو سيد الأولين والآخرين.

-... كمـــال المعرفة بالله تعالى، اللهم اجعلنا من أهلها ولا تحرمنا من سرها بجاه سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله.

- والله يوفقنا وإخواننا والمسلمين أجمعين للإخلاص من نفوسنا آمين.

- اصطحَبوا على الله وتزاوروا في الله وتذاكروا في الله وتحابوا في الله وتناصحوا في الله وفنوا في الله وبقوا بالله، جعلنا الله منهم وإخواننا وكافة الأمة الأحمدية بمحض كرم الله بجاه مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الله آمين.

- إلهي أقِفْ عبدك على باب فضلك بمحض كرمك بلا علة، ولا تحمله اللهم بجودك ورحمتك حمول المشقة والمذلة.

- نسألك اللهم لا تسلبنا بعد العطاء، ولا تحرمنا بسبب الغفلة والخطا، واجعل اللهم فضلك لمساوينا غطاء، يا رباه يا مولاه.

- إلهـــي ما أقربنا لك بك وأنت القريب منا، وما أبعدنا عنك لوجود نفوسنا، فاستر اللهم بفضلك قبحنا لنكون أهلا لغاية القصد والمنى.

- إلهـــي اكشفْ لنا بفضلك عن حقيقة الحقائق، وأفضْ علينا من لدنك علوم الدقائق، وحققنا اللهم بسرك الموضوع في الخلائق، وزجَّ بنا في عين بحر جبروتك، وأخرجنا منها بها على ساحل بحار ملكوتك، وعرفنا بك معرفة أنبيائك وأصفيائك. إلهـــي أدِّبْنا بأدب أهل ملكوتك، وأفضْ علينا من سنا جبروتك ما يُغيبنا عن رؤية مُلكـــك وملكـــوتك، وأجلِسْنا اللهم على كرسي القرب بالقرب، وأشعلْ في قلوبنا بفـــضلك نار الشوق والحب. إلهي أبرزتنا لهذا الوجود بعدما سبق إلينا منك العهود، فثبتنا اللهم بمحض كرمك بالقول الثابت ولا تجعلنا من أهل العناد والجحود، يا حي يا قيوم يا موجود.

فهرس: الأعداد

اثنان

- والفكـــرة فكـــرتان: فكرة أهل الدليل والبرهان، وفكرة أهل الشهود، ولا تحصل فكرة أهل الدليل إلا لمن تفرغ من حب الدنيا وأقبل على العبادة، ولا تحصل فكرة أهل الشهود إلا لمن تفرغ من حب الدنيا ومن حب الآخرة ليكون فكرُه بالله.

- والـــشريعة شـــريعتان: شريعة العوام وهي الامتثال خوفا وطمعا، وشريعة الخواص وهي الامتثال محبة وتعظيما وإجلالا.

- وهـــذا العلم ينقسم على قسمين: علم الدليل والمطلوب العمل به وإلا فلا، وعلم الباطن والمطلوب أيضا في بدايته العمل أكثر وأكثر وأما إذا وصل حقيقته صار علمه عمله.

- ومن آداب المريد الصادق أن يلزم بابين من أبواب الله العظام الذي كل من قصدهما دخل في ساعة واحدة وهما: الثقة بالله والاكتفاء بعلمه سبحانه، فمن وجد في نفسه هاتين المزيتين فليعلم أنه من أكابر أهل الله نفعنا الله ببركاتهم.

ثلاثة

- الداخلون على ثلاثة أقسام: منهم من دخل بالنية والصدق، ومنهم من دخل بالنـــية دون الصدق، ومنهم من دخل بغير نية ولا صدق، فصاحب النية والصدق فـــتحُه بمجرد وُصوله، وصاحب النية فتحه بعد وصوله، والذي لا نية له ولا صدق يطول فتحه لأنه يحتاج إلى معالجة كبيرة.

- وهـــذا الـــنور نور إيمان لا نور إسلام.....فإن حصل هذا النور في القلب أســـرعت الجوارح إلى الطاعات، وهذا النور على ثلاثة أقسام: نور خوف وهيبة، ونور رجاء ورحمة، ونور شوق ومحبة، فالنور الأول به يقوم العبد إلى الطاعة، والنور الـــثاني به يقوم إلى الزهد في الدنيا لشدة قربه إلى الآخرة، والنور الثالث من إشراق نور الصفات أو الذات فيعبد الله كأنه يراه وهذا مقام عظيم.

- والـــسؤال علـــى ثلاثة أقسام: فسؤال العامة وسؤال الخاصة وسؤال خاصة الخاصـــة، فسؤال العامة لقوت أشباحهم، وسؤال الخاصة لقوت أرواحهم، وسؤال خاصة الخاصة لسَعة أسرارهم.

- المعـــرفة على ثلاثة أقسام: معرفة في النفس دون الجنس، ومعرفة في النفس والجـــنس، ومعـــرفة بالله ولله وفي الله، فالمعرفة في النفس معرفة العلم به والتصديق والإيمـــان به وبأوليائه وهو لأهل البدايات، ومعرفة في الجنس التعرض للتعرفات من الخلـــق اختيارا وهذه معرفة أهل العمل بالعلم وهو مقام السائرين، ومعرفة بالله ولله وفي الله معـــرفة أهل الحال فلا مجاهدة لهم في العلم ولا في العمل لأن علم التحقيق وعملـــه امتزج مع دمهم ولحمهم من شدة الحال وهذا حال أهل الرسوخ والتمكين وهو مقام الإحسان المعبر عنه بالبقاء.

- والـــناس في الـــسكر على ثلاثة أقسام: قسم مطموس الأثر مستغرق على الـــدوام، وقـــسم تارة بتارة، وقسم ممزوج السكر بالصحو من أول قدم، وغالبهم وأكثرهم يكونون تارة بتارة، رضي الله عنهم أجمعين.

- وحـــسن الخلق ينقسم إلى ثلاثة أقسام: خلق العارفين به، وخلق السائرين إليه، وخلق السائرين به.

- واعلم أن الجهل ثلاث: جهل أهل الشريعة فروا منه لعلم الظاهر والعمل به، وجهـــل أهل الطريقة فروا منه إلى علم الطريقة والعمل بها، وجهل أهل الحقيقة فروا منه إلى الله وإلى العلم به.

- وحال هؤلاء القوم ثلاث: إما الذكر أو الفكر أو المذاكرة لا غير، ومن زاد على ذلك فهو السلكوط الكبير.

- وقُرْب أهل الله ينقسم على ثلاثة أقسام: قرب الأنبياء كشهود الشمس بلا ســـحاب، وقـــرب الأولياء كشهود الشمس في السحاب اللطيف، وقرب الصالحين كشهود القمر في السحاب الكثيف.

- ومـــن آداب المريد ألا يدخل على شيخه في ثلاث مواضع: الأول إذا كان يأكل الطعام.....الثاني إذا كان في موضع وحده فلا تقدم عليه بل اصبر حتى يخرج أو يأذن لك في القدوم وإن دخلت بإذن نفسك هلكت لا محالة إما في حسك أو في معـــناك أو فيهما معا بسبب سوء أدبك.....الثالث إذا ذهب إلى الخلا فلا تتبعه ولا تتوجه إلى الموضع الذي توجه نحوه ولو كنت في غاية الاحتياج إليه ولو عرفت أن قصده غير قضاء الحاجة.

- والنفس تنقسم إلى ثلاثة أقسام: إذا كانت في مقام الحجاب الكثيف سميت أمَّـــارة، وإذا تلطـــف الحجاب عنها سميت عقلا لأنها تعقل عن الله والعقلُ موضع الطاعـــة لله عز وجل، وإذا زادت في التلطيف سميت قلبا والقلبُ محل الخشية والزهد والورع والحلم والصبر وغير ذلك من سائر الأحوال والمقامات.

- ثم الروح أيضا تنقسم إلى ثلاث: فإذا استشرفت على العلم بالله سميت روحا عالمـــة، وإذا وصلت سميت روحا واصلة، وإذا تمكنت سميت روحا كاملة وسرًّا من أسرار الله.

- والفطـــرة تنقسم على ثلاث: فطرة مجازية وهي فطرة عامة الناس في حال خروجهم من الأرحام إلى البلوغ، وفطرة وهبية وهي فطرة المجاذيب وهي التي تنزل بهـــم بعد خروجهم منها أي من الفطرة المجازية ومنهم من لا تفارقهم من أول قدم وهم من فطرة إلى فطرة، وفطرة اكتسابية وهي فطرة الكُمَّال من أولياء الله نفعنا الله ببركاتهم جميعا.

أربعة

- واعلم أن الشيخ إذا كان وحده لا يكون إلا في أربع مسائل هذا هو الغالب: إما في علم أو حال أو نوم أو مرض.

- اعلـــم أن الفقـــر على أربعة أقسام: قسم بالرضا والعلم والحال وهو أعلى، وقـــسم بالعلم والرضا دون الحال، وقسم بالعلم والصبر دون الرضا والحال، وقسم بالصبر دون العلم والرضا والحال.

- اعلم أن السؤال على أربعة أقسام: سؤال عن علم وحاجة، وسؤال عن علم دون حاجة، وسؤال عن جهل وحاجة، وسؤال عن جهل وعدم حاجة.

خمسة

- وينبغـــي للفقـــير الصادق أن يفتح على نفسه كل يوم وليلة خمسة أبواب: الأولى القناعة بما هو أسهل، الثاني التوكل على الله، الثالث الإيثار بالقليل أو بالكثير، الرابع السخاء بما عنده، الخامس ترك الطمع لما في أيدي الناس.

فهرس: مناجات سيدي محمد البوزيدي

فهرس: شرح آيات قرآنية

﴿ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ 18
﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾ 23
﴿ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ ﴾ 32
﴿ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ ﴾ 33
﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ 33
﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ ﴾ 37
﴿ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ ﴾ 37
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ ﴾ 39
﴿ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ 42
﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ 43
﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ 45
﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ 45
﴿ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ 46
﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ ﴾ 48
﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ 48
﴿ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ ﴾ 48
﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ 49
﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ 49
﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ ﴾ 55
﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ﴾ 57

﴿ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ 58

﴿ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾ 58

﴿ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝ ﴾ 58

﴿ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ 59

﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ 59

﴿ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾ 59

﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ ﴾ 60

﴿ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ ﴾ 61

﴿ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ ﴾ 62

﴿ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ ﴾ 63

﴿ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ﴾ 65

﴿ وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ ﴾ 65

﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ ﴾ 65

﴿ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ ﴾ 65

﴿ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ 67

﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ 78

﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝ ﴾ 82

﴿ إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ ﴾ 82

﴿ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا ﴾ 82

﴿ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ ﴾ 82

﴿ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ 83

﴿ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ ﴾ 83

﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ ﴾ 84

﴿ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ﴾ 85

﴿ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ ﴾ 85

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ 86

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ 86

﴿ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ ﴾ 86

﴿ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ ﴾ 86

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ 89

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ 89

﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ﴾ 91

﴿ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ﴾ 91

﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ ﴾ 91

﴿ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ﴾ 91

﴿ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ﴾ 92

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا ﴾ 93

﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ ﴾ 94

﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ 96

﴿ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَـٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا ﴾ 97

﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾ 97

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ 98

﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾ 100

﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ 101

﴿ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ 102

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ 103

﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ 103

﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ 104

﴿ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ﴾ 105

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ ﴾ 105

﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝ ﴾ 105

﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ ﴾ 105

﴿ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ ﴾ 106

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ 108

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ ﴾ 109

﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ ﴾ 109

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ ﴾ 109

﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ ﴾ 110

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ ﴾ 112

﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ ﴾ 113

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝ ﴾ 113

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾ 114

﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾ 114

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ ﴾ 117

﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ 117

﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ ﴾ 117

﴿ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ ﴾ 117

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ۝ ﴾ 118

﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝ ﴾ 118

﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝ ﴾ 119

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ ﴾ 123

﴿ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ ﴾ 123

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ ﴾ 123

﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ 124
﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ 127
﴿ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ 128
﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ 130
﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾ 132
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ ﴾ 135
﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ ﴾ 137
﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ ﴾ 137
﴿ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ 138
﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ 138
﴿ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ 140
﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ ﴾ 141
﴿ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ﴾ 141
﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ 141
﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ ﴾ 141
﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ 141
﴿ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ﴾ 142
﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ 142
﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ 143
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ 143
﴿ تَذَكَّرُوا۟ ﴾ 143
﴿ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ 143
﴿ وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ 145
﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ 155

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ ﴾ 155

﴿ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ ﴾ 156

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ 158

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ ﴾ 158

﴿ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾ 159

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ ﴾ 161

﴿ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ 163

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ 163

﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ 167

﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ 168

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ 168

﴿ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا ﴾ 170

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ 171

﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ﴾ 171

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٢٣ ﴾ 175

﴿ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ 175

﴿ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾ ، ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ 178

﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ 178

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ 178

﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ 181

﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ 186

﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ 186

﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ 191

﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ 191

﴿ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾ 191

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ﴾ 193

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ ﴾ 194

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ﴾ 194

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ ﴾ 194

﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ 196

﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ﴾ 197

﴿ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ 197

﴿ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ ﴾ 198

﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ ﴾ 203

﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ 205

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم ﴾ 206

﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ ﴾ 207

﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ 208

﴿ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ 208

﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ 210

﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ 210

﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ ﴾ 210

﴿ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ 210

﴿ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ 211

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ 212

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ ﴾ 218

﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ ﴾ 220

﴿ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ ﴾ 221

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ ﴾ 221

﴿ أَنَا۠ خَيۡرٞ ﴾ 222

﴿ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ 229

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ 242

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ 244

﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ ﴾ 245

﴿ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا ﴾ 245

﴿ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا ﴾ 251

فهرس: شرح أحاديث نبوية

- (ما فاتكم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بشيء وقر في صدره): 87
- (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى): 104
- (لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر): 120
- (اعملوا ولا تتكلوا):128
- (تفكر ساعة أفضل من عبادة سبعين سنة):128
- (من عرف نفسه عرف ربه):130
- (ما اتخذ الله وليا جاهلا إلا وعَلَّمَه):155
- (لا يـــزال عـــبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا):73 [هذا حديث قدسي]